مسرحيات شكسبير ١

جامعة الدول العربية
الإدارة الثقافية

هنري السادس

الجزء الأول والثاني

وليم شكسبير

دار المعارف بمصر

مسرحيات شكسبير
المجلد الأول

هنري السادس

الجزء الأول والثانى

قامت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية بهذه الترجمة
بتوجيه الدكتور طه حسين
رئيس اللجنة الثقافية

هنرى السادس الجزء الأول

ترجمة الأستاذ محمد فتحى

ومراجعة

الدكتور محمد عوض محمد — الدكتورة سهير القلماوى

هنرى السادس الجزء الثانى

ترجمة الأستاذ مصطفى حبيب

ومراجعة

الدكتور محمد عوض محمد — الدكتورة سهير القلماوى

دار المعارف بمصر

ملتزم الطبع والنشر : دار المعارف بمصر — ٥ شارع ماسبيرو — القاهرة

مقدمة لمسرحيات هنرى السادس

كانت معالجة الموضوعات التاريخية العامة ، وتاريخ إنجلترة بوجه خاص من أهم ما عنى به المسرح الإنجليزى فى عصر الملكة إليزابث . لذلك لم يكن بد أن يشتمل إنتاج شيكسبير قطعاً عديدة فى هذا الباب . ويوشك أن يكون هناك اتفاق فى الرأى على أن « هنرى السادس » أول مجهود فى التأليف المسرحى للشاعر الناشىء . . وأن ذلك قد تم فى عام ١٥٩١ أو ١٥٩٢ ولما يتجاوز شيكسبير الثامنة والعشرين .

هنرى السادس ، إذن ، أول مجهود أدبى لشيكسبير . . وقد وصفنا هذا النتاج الأدبى بأنه « مجهود» وليس من قبيل التأليف لأن شيكسبير لم يستقل بتأليف هذه المسرحية ذات الأجزاء الثلاثة ، ولا بجزء واحد منها .

ومن المهم أن نذكر أن شيكسبير عندما انتقل من بلدته ستراتفورد إلى لندن ، التحق ببعض الفرق التمثيلية ، مبتدئاً عمله فيها من أدنى ثم أخذ يتدرج وينتقل إلى وظائف أرقى . وفى وقت هجرته إلى العاصمة كان التأليف المسرحى ميداناً لا يحتله سوى بضعة أسماء لامعة ، توشك أن تحتكر هذا الضرب من الإنتاج ، ولعل ألمع هذه النجوم فى تلك الفترة مارلو Marlowe وبيل Peele وجرين Greene ولا بد لمن يحاول أن

يدخل هذا الميدان أن يقترب منه بحذر وتأدب حتى لا يستثير حفيظة هؤلاء الكبار .

كان المؤلف المسرحي الكبير مثل مارلو يختار الموضوع ويؤلف المسرحية من تلقاء نفسه أحياناً ، لأن له من المكانة ما يضمن لنتاجه الفني القبول لدى الفرق المسرحية ذات النفوذ والجاه . ولكنه في الغالب يستأنس برأي أصحاب تلك الفرق في اختيار الموضوع وطريقة معالجته . وربما اقترح على المؤلف موضوع خاص يرى المهتمون بالمسرح أنه سيلقى إقبالا عظيما ، أو ربما كان التأليف استجابة لرغبة من شخصية ذات نفوذ كالملكة نفسها أو بعض رجال حاشيتها .

والمؤلف المسرحي الكبير إما أن يؤلف ويكتب مسرحيته كلها ، أو قد يسمح لزميل صغير أن يكتب بعض فصولها بتوجيهه وإرشاده . وكل من مارلو وبيل كان يعطف على شيكسبير ويشجعه ، أما جرين فكان يحسده ويحاول أن ينال منه .

وقد تتسلم الفرقة المسرحية من مؤلفها ، ثم ترى من المناسب أن تجرى فيها بعض التغيير القليل أو الكثير ، وهذا العمل كثيراً ما كان يسند إلى مؤلف ناشيء . وهذا فيما يبدو هو ما حدث لشيكسبير في مسرحية هنرى السادس بأجزائها الثلاثة . فليست المسرحية كلها من تأليف شيكسبير ، ولكنه راجع فصولها وأضاف إليها ، واستبدل بالكثير من سطورها أبياتاً من تأليفه ، وربما أضاف منظراً جديداً لم يكن موجوداً من قبل .

ويقول هارت H.E.Hart فى مقدمته للجزء الثالث من المسرحية :

« نستطيع أن نتصور أن تأليف المسرحيات الثلاث قد تطور على النحو الآتى : قرر جرين وبيل ومارلو — أو اقترح عليهم — أن يجعلوا من عصر هنرى السادس موضوعاً لمسرحية فقسموا العصر ثلاثة أقسام ، بحسب الترتيب الزمنى ، فاختص جرين بالجزء الأول ، وبيل بالجزء الثانى ، ومارلو بالجزء الثالث . . وقد عاون شيكسبير كلا من بيل ومارلو فى الجزءين الثانى والثالث ، وذلك بموافقتهما وإرشادهما ، بحيث يعزى له أن نصيبه يبلغ النصف فى الجزء الثانى ، ونحو الثلثين فى الجزء الثالث .

« أما جرين فلم يحالفه التوفيق ، واضطر أصحاب المسرح أن يسلموا مسودة مسرحيته إلى شيكسبير ليقيم اعوجاجها ، ويكمل نقصها ، فنهض بهذا العمل بسرعة وعلى أكمل وجه ممكن . وقد تم تأليف المسرحية كلها بأجزائها الثلاثة فى عام ١٥٩٢ » .

وظاهر من هذا أن نصيب شيكسبير فى هذه المسرحيات الثلاث يرجح نصيب الثلاثة الآخرين ، وفى هذا ما يبرر نسبتها إليه وحده .

* * *

أما الأجزاء الثلاثة للمسرحية فإن كلا منها يتناول موضوعاً يوشك أن يكون مستقلا عن الآخرين . لقد ولد الملك هنرى السادس عام ١٥٢١ وقتل عام ١٥٧١ ، ولكن وفاة أبيه هنرى الخامس فى وقت مبكر جعلته يتولى الملك ولم يزل فى المهد صبيا ، فكان عهد حكمه طويلا

وإن لم يكن هو نفسه يحتل مكاناً بارزاً في أي جزء منه ، وذلك لحداثة سنه في المرحلة الأولى ، ولضعف إرادته وشخصيته في المراحل الأخرى .

والجزء الأول يمتاز بأن حوادثه تجرى جلها في فرنسا، بينما الجزءين الثاني والثالث تجرى حوادثهما في إنجلترة بوجه خاص .

وقد كانت إنجلترة منشغلة في ذلك الزمن بحروب لا تكاد تنتهي ، أهمها حرب « المائة عام » بين إنجلترة وفرنسا ، ومسرحها عادة فرنسا ، وحروب الوردتين التي استغرقت معظم عصر الملك هنري السادس وإدوارد الرابع ورتشارد الثالث ، ولم تنته إلا عندما تولى الملك هنري السابع الملك في أواخر القرن الخامس عشر وأسس أسرة جديدة وهي أسرة تيودور Tudor وتزوج من أسرة يورك ، حتى يربط العرش بصلة النسب بين بيتي لانكاستر ويورك . ولكن هذه النهاية الحميدة لم تتم إلا بعد حروب واضطهادات وحشية يجد القارئ صورة منها في الجزءين الثاني والثالث من هذه المسرحية .

تبدأ حوادث الجزء الأول في أول عهد الملك هنري السادس وهو بعد صبي كما ذكرنا . ولكن الشاعر رأى من الضروري أن يكبره ، ويتجاوز عن التاريخ ، لأنه لابد له أن يلعب دوراً وأن تخطب له زوجة فرنسية في نهاية المسرحية، وهذا كله لا يتفق مع سن الرضاع . والخروج على التاريخ للضرورة أمر يستحله الكتاب ولا يعترض عليه الجمهور .

وقد كان هنري الخامس أخضع جزءاً عظيماً من فرنسا لسلطانه

بحيث أصبح يدعي ملكاً لفرنسا ، وتوّج أميرةً فرنسية ، وورث هنرى السادس عرش فرنسا فيما ورث . ولكن الجيش الإنجليزى تلقى الهزيمة إثر الهزيمة ، وظهرت جان دارك فى هذا الوقت ، وكان لاشتراكها أثر عظيم فى هزائم الإنجليز ، وقد ظفروا بها فى النهاية ولكنهم لم يستردوا ما خسروه ، واضطروا بعد فقد بطلهم «تالبوت» إلى عقد صلح تحتفظ بمقتضاه إنجلترة بالسيادة الاسمية والأمير الفرنسى بالسيادة الفعلية .

* * *

أما الجزء الثانى والجزء الثالث فمخصصان للنزاع العنيف بين بيت لانكاستر (وشعاره الوردة الحمراء) وبيت يورك (وشعاره الوردة البيضاء) ؛ وقد اشتد النزاع واحتدم ، وكان الملك هنرى السادس ضعيفاً لاحول له ولا قوة ، وهو الذى يمثل حق بيت لانكاستر . ولكن الملكة مرجريت تولت توجيهه وتحريضه ، ولمت شمل الأنصار والقواد ، وأمكن لجيشها أن يظفر برتشارد دوق يورك الأكبر ؛ وبموته تنتهى مرحلة من مراحل هذه الحرب الأهلية .

وتبدأ مرحلة جديدة بتولى ابنه إدوارد مكان أبيه ، وهو أشد من الأب مراساً ، وأكثر عنفاً وقسوة ووحشية . . وقد شن الحرب فى غير هوادة على أنصار الملك هنرى السادس ، وأمكنه أن يأسر الملك ويخلعه ، ويتولى الملك بوصفه إدوارد الرابع ، وفى نهاية المأساة يموت الملك هنرى نفسه بيد الدوق جلوستر أخى الملك إدوارد .

وقد يجوز لنا أن نتساءل لماذا بدأ شيكسبير نتاجه المسرحى بموضوع

الملك هنرى السادس مع أنه من الملوك المتأخرين ، بينما عالج موضوعات الملوك المتقدمين أمثال الملك جون ورتشارد الثانى وهنرى الرابع والخامس فى زمن متأخر ، أى أن شيكسبير لم يتبع الترتيب الزمنى فى اختيار موضوعات مسرحياته الخاصة بتاريخ إنجلترة .

لعل الرد على هذا السؤال أن شيكسبير لم يكن دائماً يختار الموضوع ، بل يقترح عليه من الفرقة التى يعمل فيها . وهذه كانت الحال بوجه خاص فى هنرى السادس ، فلم يكن هو المبتكر للموضوع ، بل لم يكن المؤلف الأول للمسرحية كما قدمنا .

وقد حدث فى زمن الملكة إليزابث أن ذهب جيش إنجليزى إلى نورماندى وحاول الظفر بمدينة روان عاصمة الدوقية . ومع أن هذه الحملة باءت بالفشل ، فإنه قد وجد من المناسب أن تؤلف مسرحية تعرض تاريخ الحماة التى كان بطلها تالبوت مثال البطولة فى نظر البريطانيين ، وكيف مات فى الدفاع عن حق إنجلترة فى فرنسا .

وهكذا سيجد القراء فى هذه المسرحيات الثلاث ، وإن لم تكن من أحسن إنتاج شيكسبير ، صورة لعصر خطير من تاريخ أوروبا فى نهاية القرون الوسطى وبداية الأزمنة الحديثة .

محمد عوض محمد

هنرى السادس

وليم شكسبير

الجزء الأول

ترجمة : الأستاذ محمد فتحى

مراجعة

الدكتور محمد عوض محمد　　　　الدكتورة سهير القلماوى

هنرى السادس

الجزء الأول

المنظر : موزع بين إنجلترة وفرنسا

أشخاص المسرحية

الملك هنرى السادس — Henry VI

همفرى دوق جلوستر — عم الملك والوصى .

Duke of Bedford

جون ، دوق بدفورد — عم الملك والوصى على فرنسا

Thomas Beaufort

توماس بوفرت ، دوق إكستر — من أعمام الملك غير المباشرين

Henry Beaufort (Winchester)

هنرى بوفرت ، أسقف ونشستر ، وكاردينال فيما بعد عم غير مباشر للملك

دوق سمرست — Somerset

رتشارد بلانتاجنت ، فيما بعد دوق يورك ، ابن رتشارد إيرل كمبردج المتوفى

(Richard Plantagenet)

إيرل وريك — Earl of Warwick

إيرل سالسبورى — Earl of Salisbury

لورد تالبوت ، فيما بعد إيرل شروزبرى

Lord Talbot (Earl of Shrewsbury)

جون تالبوت ، ابنه John Talbot

إدموند مورتيمر Edmund Mortimer أيرل مارش

سير جون فولستاف John Falstaff

سير وليم لوسى William Lucy

سير وليم جلانسديل William Glansdale

سير توماس جارجريف Thomas Gargrave

عمدة لندن

وودفيل — ملازم القلعة Woodville

فيرنون من أنصار الوردة البيضاء أو حزب يورك Vernon

باسيت ، من أنصار الوردة الحمراء أو حرب لانكستر Basset

محام .

سجانو مورتيمر

شارل ولى عهد ملك فرنسا ، فيما بعد ملك فرنسا Charles (Dauphin)

رينيه ، دوق أنجو ، وحامل لقب ملك نابولى Reignier

دوق برجندى Burgundy

دوق ألنسون Alençon

دعى أورليان Bastard of Orleans

محافظو باريس
كبير مدفعية أورليان وابنه
قائد القوات الفرنسية فى بوردو
شرطى . حمال
راع شيخ ، أبو جان لابوسل Father to Joan la Pucelle
مرجريت ، ابنة رينيه ، تتزوج فيما بعد الملك هنرى Margaret (Reignier)
كونتس أوفرنى Countess Auvergne
جان لا بوسل المعروفة باسم جان دارك . Joan of Arc (Joan la Pucelle)
لوردات ، حراس القلعة ، أتباع ، ضباط ورسل وحاشية
شياطين تتراءى لپوسل

الملك هنرى السادس

(الجزء الأول)

الفصل الأول ــ المنظر الأول

(كنيسة وستمنستر)

(موسيقى حزينة ــ يدخل جثمان الملك هنرى الخامس محمولا ، يشيعه دوق بدفورد الوصى على عرش فرنسا والدوق جلوستر الوصى على العرش ، والدوق إكستر ، وإيرل وريك أسقف ونشستر ، والدوق سمرست مع رسل وغيرهم .)

بدفورد : فلتجلل السموات بالسواد وليسلم النهار لليل !
وأنت أيتها الشهب المنبئة عن تغير الأزمان والدول
انشرى ذوائبك البلورية عبر السماء ، وارجمى بها
النجوم الثائرة المشئومة ،
التى ارتضت موت هنرى الملك هنرى الخامس
الذى عز على الموت أن يتركه يعمر طويلا وهو
ذو الصوت البعيد !
إن إنجلترة لم تخسر ملكاً مثله ، رفعة شأن وعلو مكان ،

جلوستر : بل إنه لم يكن لإنجلترة ملك حتى عهده .
كان رجل تقوى وفضيلة ، وكان خليقاً بأن يحكم ويسود ،
وكان سيفه وهو يشهره يعشى أبصار الرجال ببريقه الخاطف ،
وذراعاه أعرض من امتداد جناحى التنين ،
وعيناه البراقتان وهما تقدحان بشرر الغضب ،
أفعل فى أعدائه من شمس الظهيرة الحامية ، مسلطة على وجوههم ،
تبهرهم وتدفع بهم إلى الوراء .
ماذا أقول ؟ لقد جلت فعاله عن كل وصف .
ما رفع يده يوماً ، إلا كان الفتح طوع بنانه .

إكستر : إننا نتشح بالسواد حزناً عليه وأولى بنا أن نسفح الدم حداداً وحزناً .
مات هنرى ولن يبعث مرة أخرى .
إننا نلتف حول نعش خشبى ،
فى أبهة وعظمة .
لنمجد انتصار الموت الشائن ،
كأننا أسرى ربطوا بعجلة المنتصر .

عجباً ! — أفنلعن كواكب النحس
التى دبرت انهيار مجدنا بهذه الصورة ؟
أم هل نظن أن دهاة السحرة والمشعوذين الفرنسيين
بترانيمهم السحرية دبروا خاتمته
خوفاً منه ووجلا ؟

ونشستر : كان ملكاً ، باركه مالك الملك ،
لم يكن يومُ القيامة بأخوف للفرنسيين ،
ولا أبشع ، من لقائه .
جاهد فى سبيل إله السماوات
ومنحته صلوات الكنيسة البركات والتوفيق .

جلوستر : الكنيسة ! وأين هى ؟
لو أن رجالها صلوا ، ما انقطع حبل حياته بهذه السرعة .
فما تحبون ، يا أهل الكنيسة ، غير أمير مخنث
لترهبوه كما لو كان تلميذاً .

ونشستر : أيا كان الذى نحب ، يا جلوستر ، فأنت الوصى على العرش
والمتطلع للسيطرة على الأمير والمملكة .
إنك لتراع من روحك المتغطرسة

أكثر مما تراع من الله أو رجال الكنيسة المتدينين .

جلوستر : لا تذكر اسم الدين فالشهوات طلبتك وغايتك .
وإنك لا تذهب إلى الكنيسة طوال العام
إلا حينما تريد الدعاء على أعدائك .

بدفورد : كفا بالله عن هذه المشاحنات وليسد بينكما السلام.
هلموا إلى المذبح : أيها المنادون قوموا بخدمتنا .
سنقدم السلاح قربانا بدل الذهب .
فلم تعد للسلاح جدوى بعد موت هنرى .
فليترقب الخلف من بعد هذا أعواما من الشقاء ؛
يرضع فيها الأطفال دمع عين أمهاتهم .
وتصبح جزيرتنا مستنقعاً من الدمع الأجاج ،
فلا يبقى عليها إلا النساء ينحن ويعولن على الموتى .
إنى أناشد طيفك ، أيا هنرى الخامس ، وأتوسل إليه :
أسعد هذه المملكة واحفظها من المعارك الأهلية ،
وصارع الكواكب المعادية لها هناك فى السماء !
فلروحك ، إذا ما صالت ،
ستكون ، من كوكب يوليوس قيصر ، ألمع وأسطع .

(يدخل رسول)

: عافاكم الله جميعاً ، أيها السادة الأشراف !
إنى لآتيكم بأخبار محزنة من فرنسا
خسائر ومذابح وهزائم ،
جيين وشامبانى وريمس وأورليان ،
وباريس وجيزور وبواتييه[١] ضاعت كلها ضياعاً

بدفورد : ما هذا الذى تقوله ، يارجل ، أمام جثمان هنرى ؟
اخفض من صوتك وإلا أثاره ضياع هذه المدن العظيمة ،
فهب من موته ليحطم رصاص النعش

جلوستر : أو ضاعت باريس ؟ وهل استسلمت روان[٢] ؟
لو أن هنرى بُعث حيا
لأسلم الروح مرة أخرى من هول هذه الأنباء .

إكستر : كيف ضاعت ؟ أية خيانة حدثت ؟

رسول : لم تكن ثمة خيانة : كل ما فى الأمر نقص فى الرجال والمال .
إن الجنود لتتهامس
بأنكم منقسمون شيعاً متعددة ،

---

(١) Guienne, Champagne, Rheims, Orleans, Paris, Guysors, *Poictiers*.

(٢) Rouen.

وبينما ينبغي أن تخاض المعركة بسرعة، أو تنتهى ،
تتجادلون وقادتكم فيما بينكم :
فأحدهم يريد حرباً طويلة الأجل قليلة النفقات ،
وآخر يريد أن ينقض كالطير سريعاً ولكن تعوزه الأجنحة .
وثالث يرى أن السلم تنال بالكلام الماكر المعسول ،
دون حاجة إلى بذل شيء أبداً .
هبوا من رقادكم أيها النبلاء الإنجليز ، اصحوا !
لا تدعوا الكسل يسود صفحة أمجادكم الحديثة المشرقة .
إن زهرة الزنبق[١] قد انتزعت من دروعكم
كما انتزع من درع إنجلترة نصف أمجاده[٢].

(يخرج)

إكسترا : لو أن دمعنا فى هذا المأتم كان مدراراً ،
لفاض عند سماع هذه الأخبار أنهاراً غزاراً .

بدفورد : إنها لتعنينى وحدى ، فأنا الوصى على عرش فرنسا.
إلى بردائى المدرّع فسأحارب من أجل فرنسا ؛

---

(١) شعار السلاح الفرنسى .

(٢) كناية عن ضياع نصف البلاد التى ظفرت بها إنجلترة .

ولأخلع عني ملابس النواح المخزية هذه .
سأبدل الفرنسيين جراحاً بدل العيون
التي يذرفون بها الدمع من حين لحين
بكاء على بؤسهم وشقائهم .
(يدخل عليهم رسول آخر)
ثارت فرنسا على الإنجليز ثورة شاملة ،
فيما عدا بضع مدن صغيرة قليلة الخطر .
توج شارل ، ولى العهد ، ملكاً في ريمس(١)
وانضم إليه دعى أورليان .
وحذا حذوه رينيه دوق أنجو
وهرع إليه دوق ألنسون
(يخرج)

إكستر : ولى العهد يتوج ملكاً ! والكل يهرعون إلى جانبه !
أنى لنا أن نهرع نحن إلى الفرار من هذا اللوم والخزى ؟

جلوستر : لن نفر إلا إلى رقاب أعدائنا نطبق عليها .
إذا أنت أبطأت ، يابدفورد ، فسأتولى أنا المعركة .

بدفورد : ولم تظن الظنون بجرأتي وإقدامي ؟
إني لأكاد أرى أني حشدت جيشاً

---

(١) Anjou, Alençon.

توصل بالفعل إلى دحر فرنسا .

(يدخل رسول آخر)

الرسول : سادتى الأماجد ، أجدنى مضطراً إلى أن أزيد من أحزانكم ،
فى الوقت الذى تبللون فيه بالدمع جثمان الملك هنرى
قامت معركة رهيبة بين اللورد تالبوت الجرىء والفرنسيين

ونشستر : انتصر فيها تالبوت ؟ أليس كذلك ؟

الرسول : كلا ، بل هزم فيها لورد تالبوت :
وسأقص عليكم تفصيل الأمر :
فى العاشر من أغسطس الماضى ،
بينما كان هذا اللورد المرهوب
ينسحب من حصار أورليان
بقواته التى لم تكد تبلغ ستة آلاف جندى ؛
إذا جيش فرنسى ، قوامه ثلاثة وعشرون ألفا ،
يحيط به ويغير عليه .
لم يكن لديه وقت لينظم صفوفه ،
كان فى حاجة إلى حراب يغرسها أمام الرماة ،
فاستعاض عنها بعيدان حادة اقتلعها من الأحراش ،

ودقت فى الأرض بغير نظام ،
لكى تمنع اقتحام الفرسان لصفوفنا .
ودام القتال أكثر من ثلاث ساعات ؛
أبدى فيها تالبوت الباسل ، بسيفه ورمحه ، العجب العجاب ،
وأتى بما لا يتصوره عقل ،
أرسل مئات القتلى إلى الجحيم ، ولم يستطع الثبات أمامه أحد ،
كان يندفع حانقاً هنا وهناك فى كل مكان ،
حتى لقد صاح الفرنسيون إنه « الشيطان المدجج بالسلاح » ،
ووقف الجيش كله ينظر إليه محملقاً مندهشاً ،
ولما رأى جنوده قوة بأسه وغلبته
انطلقت صيحتهم بكل قوة :
« تالبوت ! تالبوت ! » واندفعوا وسط المعمعة فى تحمس ملتهب .
وهنا كان من الممكن أن تنتهى المعركة بنصر عظيم.
لو لم يقم السير جون فولستاف بدور الجبان ،
فقد كان فى المقدمة وراء الصفوف المحاربة ،

ليخفف عنهم العبء ويحمى ظهرهم ،
ولكنه فرّ دون أن يضرب ضربة واحدة .
ومن ثم حلت النكبة العامة والمذبحة ،
وأطبق العدو عليهم من كل جانب ؛
وتمكن[١] والونى حقير ، لينال رضا ولى العهد ؛
من أن يطعن تالبوت بحربة فى ظهره ،
وهو الذى لم تجرؤ فرنسا بكل قواتها مجتمعة
أن تقابله وجهاً لوجه .

بدفورد : أقتل تالبوت ؟ لأقتلن نفسى ، إذن ،
أأعيش هنا فى كسل ، عيشة أبهة ويسار ،
بينما يترك قائد عظيم مثله دون نجدة
حتى تسلمه الخيانة إلى أعدائه الجبناء .

الرسول : كلا ، كلا ، إنه حى ولكنه أخذ أسيراً ؟
وأسر معه كذلك اللورد سكليز[٢] واللورد هنجرفورد[٣]
وجل من كان معه ، إما أسير ، أو قتيل .

بدفورد : لن يدفع فديته هناك أحد سواى .
سأجرّ ولى العهد ، من فوق عرشه ،

---

(١) (Walloon) نسبة إلى والون (Walloon) إقليم فى بلجيكا الواقع على حدود فرنسا .

(٢) Lord Scales.

(٣) Lord Hungerford.

وسيكون تاجه فدية صديقى .
وكل سيد من سادتنا سأستبدل به أربعة منهم ،
الوداع ، أيها السادة ، سأذهب إلى فرنسا لأداء
واجبى .
سأقيم هناك الألعاب النارية
احتفالا بعيد « القديس جورج » .
وسآخذ معى عشرة آلاف من الجنود .
وسوف ترتجف من هول أعمالهم أوروبا بأسرها .

الرسول : ما أحوجك إلى المبادرة ، فأورليان محاصرة ،
والجيش الإنجليزى قد حل به الضعف والهزال ؟
وإيرل سالسبرى يطالب بالمدد ؛
وبشق الأنفس يمنع رجاله من التمرد ،
إذ يرون أنفسهم قلة إزاء الجموع الضخمة .
(يخرج)

إكسترا : تذكروا ، أيها السادة ، ما أقسمتم عليه لهنرى .
فقد عاهدتموه على أن تسحقوا ولى العهد سحقاً ،
أو يأتيكم خاضعاً ذليلا .

بدفورد : إنى لأذكر . والآن ائذنوا لى
بالذهاب لأعد العدة .
(يخرج)

جلوستر : أما أنا فسأبادر بالذهاب إلى الحصن ،
لتفقد المدفعية والذخيرة ،
ثم أعلن بعد ذلك هنرى الصغير ملكا.

(يخرج)

إكسترا : وأنا إلى إلثام[1] ، حيث يقيم الملك الصغير ،
فقد عينت المحافظ الخاص بجلالته ،
وهناك سأحسن تدبير أمر سلامته .

(يخرج)

ونشستر : أصبح لكل مكانه ومنصبه :
أما أنا فقد أغفلت ، ولم يبق لى شىء .
ولكن ذلك لن يدوم طويلا .
فلقد عزمت أن أخطف الملك من « إلثام »
وبعد ذلك أتبوأ أعلى مكان فى المملكة .

(يخرج)

---

(١) Eltham.

الفصل الأول

المنظر الثانى

فرنسا ــ امام اورليان

(بوق. يدخل شارل وألنسون ورينيه يسيرون ومعهم طبول وجنود .)

شارل : ليس يعرف أحد حتى اليوم حقيقة مسرى مارس
إله الحرب
لا فى السماء ولا فى الأرض .
لقد أشرق أخيراً فوق الجانب الإنجليزى .
فالآن نحن المنتصرون وهو يطل باسماً من فوقنا ،
أى المدن ذات الخطر لم تصبح ملكاً لنا ؟
وها نحن أولاء نرابط قرب أورليان كيفما نشاء .
بينما الإنجليز ، وقد أضناهم الجوع ، باتوا كالأشباح
الشاحبة ،
يحاصروننا حصاراً هينا ساعة فى الشهر .

ألنسون : تعوزهم عصيدتهم ، واللحم البقرى السمين ،
فهم إما أن يطعموا كالبغال ،

وقد شدت مخاليهم إلى أفواههم ،
أو تبدو وجوههم تعسة كالفيران الغارقة .

رينيه : فلنفك الحصار : لم نعيش هنا فى ركود وفتور ؟
تالبوت الذى نخشاه أسير ،
ولم يبق غير سالسبورى المجنون ،
وهو الخليق بأن يتميز من الغيظ ؛
فلا مال لديه ، ولا رجال يستطيع بهم الحرب .

شارل : لتنفخوا فى البوق ! سنشن عليهم غارة . .
الآن من أجل شرف الفرنسيين البائسين المنكوبين
حلال سفك دمى
لمن يرانى أتقهقر قدماً واحدة أو أفرّ .

(يهاجمون)

(بوق يهزمهم الإنجليز بخسارة كبيرة . فيعود شارل وألنسون ، ورينيه .)

شارل : هل رأى أحد شيئاً كهذا ؟ أى صنف من الرجال
رجالى ؟
كلاب ! جبناء ! أنذال ! ما كنت لأولى الأدبار
قط
لو لم يتركونى وسط أعدائى .

رينيه : إن سالسبورى يحارب .

فى يأس المنتحر الذى سئم حياته ؛
واللوردات الآخرون كالأسود الجائعة يهاجموننا كما لو كنا فريستهم .

ألنسون : إن مواطننا فرواسار[1] يروى
أن الإنجليز فى عهد إدوارد الثالث
كانوا جميعاً فرساناً من طراز أوليفر ورولاند[2] .
وقد تجلى صدق قوله الآن ،
فإنجلترة لا ترسل إلى القتال إلا رجالا
فى قوة شمشون وجالوت ! واحد لعشرة !
هؤلاء الأوغاد ذوو الأبدان الهزيلة والعظام البارزة!
من كان يظن أنهم بمثل هذه البسالة والجرأة ؟

شارل : لنترك هذه المدينة فهم عبيد فى شراسة الأرنب الوحشى ؛
وسيزيدهم الجوع عتوا وعزماً :
عهدى بهم يؤثرون
أن يأكلوا الأسوار بأسنانهم

---

(١) (Froissart) فرنسى سجل الحرب التى انتصر فيها الإنجليز على الفرنسيين عام ١٣٧٦ .

(٢) أوليفر (Olivers) ورولاند (Rowlands) وزيرا شارلمان ، ويضرب بهما المثل فى الفروسية .

على أن يفكوا حصاراً ،

رينيه : أعتقد أن سلاحهم
يعمل كالساعة تديره آلة خاصة ،
وإلا لما استطاعوا أن يثبتوا كما فعلوا ،
فلندعهم وشأنهم .

ألنسون : وهو كذلك .

(يدخل دعى أورليان)

الدعى : أين الأمير ولى العهد ، فلدى أنباء تهمه .

شارل : مرحباً بك يا دعى أورليان .

الدعى : إنك لتبدو حزيناً شاحب الوجه :
أمن أجل هزيمتك الأخيرة كل هذا ؟
لا تحزن فالنجدة قريبة . . .
إنى آتيتك بعذراء مقدسة .
قد تجلت لها من السماء رؤيا . . .
وأوحى إليها أن تفك هذا الحصار المضنى ،
وتطرد الإنجليز من فرنسا .
إن روح النبوءة متغلغل فى نفسها ،
ولها قدرة هائلة على التنبؤ بالأحداث ،

بل إنها لتفوق فى ذلك كاهنات روما القديمة
التسع (١) .
إذ تستطيع أن تنبئ عن الماضى وعن المستقبل . .
تكلم ، أأدعوها ؟ ولتصدق قولى فهو حق صراح . .

شارل : اذهب وادعها (يخرج الدعى) ولكن لنختبر
مهارتها أولا .
قف أنت يارينيه مكانى كما لو كنت أنت ولى
العهد . . .
واسألها فى عظمة وكبرياء ، وقطب أسارير وجهك
فسنعرف بهذه الوسيلة مدى مهارتها ،

(يخطو وراء الآخرين)

(يدخل أورليان ثانية ومعه جوان لابوسل)

رينيه : أأنت التى سوف تحققين هذه الأعمال العجيبة ،
أنت أيتها الفتاة المليحة؟ !

پوسل : رينيه ، أأنت الذى تريد خداعى ؟ أين ولى العهد ؟
تقدم : فإنى أعرفك جيداً ، ولو أنى لم أرك من قبل .
لا تدهش فليس يحجب شىء عنى :
سأتكلم معك على حدة .

---

(١) تسع عذارى قيل انهن تنبأن بظهور المسيح

فلترجعوا إلى الوراء أيها السادة
واثذنوا لنا لحظة .

رينيه : بداية جريئة موفقة ! (ينسحبون)

پوسل : يا ولى العهد ، إننى بمولدى ، ابنة راع من الرعاة
لم تتلق مداركى تدريباً فى أى نوع من المعرفة .
غير أن السماء ، والعذراء الطاهرة ،
أرادتا أن تشرقا فى أفق حياتى الوضيعة
عندما كنت أرعى غنمى ،
وحر الشمس يلفح خدى ،
تنازلت العذراء وظهرت لى
فى رؤيا مجيدة ،
وشاءت إرادتها أن أترك مهنتى الحقيرة .
وأن أحرر بلادى من الويلات :
ووعدتنى عونها وأكدت لى النجاح .
لقد ظهرت لى فى كمال مجدها ،
فبعد أن كنت سمراء دكناء
أصبحت بفضل إشعاعاتها الصافية .
ذات جمال مبارك هو هذا الذى تراه .
سلنى أى سؤال تريد ،

فسأجيبك على الفور دون تفكير .
واختبر فى القتال بسالتى ،
ستجدنى أبز بنات جنسى .
كن واثقاً أن سيكون السعد حليفك
إذا اتخذتنى شريكة لك فى القتال .
شارل : لقد أدهشتنى بقصتك
غير أنى سأتحقق من شجاعتك فى مبارزة بينى وبينك
فإذا انتصرتِ كان قولك حقاً
وإلا كان من حقى أن أنبذه .
بوسل : إنى على استعداد : وهذا سيفى مرهف الحد
تزينه خمس من زهرات الزنبق فى كل جانب ،
اخترته من بين كوم كبير من الحديد القديم
فى كنيسة القديسة كاترين « بتورين »[١].
شارل : تعالى إذن باسم الله فلست أخشى امرأة .
پوسل : وأنا لن أفر من رجل ما حييت .

(يتبارزان وتنتصر جان لابوسل)

(١) Touraine

شارل : كفى يدك . . . كفى ، إنك لعمرى لمن سلالة
الأمازون[١]
وسيفك سيف ديبورا [٢] .
بوسل : العذراء تناصرنى وإلا لاستولى علىّ الضعف .
شارل : أيا كان الذى يناصرك فإنك أنت التى يجب أن
تناصرينى
إننى أتحرق شوقاً إليك ،
فلقد أخضعتِ قلبى كما أخضعتِ سيفى .
بوسل أيتها الحسناء ، إن يكن ذلك اسمك ،
(ينحنى)
فاقبلينى تابعاً من مواليك لا واليا ؛
إن صاحب عرش فرنسا هو الذى يناشدك القربى .
بوسل : لست أملك أن أستجيب ، مهما تكن شرعيته
فرسالتى مقدسة من السماء
أمهلنى حتى أفرغ من طرد أعدائك من هنا ،
وعندئذ أفكر فى الجزاء .
شارل : وإلى أن يحين ذلك الوقت ، بربك امنحى العبد
نظرة العطف والرضى .

---

(١) Amazon المحاربات.
(٢) Delorah امرأة عبرانية جاء ذكرها فى سفر القضاة

رينيه : إن حديث مولاى قد طال .
ألنسون : لا شك أنه يتفحصها متعمقاً مدققاً ،
وإلا لما طال حديثه معها كل هذا الوقت .
رينيه : أنعكر عليه الصفو ما دام قد أفلت منه زمام نفسه ؟
ألنسون : قد يكون مراده فوق ما ندرك ،
فللنسوة ألسنة شديدة التأثير والإغراء (يتقدمان)
رينيه : أين أنت يا مولاى ؟ علام عزمت ؟
أنترك أورليان أم لا ؟
پوسل : أقول كلا ، أيها المتخاذلون المستضعفون !
قاتلوا حتى آخر رمق فيكم ، وسأكون حارستكم .
شارل : إنى أؤيد قولها : سنقاتل إلى النهاية .
پوسل : لقد قدر لى أن أكون للإنجليز سوط عذاب .
والليلة سأفك الحصار فكا لا ريب فيه .
والآن ، وقد دخلت هذه الحروب ،
ترقبوا أيام دفء وهدوء . ،
إنما المجد كالدائرة فى الماء
تظل أبداً فى اتساع .
حتى إذا ما بلغت غايتها ، تشتت وتبددت وانتهت
إلى لا شيء .

كذلك الإنجليز : تبدد بموت هنرى اتساع دائرتهم
وضاع مجدهم وتشتت .
وما أحسبنى إلا كيوليوس قيصر فى سفينته العاتية
إذ قال لربانها لا تخش بأساً ، فمعك قيصر
ونجمه البازغ كلاهما على السفينة .

شارل : إن يكن محمدٌ قد ألهمته حمامة(١)،
فقد ألهمك النسر .
ليس يعدلك أحد حتى هيلين(٢) أم قسطنطين العظيم،
بل حتى بنات القديس فيليب
يا كوكب الزهرة الوضاء وقد نزل على الأرض .
أنى لى من العبادة والإجلال ما يكفى لأن أقدمه
بين يديك ؟

ألنسون : فلنمض بغير إبطاء لفك الحصار .

رينيه : ابذلى أيتها المرأة ما فى طاقتك لإنقاذ شرفنا .
اطرديهم من أورليان يُكتب لك الخلود .

شارل : سنحاول ذلك على الفور ، هلم بنا لنعد العدة .
لئن ظهر كذبها فلن أومن بنبى بعد اليوم .
(يخرجون)

---

(١) (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً .)
(٢) هيلين القديسة التى قيل إنها اكتشفت الصليب الحق مدفوناً وقد ساقتها إلى مكانه رؤيا رأتها .

المنظر الثالث

لندن . أمام البرج

(يدخل دوق جلوستر وخدمه فى ثياب زرقاء)

جلوستر : جئت اليوم لأتفقد حالة البرج ،
فمنذ موت هنرى وأنا أخشى الدسائس والمكائد .
أين هؤلاء الحراس ، ولم لا يقفون فى أماكنهم ؟
افتحوا الأبواب ، إن جلوستر هو الذى ينادى .
(الخدم يدقون الأبواب)

الحارس الأول : (من الداخل) منذا الذى يدق بمثل هذه الحدة والجرأة؟
الخادم الأول : إنه النبيل الدوق جلوستر .
الحارس الثانى : (من الداخل) أيا كنت فلن يسمح لك بالدخول .
الخادم الأول : أيها الأوغاد أهكذا تحييون السيد الوصى على العرش؟
الحارس الثانى : (من الداخل) الله يحفظه . . وهذا ردنا عليه :
إننا لا نفعل إلا ما نؤمر به .
جلوستر : ومنذا الذى أمركم ؟ وهل هناك أوامر غير أوامرى ؟
ليس هناك وصى للمملكة سواى .

حطموا الأبواب وأنا المسؤول .
أفيسخر منى خدم الاصطبل هؤلاء ؟

(يهجم رجال جلوستر على أبواب البرج ويتكلم الملازم وودفيل من الداخل)

وودفيل : ما هذا الضجيج ؟ أى خونة هنا ؟

جلوستر : أهذا أنت الذى أسمع صوتك أيها الملازم ؟
افتح الأبواب . هذا جلوستر يريد أن يدخل .

وودفيل : مهلا أيها الدوق النبيل فلست مخولا أن أفتح لك الباب .
إن الكاردينال ونشستر يمنع ذلك ،
وأوامره صريحة بألا أسمح لك
أو لأتباعك بالدخول .

جلوستر : يالك من ضعيف القلب ياوودفيل ! أتفضله على ؟
ونشستر ، ذلك الأسقف المتغطرس
الذى لم يكن المغفور له الملك هنرى يطيق ؟
إنك لست مخلصاً لله ولا للملك :
افتح الأبواب وإلا سجنتك .

خدم : افتحوا الأبواب فوراً للسيد الوصى
وإلا فتحناها عنوة .

(يدخل إلى الوصى عند أبواب البرج ونشستر ورجاله فى ثياب نحاسية داكنة)

ونشستر : ما خطبك أيها الطموح همفرى ! وما معنى هذا ؟

جلوستر : أيها الكاهن الحليق الرأس أتأمر بمنعى من الدخول

ونشستر : أجل أيها الخائن المغتصب ،
فلست بوصى على الملك أو المملكة .

جلوستر : مكانك أيها المتآمر المفضوح ،
يا من تآمرت على اغتيال الملك الفقيد ،
يامن تمنح العاهرات رخصاً لممارسة الرذيلة .
فسأشدك فى قبعتك الكاردينالية العريضة
إذا تماديت فى وقاحتك .

ونشستر : مكانك . . لن أتزحزح عن مكانى قيد أنملة ؟
فلتك هذه دمشق ، إن شئت ، ولتكن أنت قابيل اللعين
جئت لتذبح أخاك هابيل .

جلوستر : لن أذبحك ولكنى سأدفع بك إلى الوراء .
سأحملك بثيابك القرمزية كما يحمل الطفل فى ثوب التعميد .
وأقذف بك من هذا المكان .

ونشستر : هل تجرؤ . . ؟ إنى أتحداك . .

جلوستر : يا للجرأة أتتحداني؟
فلتكروا ، أيها الرجال ، على هذا الحرم .
الثياب الزرقاء ضد النحاسية حذار أيها الكاهن ،
فسأشد ذقنك وأكيل لك اللكمات ،
وسأدوس تحت قدمي قبعتك الكاردينالية ،
غير عابئ بالبابا أو بأقطاب الكنيسة .
وسأقبض عليك من خديك ثم أرفعك وأخفضك مرة بعد مرة .

ونشستر : سوف تحاسب على هذا أمام البابا ، يا جلوستر .

جلوستر : يا لك من ملوث حقير! اضربوهم واطردوهم من هنا ،
أما أنت فأنا كفيل بك أيها الذئب في زي حمل !
أخسأوا ، ياذوي المعاطف المعصفرة ،
وأخسأ أيها المنافق الأحمر !

(وهنا يضرب رجال جلوستر رجال الكاردينال . وأثناء الهرج والمرج يدخل عمدة لندن وضباطه .)

العمدة : ألا بئس ما تفعلان أيها السيدان إذ تعكران الأمن بهذه الصورة المهينة ، رغم مكانتكما الرسمية الكبيرة!

جلوستر : مهلا أيها العمدة ، إنك لا تعرف شيئاً عما ارتكب في حق :

إن بوفورت هذا ، الذى لا يأبه بملك ولا برب ،
يريد أن يستولى على البرج نفسه .
ونشستر : جلوستر هذا عدو الشعب ،
لا يزال يغلب الحرب ولا يريد السلام أبداً ،
يثقل كاهل الناس بالضرائب
ويرمى إلى هدم الدين .
ويفضل وصايته على المملكة ،
يريد أن يستولى على السلاح من البرج .
لينصب نفسه ملكاً ويقضى على الأمير .
جلوستر : لن أرد عليك بالكلام بل باللكمات
(يتشاحنان مرة أخرى)
العمدة : لم يبق لى إزاء هذا العراك الصاخب
إلا أن أذيع إعلاناً على الملأ .
أعلن أيها الضابط بأعلى صوتك .
أعلن :
ضابط : إلى كل المتجمعين هنا اليوم ، والمسلحين
بما لا يرضى ، باسم سلام الله والملك ،
نطالبكم ونأمر باسم سموه أن تعودوا إلى
مساكنكم ، وألا تتقلدوا سيفاً أو سلاحاً

أو خنجراً أو تحملوه أو تستخدموه ابتداء من اليوم . إن جزاء المخالف الموت .

جلوستر : أيها الكاردينال لن أخرق القانون : ولكننا سوف نتلاقى ونكشف عما تكنه الصدور .

ونشستر : نعم سوف نلتقى ، ياجلوستر ، وثق بأنك سوف تدفع دم قلبك ثمناً لما بدر منك اليوم .

العمدة : إذا لم تنصرفوا استخدمت العصا ! إن هذا الكاردينال أكثر غطرسة من الشيطان .

جلوستر : الوداع أيها العمدة، إنك ما فعلت إلا ما يجب عليك .

ونشستر : جلوستر ، أيها اللعين احرص على رأسك فإنى قررت الظفر به عما قريب .

(ينسحب جلوستر وونشستر ورجالهما متفرقين)

العمدة : تأكد من انصراف الجميع وخل الطريق لننصرف نحن بعد ذلك ! يا إلهى كيف يطيق هؤلاء النبلاء مثل هذا الهياج. فأنا نفسى لم أقاتل مرة واحدة خلال أربعين عاماً..

(يخرجون)

المنظر الرابع

اورليان

(يدخل كبير المدفعية وولده)

كبير المدفعية : إنك تعلم يا بنى كيف حوصرت أورليان ،
وكيف ظفر الإنجليز بالضواحى .
الغلام : أعلم يا أبتاه، ولطالما أطلقت عليهم قذائفى،
ولكن أبى سوء حظى إلا أن أخطئ المرمى .
كبير المدفعية : ولكنك لن تفعل ذلك الآن . استمع لما أقوله لك :
إننى كبير المدفعية فى هذه المدينة ؟
ولا بد لى من أن أعمل شيئاً يرفع قدرى .
لقد أبلغنى مخبرو الأمير أن الإنجليز ،
وهم مخندقون فى الضواحى القريبة ،
سوف يتسللون من خلال القضبان الحديديه
ليشرفوا من هناك على المدينة
وبذلك يكشفون عن مواطن الضعف
التى أصابونا فيها بقذائفهم أو هجومهم .

فلكى أفسد عليهم خططهم المؤذية ،
رصدت لهم قطعة من المدفعية ،
وقضيت هذه الأيام الثلاثة
متربصاً بهم لعلى أراهم .
والآن ستأخذ دورك فى المراقبة
إذ تدعونى الضرورة إلى ترك مكانى .
فإذا ما رأيت شيئاً فبادر بإبلاغى ، وستجدنى فى
ديوان الحاكم . (يذهب ناحية)

الغلام ـ اطمئن يا أبى ، ولا تقلق
فإنى إذا رأيت شيئاً فلن أزعجك .

(يذهب ناحية أخرى)

(يدخل سالسبورى وتالبوت فى البرج الصغير ومعهما جلانسديل وجار جريف وآخرون)

سالسبورى : تالبوت يا حياتى وبهجتى ، لقد عدت إلينا !
كيف عاملوك فى الأسر؟
وكيف غدوت طليقاً ؟
تكلم بربك ونحن فوق قمة هذا البرج الصغير .

تالبوت : كان من بين أسرى إيرل بدفورد
محارب شجاع اسمه لورد بونتون دى سانترای

استبدلت به وفديت .
ولقد أرادوا — تحقيرا لى — مبادلتى
بمحارب حقير لا تكافؤ بينى وبينه ،
ولكننى ازدريت عرضهم وآثرت الموت
على قبول هذا الحط من كرامتى .
وأخيراً كان لى ما أردت . . . .
ولكن جراح قلبى لن تشفى ، حتى أرى ذلك الخائن
« فواستاف » لو وقع فى يدى لمزقته إربا .

سالسبورى : ولكنك لم تقل لى كيف عوملت فى الأسر .

تالبوت : عرضونى ، بالسب والشتم والسخرية والتعنيف
المقذع ،
فى ميدان عام لأكون
مشهداً يبهج الناس أجمعين .
وقالوا هذا هو باعث الرعب فى نفوس الفرنسيين
ومخيف أطفالهم . .
وغافلت الضباط الذين كانوا يحرسوننى ،
وحفرت الأرض بظافرى واستخرجت منها حجارة
أقذف بها من شهدوا عارى .
وفر الكثيرون لمنظر وجهى المكفهر .

ولم يجرؤ أحد على الاقتراب منى
خوفاً من موت مباغت .
واعتقدوا أنه لا مأمن منى حتى بعد وضعى وراء الجدران الحديدية . .
فلقد انتشر بينهم الرعب ، من ذكر اسمى
وظنوا أننى أستطيع كسر قضبان الصلب ؛
وأنى قادر على أن أركل بقدمى ، أعمدة من الحجر الصلد فتهوى وتتحطم .
لذلك أقاموا على حراستى نفراً مختاراً ،
مدججاً بالسلاح لا يفارقنى لحظة ؛
بحيث إذا بدرت من فراشى مجرد حركة ،
صوبوا النار على الفور نحو قلبى .

(يدخل الغلام مشعل قذيفة المدفع)

سالسبورى : يحزننى أن أسمع بالعذاب الذى قاسيته .
ولكننا سوف نثأر لك ثأراً عظيما . .
والآن وقت العشاء فى أورليان :
وأستطيع ، من بين هذه القضبان ، أن أحصى كل شخص،
وأن أرى كيف يحصن الفرنسيون مواقعهم .

فلنلق نظرة، وستسرون لما ترون .
أحب أن أعرف رأيكما بوضوح
يا سير توماس جريف، وسير وليام جلانسديل ،
عن أصلح مكان تدكه بطارية مدفعيتنا .
جارجريف : أظن عند الباب الشمالى فمركز اللوردات هناك .
جلانسديل : ورأيى . . هنا . . عند الجسر . .
تالبوت : الذى أراه هو أن نسلط على هذه المدينة الجوع
بمنع القوت عنها
وأن ننهكها بالمناوشات الخفيفة .

(هنا يسمع صوت مدفع . يسقط سالسبورى وجارجريف)

سالسبورى : رحمتك يا إلهى ! أغفر لنا خطايانا !
جارجريف : يارب ارحمنى واغفر لى ذنبى !
تالبوت : أى نجم مفاجئ هذا الذى مر بنا ؟
انطق ياسالسبورى ولو بكلمة واحدة إن استطعت.
كيف حالك، يازينة المقاتلين ، لقد أطاحت الضربة
بإحدى عينيك وبشطر من خدك !
سحقاً لك أيها البرج ! وتباً لليد المشئومة
التى دبرت هذه المأساة المروعة !
ثلاث عشرة موقعة انتصرت فيها ياسالسبورى ،

وأنت الذى درب على يد هنرى الخامس على الحروب ،
ما كل سيفك ولا توقف ما نفخ فى المعركة بوق أو دق طبل .
إنك ما زلت حياً ياسالسبورى ،
وإن خفت صوتك وفقدت إحدى عينيك ،
لتتطلع إلى السماء سائلا الرحمة ،
فالشمس تنظر إلى الكون كله بعين واحدة . .
لانزلت رحمة من السماء على كائن حى
إذا لم تنزل عليك ياسالسبورى !
احملوا جثمانه وسأعاونكم على مواراته التراب .
وأنت يا سير جارجريف ، أفيك رمق من حياة ؟
رد على تالبوت . . ارفع إليه عينيك . .
فلتطمئن روحك ياسالسبورى .
فلن تموت هدراً . .
إنه يشير إلى بيد ويبتسم لى
كأنما يقول « عندما أموت وأمضى
تذكر أن تثأر لى من الفرنسيين »

وسأفعل يابلانتاجنت .
ومثل نيرون سأعزف على العود ، والمدن الفرنسية
تحترق :
والويل لفرنسا من مجرد اسمى .

(نفخ بوق ورعد و برق)

ما هذه الحركة وهذا الهياج فى السماوات ؟
من أين يأتى صوت هذا البوق ومن أين هذه الضجة'

(يدخل رسول)

رسول : مولاى ، مولاى ، حشد الفرنسيون قوة مسلحة .
وقد قدم ولى العهد
ومعه نبية مقدسة . ظهرت أخيراً ،
على رأس قوة كبيرة لرفع الحصار .

(هنا يرفع سالسبورى جسمه ويئن)

تالبوت : أنصت أنصت! كيف يئن ساالسبورى وهو يلفظ
أنفاسه ؟
إن قلبه ليتمزق لأنه لا يملك الثأر .
أيها الفرنسيون سأكون لكم سالسبورى .
پوسل أو غير پوسل . . ولى العهد أو ولى المهد .
سأدوس قلبكم أيها الفرنسيون بحوافر خيلى

وأسحق رأسكم حتّى يختلط المخ بالعظم .
احملو سالسبورى إلى خيمته .
ولنرَ بعد ذلك ما يجرؤ عليه هؤلاء الفرنسيون الجبناء
(بوق . يحملون سالسورى وجارجريف)

المنظر الخامس

(هنا يسمع بوق مرة ثانية . تالبوت يتعقب ولى العهد ويدفعه أمامه : ثم تدخل جان لابوسل تدفع إنجليزياً أمامها، ثم تتعقبهم. ثم يدخل تالبوت مرة ثانية .)

تالبوت : أين قوتى وبسالتى وجنودى ؟
قواتى الإنجليزية تنسحب ولا أستطيع أن أقف انسحابها .
امرأة فى دروعها تطاردهم . . !　(تدخل لابوسل)
هاهى ذى قادمة . لابد لى من منازلتك
وسواء أكنت الشيطان أم زوجته ، سأعيدك إلى الجحيم
وسأريق دمك وأخلص من سحرك ، فما أنت إلا ساحرة مارقة
وسأبعث فى الحال بروحك إلى هذا الذى تعبدين .

پوسل : هلم إذن فأنا التى لابد لها من أن تلحق بك الخزى .　(يتقاتلان)

تالبوت : رباه أترضى أن تسود زبانية الجحيم ؟

إن صدرى سينفجر من كثرة ما سأجمع فيه من بسالتى . .
وسينخلع ذراعاى من كتفى شجاعة وإقداماً . .
ولكن لابد من أن تلقى هذه البغى الطموح جزاءها .
(يتقاتلان ثانية)

پوسل : الوداع ياالبوت لم تدن ساعتك بعد ،
فحتم على أن أزود أورليان بالقوت
(بوق قصير . ثم تدخل المدينة مع جنود)
الحق بى إن استطعت ، إنى أهزأ بقوتك
اذهب إلى جنودك الجائعين وطيب خاطرهم ،
وخذ بيد سالسبورى ليكتب وصيته :
اليوم يومنا وستكون لنا أيام كثيرة فى المستقبل .
(تخرج)

تالبوت : إن رأسى يدور كعجلة الخزاف ،
ولست أدرى أين أنا ولا ماذا أفعل .
ساحرة تدفع أمامها قواتنا
وتغزو ، كماتشاءبالخوف لا بالقوة ، قوة هانبال[1] ،
كالنحل يطرده الدخان من خلاياه ،

---

(١) قائد ، قرطاجى مشهور كانت له مع الرومان مواقع معروفة .

والحمام تطرده من مساكنه الرائحة الكريهة والضوضاء.
لقد أسمونا لصلابة عودنا وشدة مراسنا كلاباً
إنجليزية . . .
والآن نولى الأدبار كالأجراء صارخين. (بوق قصير)
أنصتوا يا بنى وطنى ! إما أن تجددوا القتال
أو تنزعوا الأسود من شعار إنجلترة .
تبرأوا من أرضكم . واتخذوا الغنم مكان الأسود .
فالغنم لا تفر من الذئب ،
والخيل والثيرة لا تفر من النمر ، فى هلع وذعر ،
كما تفرون من عبيدكم الذين طالما أخضعتموهم .
(بوق – مناوشة أخرى)
إن هذا لن يكون ! عودوا إلى خنادقكم :
لقد قبلتم جميعاً أن يقتل سالسبورى ،
إذ لا يريد أحد منكم أن يضرب ضربة واحدة
للثأر له .
ولقد دخلت بوسل أورليان
بالرغم منا ، وبالرغم من كل ما نستطيع عمله ،
ألا ليتنى مت مع سالسبورى ، فسيضطرنى العار
الذى لحق بنا لأن أدفن رأسى . (يخرج)

الفصل الأول

المنظر السادس

(يدخل على الأسوار : لابوسل ، وولى العهد ، ورينيه ، وألنسون ، وجنود)

بوسل : ارفعوا أعلامنا الخفاقة فوق الأسوار ،
فقد أنقذنا مدينة أورليان من الإنجليز :
وهكذا وفَتْ جان لا بوسل بعهدها . . .

شارل : أيها المخلوق السماوى يا ابنة إستّريا[1] ،
كيف أمجدك من أجل هذا النجاح ؟
إن وعودك كجنات آدونيس[2] .
التى ازدهرت ذات يوم وفى اليوم التالى آتت أكلها .
اهنئى يا فرنسا بنبيتك المجيدة التى حققت لك النصر !
لقد استُردّتْ مدينة أورليان :

---

(١) استّريا — إلهة العدالة ، عاشت فى العصر الذهبى بين الناس ثم هجرت الأرض فيما بعد إلى السماء .

(٢) آدونيس — حبيب أفروديت أعياده أعياد الخصب والنماء تسمى باسمه بعض النباتات .

حادث مبارك لم يصادفنا له مثيل .

رينيه : لمْ لا تقرعون الأجراسَ مُدويةً فى جميع
أنحاء المدينة ؟
مُرْ ، يا ولى العهد ، المواطنين بأن يشعلوا نيران
الفرح .
ويقيموا الأعياد والمآدب فى الطرقات
احتفالا بهذا النصر الذي مَنّ الله به علينا .

النسون : ستمتلئُ فرنسا كلها فرحاً وغبطة
عند ما تعلم دور الرجولة الذى قمنا به .

شارل : إن جان هى التى أكسبتنا اليوم ، لا نحن ،
لذلك سأقاسمها تاجى .
وسيسير كل الكهنة والرهبان فى مملكتى
فى موكب ينشدون فيه أناشيد الثناء ، والتمجيد
المطلق ، لها .
وسأبنى لها هرماً .
أفخم من هرم رودوپيه[1] أو منفيس ،
وإحياءً لذكراها بعد موتها

(١) رودپيه – حورية أو نسية تذكر فى أساطير الإغريق وينسب إليها خطأ
بناء الهرم

سأحفظ رمادها فى وعاء
أثمن من صندوق جواهر دارا[1] ،
يحمل فى الأعياد الكبرى
أمام ملوك فرنسا وملكاتها .
ولن نحتفل بالقديس دينيس[2] بعد اليوم ،
فقديسة فرنسا ستكون چان « لا پوسل » .
هلموا بنا لنحتفل فى مأدبة ، احتفالا ملكياً
بعد نصر هذا اليوم الذهبى .

(دوق . يخرجون)

(١) دارا – اسم لأول ملوك الفرس ، وباسمه تسمى كثير من ملوكهم ، لكن المشهور شهرة سليمان بالثراء هو « جم » المعروف بجمشيد .

(٢) القديس دنيس – أول قساوسة باريس يمثل جـداً رافعاً نفسه ليصل إلى رأسه المفصول . يوم عيده ٩ أكتوبر وهو قديس منطقة « الجول » .

الفصل الثانى

المنظر الأول

(نفس المنظر بعد منتصف الليل فى اليوم التالى . يدخل شرطى فرنسى ومعه حارسان)

الشرطى : الزما مكانكما ولترهفا السمع والبصر :
فإذا طرق سمعكما صوت .
أو لمحتما جندياً بالقرب من الأسوار .
فأخطرا مركز الحراسة بإشارة واضحة .
الحارس الأول : سمعاً وطاعة أيها الشرطى . (يخرج الشرطى)
هكذا الجند المساكين .
عند ما ينام الآخرون فى فراشهم الهادئ .
يتحتم عليهم السهر للمراقبة فى الظلام والمطر
والبرد . (يجلسان)

(يدخل تالبوت وبدفورد و برجندى وجنود ومعهم جملة سلالم مختلفة)

تالبوت : أيها السيد الوصى وأيها المهيب برجندى .
يا من إليهما يرجع الفضل فى ولاء أقاليم

آرتوا [١] ووالون[٢] وبيكاردى[٣] لنا ،
إن الفرنسيين ينامون فى هذه الليلة السعيدة آمنين
بعد نهار قضوه كله فى الطعام والقصف .
فلنغتنم هذه الفرصة المواتية
لنرد لهم كيدهم الذى دبروه بإحكام وبسحر أثيم .

بدفورد : يا لجبن الفرنسى ! لكم أساء إلى سمعته ،
إذ ينضم إلى صفوف السحرة ويلتمس العون من جهنم
يائساً من جدوى بأسه وقوته .

برجندى : ليس للخونة رفاق غير هؤلاء .
ولكن من تكون هذه البوسل التى يسمونها الطاهرة ؟

تالبوت : عذراء . . فيما يقولون . .

بدفورد : عذراء تقاتل هذا القتال !

برجندى : إذا كانت فى البداية

---

(١) آرتوا . Artois

(٢) والون Wallon إقليم فى بلجيكا على الحدود الفرنسية .

(٣) پيكاردى picardy

قد حملت السلاح تحت علم الفرنسيين
فالله نسأل ألا تحمل فى النهاية شيئاً .

تالبوت : على كل حال دعهم يمارسوا السحر ويناجوا الأرواح :
فالله حصننا . وباسمه القاهر عزَمنا
على أن نتسلق أسوارهم الحصينة .

بدفورد : تسلق أيها الشجاع تالبوت ونحن من ورائك .

تالبوت : كلا لا نتسلق كلنا فى مكان واحد بل يحسن أن نتباعد ،
بحيث يكون دخولنا من جهات متعددة ،
حتّى إذا ما قُدِّر لأحدنا أن يفشل
نهض الآخر ليلقى جندهم .

بدفورد : سأفعل ذلك ، سأذهب إلى ذلك الركن .

برجندى : وأنا إلى ذاك .

تالبوت : أما تالبوت فسيصعد هنا أو يذهب إلى قبره .
والآن . . من أجلك يا سلسبورى .
ومن أجل حق هنرى الإنجليزى ،
سوف تبدى هذه الليلة كم أنا مدين لكما .

(يصيح الإنجليز وهم يتسلقون الأسوار « سانت
جورج . . وتالبوت ثم يدخلون المدينة) .

الحارس (مستيقظا) : السلاح ! السلاح ! إن العدو يهجم !

(يقفز الفرنسيون فوق الأسوار بقمصانهم ومن بينهم دعى
أورليان وألنسون ورينيه لم يستكملوا استعدادهم . .)

ألنسون : ما هذا أيها السادة ؟ أهكذا لم تستكملوا
استعدادكم ؟

الدعى : لم نستكمل استعدادنا ! أجل وسعداء بفرارنا
هكذا . .

رينيه : لمْ نضيع دقيقة واحدة لننهض ونغادر فراشنا
عند سماعنا الإنذار يدق أبواب حجراتنا .

ألنسون : ما شهدت فى كل المعارك التى خضتها
معركة كثيرة الأهوال والمخاطر
كهذه المعركة . .

الدعى : أنى لأحسب هذا المدعو « تالبوت » شيطاناً
من شياطين الجحيم . .

رينيه : إن لم يكن من الجحيم فالسماء بلا شك تؤثره
وترعاه .

ألنسون : ها هو ذا شارل قادم : لشد ما أعجب كيف
طار بهذه السرعة .

الدعى : صه فالقديسة جان كانت حارسه الذى يحميه .

(يدخل شارل والپوسل)

شارل : أهكذا تمكرين بنا أيتها المخادعة ؟
تداهنينا أول الأمر
بكسب يسير .
ثم تنزلين بنا الخسائر الآن أضعافاً مضاعفة ؟

پوسل : ما بال شارل ضجراً حانقاً على صديقته ؟
أفتحسب قوتى واحدة فى كل أوان ؟
أفحتم أن أسيطر على الموقف ، نائمة كنت أو يقظانة ؟
فإن لم أفعل لمتنى وحملتنى وزر الآخرين ؟
تبا لجندك الغافلين ، لو أن الحراسة كانت يقظة
ما حل بنا هذا الشر المفاجئ .

شارل : هذه غلطتك يا دوق ألينسون ،
فإنك وأنت قائد الحراسة الليلة
لم تنهض بهذا العبء الكبير .

ألنسون : لو أن مراكزك كلها كانت فى حراسة آمنة
كالمركز الذى كنت أحرسه ،
ما فوجئنا هذه المفاجأة المخزية .

الدعى : إن مركزى كان آمناً

رينيه : وكذلك مركزى يا سيدى

شارل : أما أنا فقد كنت طوال الليل رائحاً غادياً
بين مقرها ومقر إشرافى مشغولا بإراحة الحراس :
فكيف استطاع العدو الدخول إذن ومن أين تسرب أولا ؟

بوسل : لا جدوى أيها السادة فى مواصلة التساؤل
كيف أو من أين ؛ فلا شك أنهم وجدوا
ثغرة ضعيفة الحراسة نفذوا منها
وليس أمامنا الآن إلا شىء واحد ننصرف إليه ،
وهو أن نلم شتات جندنا ،
ومن ثم نفتح ميادين جديدة لإنزال الخسائر بالعدو .

(إنذار . يدخل جندى إنجليزى صائحاً « تالبوت ! تالبوت ! » . فيفرون تاركين ثيابهم وراءهم .)

جندى : حلال لنا ما خلفوه .

إن صيحة « تالبوت » تفعل فعل السيف .
فبفضلها ، بفضل الاسم وحده
دون استخدام أي سلاح آخر ، غنمتَ هذه
الغنائم الكثيرة .

(يجمع الثياب ويخرج)

الفصل الثانى

المنظر الثانى

أوليان — داخل المدينة

(يدخل تالبوت و بدفورد و برجندى وضابط برتبة كابتن وآخرون)

بدفورد : طلائع النهار تتفتح وجحافل الليل تولى
رافعة عن الأرض نقابها الأسود الحالك .
فلتنفخوا فى البوق نوبةَ التقهقر ، ولتوقفوا تلك
المطاردة الحامية . (ينفخ فى البوق للتقهقر)

تالبوت : هاتوا جثمانَ الشيخ سالسبورى
وسيروا به إلى الميدان الرئيسى .
وسط هذه المدينة اللعينة
فالآن قد وفيت بعهدى الذى عاهدت روحه
عليه .
إن فى مقابل كل قطرة سكبها من دمه
قد أزهقت على الأقل أرواح خمسة من

الفرنسيين الليلة .
ولكيما تشهد الأجيال القادمة
مدى الدمار الذي حل أخذاً له بالثأر ،
فلأقيمن له فى أكبر معابدهم
قبراً يكون مثوى لجثمانه ؛
ولأنقشن عليه ، لكل من يقرأ ،
نبأ الاستيلاء على أورليان ،
ومأساة موته الغادر .
ثم وصف مدى الرعب الذي كان يثيره فى
قلوب الفرنسيين .
ولكننى لأ عجب ، أيها السادة ، كيف أننا
فى خلال هذه المجزرة الدموية كلها
لم نلق سمو ولى العهد ، ولا بطلته الجديدة ،
جان دارك الطاهرة ،
أو أحداً من حلفائه الزائفين . .

بدفورد : أتظن ، أيها اللورد تالبوت ، أنه عند ما بدأت الحرب
وهبوا من فراشهم الناعس ، مذعورين ،
ألقوا بأنفسهم من فوق الأسوار . .
وسط صفوف قواتهم المسلحة لتقيهم شر المعمعة؟

برجندى : إن الذى أعلمه علم اليقين ،
رغم الدخان وضباب الليل ،
أننى ألقيت الرعب فى قلب ولى العهد وعاهرته ،
عند ما انطلقا على عجل ، ذراعه فى ذراعها ،
كأليفين من حمام القمرى العاشق ،
لا يستطيعان الفراق بالليل أو بالنهار .
ولسوف نجد فى أثرهما بكل ما لدينا من قوة ،
بعد أن ننظم أمورنا هنا . (يدخل رسول)

رسول : سلام عليكم أيها السادة !
من من هذه الزمرة الرفيعة الشأن تسمونه المحارب
« تالبوت »
ذلك الذي طبق صيته آفاق فرنسا واستحوذ على
إعجاب بنيها ؟

تالبوت : هو ذا طلبتك : فمن ذا يريد أن يخاطبه ؟

رسول : إن السيدة المصونة كونتس أوڤرنى [1] ،
وهى المعجبة فى تواضع بمجدكم ،
تناشدكم يا سيدى العظيم أن تولوها عطفكم ،

---

(١) أوفرنى . Auvergne

فتزوروا قصرها المتواضع الذى تسكن فيه ؛
حتى يمكن لها أن تفخر بأنها شهدت
الرجل الذى ملأ صيت مجده سمع العالم فى دوّى سريع .

برجندى : أيكون هذا ؟ ! إننى لأرى حروبنا
تنقلب إلى رياضة سلم مضحكة ،
إذ تلتمس الحسان اللقاء .
أرجو يا سيدى ألا تخيب رجاءها الرقيق .

تالبوت : أخشى ألا أكون موضع ثقتكم
فحيث يُخفِق عالم من الرجال بكل ما أوتوا من بلاغة وبيان ،
تنجح المرأة بعطفها ورقتها :
فلتبلغها شكرى وقبولى دعوتها فى خضوع .
هلا تكرمتم يا سادة علىّ بصحبتكم ؟

بدفورد : لا وأيم الله . . فهذا فوق ما تحتمل آداب السلوك :
لقد سمعت قولا مأثوراً
بأن الضيف غير المدعو كثيراً ما يلقى أعظم

الترحيب عند انصرافه .

تالبوت : لا حيلة لى إذن . . سأذهب وحدى
لأجامل هذه السيدة الكريمة . .

تعال أيها الضابط (يهمس إليه) أعرفت قصدى ؟

الضابط : نعم يا سيدى وسأقوم على تحقيقه . .

(ينصرفون)

الفصل الثانى

المنظر الثالث

أوفرنى — قصر الكونتس

(تدخل الكونتس وبوابها)

الكونتس : أيها البواب تذكر ما قلت لك .
وعند ما تفعل ما أمرتك به أحضر إلىّ المفاتيح.

البواب : سمعاً وطاعة يا سيدتى (يخرج)

الكونتس : لقد حبكت المؤامرة :
فإذا سارت الأمور على النهج المرسوم لها
فلأشتهرن كتوميريس[1] الإسكيذية التى قتلت
قورش[2] .
إن شهرة هذا الفارس المروع عظيمة ،

(١ ، ٢) توميرس : Tomyris . يقول هيرودوت إنها ملكة ماساجتاى . وقصتها أن قورش (Cyrus) أسر ابنها وقتله ثم أسرته هى فيما بعد وقطعت رأسه وألقت به فى وعاء ملىء بالدم البشرى وهى تقول « اشرب من الدم الذى طالما ظمئت إليه . »

وفعاله لا تقل عنها عظمة وجلالا ،
ولكم أرغب فى أن تشهد عيناي ما سمعته أذناى ،
لتصدر حكمها على هذه الفعال النادرة .

(يدخل رسول وتالبوت)

رسول : سيدتى ، لقد أتى السيد « تالبوت »
تلبية لرغبتك ورجائك .

الكونتس : مرحباً به . . ماذا ؟ أهذا هو الرجل ؟

رسول : أجل يا سيدتى .

الكونتس : أهذا هو جلاد فرنسا وسوط عذابها ؟
أهذا هو « تالبوت» الذى يملأ القلوب رعباً فى الخارج
وباسمه تسكت الأمهات صغارهن ؟
إن الذي ذاع عنه فيما أرى خرافة وبطلان .
حسبت أنى سوف أرى هرقلا فى الرجال ،
أو خليفة لهكتور ذى الوجه الصارم
والجسم الضخم والعضلات المفتولة . . .
واحسرتاه . . لست أرى أمامى غير صبى . .
قزم . . ضئيل !

وليس بممكن أن يوقع هذا الضعيف الهزيل
الذى يشبه برغوث البحر —
مثل هذا الرعب فى قلوب أعدائه .

تالبوت : يا صاحبة العصمة ، أحسبنى جاوزت حدى
بإزعاجك .
أما وعصمتك مشغولة ،
فسأنتهز فرصة أخرى أحظى فيها بزيارتك .

الكونتس : ما الذى يعنى بقوله هذا ؟ اذهب وسله أين
يذهب .

رسول : فلتبق أيها اللورد تالبوت . إن سيدتى
تتوسل إليك
هلا أبلغتها سر انصرافك المفاجئ

تالبوت : ما دام هذا هو رأيها فسأمضى
لأثبت لها أن الذى كان موجوداً هو تالبوت ؛
لتصحح رأيها .

(يدخل البواب مرة ثانية ومعه المفاتيح)

الكونتس : إذا كنته فأنت إذن سجين .

تالبوت : سجين ! وسجين من ؟

الكونتس : . . سجينى . . أيها اللورد الظامئ للدماء
من أجل ذلك استدرجتك إلى منزلى ،

لقد ظل شبحك رفيقاً لى زماناً طويلاً
وبرهان ذلك فى صورتك المعلقة بالبهو .
أما الآن فسأستبدل الحقيقة بالخيال ،
سأضع الأغلال فى هذه الأرجل والأذرع .
أرجلك وأذرعك التى استنزفت طوال هذه السنين ،
بلدنا وذبحت أبناء وطننا ،
ودفعت بالأبناء والأزواج إلى الأسر والذل .

تالبوت : ها، ها، ها !

الكونتس : أتضحك أيها الشقى التعس ؟ لسوف ينقلب
فرحاك أنيناً وحسرات .

تالبوت : إننى أضحك إذ أرى عصمتك من الغفلة
بحيث تظنين أن بين يديك شيئاً غير شبح
تالبوت
تنزلين به صنوف تنكيلك وقسوتك .

الكونتس : ماذا ؟ ألست الرجل ؟

تالبوت : أجل أننى هو .

الكونتس إذن فليس الذى بين يدى مجرد خيال بل
هو مادة هى جسم أيضاً .

تالبوت : كلا كلا فلست إلا شبح نفسى :

إنك مخدوعة فجسدى ليس هنا .
وليس الذى ترين إلا أضأل جزء منى
وأقل نسبة من الإنسان :
سأشرح لك يا سيدتى ، لو أن هيكلى كله
كان هنا
لضاق سقف بيتك عن احتوائه
لعظم مقداره ولضخامته .

الكونتس : ما هذه الألغاز التى تصطنع :
هو هنا ومع ذلك ليس هنا .
كيف تتواءم هذه المتناقضات ؟

تالبوت : ذلك ما سوف أبين لك على الفور . . .

(ينفخ فى بوقه : تدق طبول . ويقصف مدفع : وتدخل جنود)

والآن يا سيدتى هل اقتنعت
بأن تالبوت ليس إلا شبحاً لنفسه ؟
هؤلاء هم مادته وعضلاته وسواعده وقوته ،
الذين يشد بهم رقابكم المتمردة إلى النير ،
ويمحق مدنكم ويدمر بلدانكم ،
وفى طرفة عين يحيلها خراباً .

الكونتس : أيها الظافر المظفر تالبوت ! اغفر لى زلّتى :
لقد تبين لى أناك لا تقل قدراً عن الذائع من صيتاك ،
إناك لأعلى منزلة مما قد يوحى به شكلاك ومظهرك.
ناشدتاك ألا تكون عجرفتى متاراً لغضباك
فالأسى يملأ جوانحى أن قد لقيتاك
بغير ما أنت أهل له من الإجلال .
تالبوت : لا بأس علياك يا حسنائى ، لا تأسى ولا تحزنى ،
ولا تظنى « بتالبوت » الظنون فتسيئى فهمه ،
كما أسأت تأويل مظهر جسمه .
إن الذى فعلته ما ساءنى وما كدرنى ؛
وليس لى ترضية أطلبها إياك ،
اللهم إلا إذا أذنت لنا
أن نتذوق أنبذتاك ، وما لديك من لذات .
فبطون الجند دائماً مرهفة الشهية .
الكونتس : على الرحب والسعة ؛ وإنه لمن دواعى الشرف
أن أكرم فى بيتى محارباً فى مثل منزلتك
(يدخلون)

الفصل الثانى

المنظر الرابع

لندن — (حديقة المعبد)

(يدخل إيرل سمرست و إيرل سافوك و إيرل وريك ورتشارد بلانتاجنت وفيرنون ومحام آخر)

بلانتاجنت : أيها اللوردات والسادة ما معنى هذا السكوت ؟
أليس لدى أحد من الشجاعة ما يدافع به عن قضية حق ؟

سافوك : فى البهو علت أصواتنا فوق ما ينبغى ،
ولكن الحديقة هنا أوفى بالغرض .

بلانتاجنت : خبرونى إذن على الفور أأنا على حق ،
أم أن سمرست اللجوج على خطأ ؟

سافوك : الحق أنى كنت أهرب من درس القانون ،
وما استطعت حتى الآن أن أشكل رغبتى وفقاً له ؛
ولذلك أشكل القانون ليوافق رغبتى .

سمرست : فلتحكم أنت إذن بيننا يا سيدى اللورد وَريك

وريك : بين صقرين أيهما أكثر تحليقاً فى أجواز الفضاء؛
بين كلبين أيهما أعمق فماً ،
بين جوادين أيهما أرشق حركة ،
بين فتاتين أيتهما أفتن دعجا :
قد يكون لى فى ذلك بعض قدرة سطحية على الحكم :
أما فى هذه المسائل الرفيعة من دقائق القانون ،
فإنى أخشى أن مدى إدراكى لها
لا يزيد على إدراك غبى .

بلانتاجنت : كفى ، كفى ، وصبراً يليق بالكرام .
إن الحق يظهر جليا فى جانبى ،
حتى ليسهل على العين الكليلة أن تراه .

سمرست : وهو فى جانبى واضح وضاء بين ،
حتى لينفذ إلى عين الأعمى ،
ويضىء فى ثناياها .

بلانتاجنت : ما دامت ألسنتكم معقودة وتأبون الكلام
فلتفصحوا عن حكمكم ولتبينوا عنه وأنتم صامتون :
من كان منكم سيداً كريم المحتد ،

يحرص على شرف منبته ،
فليقطف معى ، إذا كان يعتقد أنى على حق ،
وردة بيضاء[1] من هذه الخميلة ،

سمرست : ومن لم يكن منكم جباناً منافقاً ،
بل كان جريئاً فى مؤازرة الحق ،
فليقطف معى وردة من هذا الشوك .

وريك : أنا لا أحب الألوان ، لذلك ودون اتخاذ أى لون من الألوان .
التى ترمز إلى النفاق الرخيص أو تلمح به ،
أقطف هذه الوردة البيضاء مع بلانتاجنت .

سافوك : وأنا أقطف هذه الوردة الحمراء مع سمرست ،
وأقول عن يقين إنه على حق .

فيرنون : مهلا أيها اللوردات والسادة
ولتكفوا عن القطف ، حتى تقرروا
بأن على صاحب الورود الأقل
أن يسلم للآخر بوجهة نظره .

سمرست : اعتراضك مقبول أيها السيد فيرنون ؛

---

(١) الورود بألوانها كانت تتخذ رموزاً وتلبس شارات لتتميز بها أسرة على أخرى بأشياعها .

فإذا كان نصيبي الأقل فسأمتثل فى صمت

بلانتاجنت : وأنا أيضاً .

فيرنون : إذن فى سبيل الحق الذى حصحص ،
أقطف هذه النوارة العذراء الشاحبة ؛
مصدراً قرارى فى جانب الوردة البيضاء ،

سمرست : حذار من وخز إصبعك وأنت تقطفها ،
لئلا يدمى فيصبغ البيضاء بالأحمر القانى .
فتصبح من حزبى رغم أنفك .

فيرنون : إذا كنت فى سبيل الرأى أنزف دمى ،
فسيكون الرأى طبيباً لجرحى ،
مبقياً أياى فى الجانب الذى لا أزال فيه
ثابتاً على الرأي .

سمرست : حسن حسن . . هلموا هلموا . . من التالى؟

محام : اللهم إلا أن تكون دراستى وكتبى باطلة ،
فرأيك الذى تمسكت به خاطئ ؛ (لسمرست)
ولذلك أقطف أنا أيضاً وردة بيضاء .

بلانتاجنت : والآن يا سمرست أين سندك ؟

سمرست : سندي هنا فى الغمد يفكر
كيف يصبغ وردتك البيضاء بالأحمر القانى .

بلانتاجنت : وحتى ننتهى إلى رأى يبدو خداك فى لون وردنا،
فهما من الخوف شاحبان إذ يريان الحق فى جانبنا .

سمرست : كلا يا بلانتاجنت ،
ليس من الخوف بل من الغيظ
يحمر خداك خجلا لتحاكى وردنا ،
ومع ذلك فلا يريد لسانك أن يقر بخطئك .

بلانتاجنت : أليس فى وردتك سوسة يا سمرست ؟

سمرست : أليس فى وردتك شوكة يا بلانتاجنت ؟

بلانتاجنت : نعم حادة نفاذة لتحمى حقها ؛
بينما تنخر سوستك بالباطل وردتك .

سمرست : حسن . . لسوف أجد أصدقاء يرشقون وردى الدامى
فوق صدورهم مؤازرين الحق الذى ذهبت إليه.
ولن تجرأ ورود بلانتاجنت إذ ذاك على الظهور.

بلانتاجنت : وحق هذه النوارة العذراء فى يدى
إنى لأحقرنك أنت وعصبتك ، أيها الفتى المنكود .

سافوك : لا توجه تحقيرك هذه الناحية يا بلانتاجنت .

بلانتاجنت : سأفعل أيها البولى[١] المتعجرف ، وسأزدريكما
معاً إياك وإياه .

سافوك : سأسدد سيفى نحو حلقك .

سمرست : انصرف انصرف ، أيها الطيب وليم دي لابول !
إننا نشرف القروي بالتحدث معه .

وريك : إنك ، وأيم الحق ، تتجنى عليه ، يا سمرست ،
فأبوه « ليونيل » ، دوق كلارنس ،
الابن الثالث ، لادوارد الثالث ، ملك إنجلتره :
وهل ينبت القرويون الأجلاف من أصل كهذا
بعيد الغور ؟

بلانتاجنت : إنه يحتمى بحرمة المكان[٢] .
ولولا ذلك ما جرؤ بجبنه على القول الذى قال .

سمرست : والذى خلقنى لأقولن قولتى هذه ، ولن أعدل عنها ،
فى أية بقعة من الأرض ، فى عالم المسيحية .
ألم يشنق أبوك رتشارد ، إيرل كامبردج ،
لارتكابه جريمة الخيانة العظمى فى عهد المغفور
له الملك ؟

(١) البولى : Pole نسبة إلى أسرة بول يقصد « وليم دولابول » المذكور ، أحد أحداده كما يزعم خصمه .
(٢) المعبد .

أو لست . بسبب هذه الخيانة ، ملطخاً بالعار ،
مطروداً ، محروماً من شرف الأجداد ؟
إن جرمه لا يزال يجرى حياً فى دمك .
وحتى يرد اعتبارك ، ستظل قروياً من العامة ،

بلانتاجنت : إن أبى قد اعتقل ، ولكنه لم يطلخ بالعار ،
حكم عليه بالموت للخيانة العظمى ، ولكنه لم
يكن خائناً ،
وسأقيم البرهان على ذلك أمام رجال أسمى من
سمرست
متى أتاحت لى الأيام المقبلة فرصة أطيب .
أما أنت ونصيرك بول ،
فسأخط اسميكما فى كتاب ذاكرتى ،
لاقتص منكما ذات يوم على ما اعتقدتما فىّ
وفى أبىّ
فلتحفظا ذلك جيداً ، وسلما بأننى أديت أمانة
الإنذار : اللهم فاشهد .

سمرست : ليطمئن بالك فسوف تجدنا على استعداد
لملاقاتك

ولتعرف أننا أعداؤك بهذه الألوان ،
التى سوف يحملها أصدقائى بالرغم منك .
بلانتاجنت : لأقسمن بروحى أن ألبس أنا وزمرتى إلى الأبد
هذه الوردة الشاحبة الغاضبة ،
تذكرة لكرهى المتعطش للدماء ؛
إلى أن تذبل معى فى قبرى ؛
أو أن تزهو باسترداد اعتبارى .
سافوك : اذهب . . إلى حيث يخنقك طموحك ؛
وداعاً إذن حتى نلتقى مرة ثانية . (يخرج)
سمرست : خذنى معك يابول . وداعاً ، يا رتشارد ، الطموح . (يخرج)
بلانتاجنت : يا للتحدى . . ومع ذلك لا مناص من احتماله !
وريك : هذه اللطخة التى ينتقصون بها بيتك ،
سوف تمحى فى دورة البرلمان القادم ،
الذى دعى للتهادن بين ونشستر وجلوستر .
ولن أكون جديراً باسمى ،
إذا لم يرد لك اعتبارك تحت اسم « يورك » .
وحتى ذلك الحين سأضع على صدرى ، بوصفى واحداً

من زمرتك ،
هذه الوردة الجميلة رمزاً لحبى ومؤازرتى لك
ضد سمرست المتعجرف ووليم بول .
وإنى لأطلق هذه النبوءة هنا :
إن هذه المشاحنة التى جرت اليوم فى حديقة
المعبد
سوف تؤدى إلى صراع بين الوردتين البيضاء
والحمراء .
يلقى بسببه فى أتون الموت وسكونه الرهيب ألفُ
روح .

بلانتاجنت : أيها السيد الكريم فرنون ، إنى مدين لك ؛
لاقتطافك زهرة من أجلى .

فرنون : ومن أجلك سأظل محتفظاً بها .

محام : وأنا أيضاً .

بلانتاجنت : شكراً ، سيدىِ الفاضل ،
هلموا أربعتنا إلى العشاء .
ولترتو هذه المعركة بالدماء ، فى يوم آخر .

(يخرجون)

الفصل الثانى

المنظر الخامس

برج لندن

(يدخل مورتيمر محمولا فى مقعد ؛ وسجانون)

مورتيمر : أى حارسىّ ، ما بقى من عمرى الواهى المتداعى ،
ناشدتكما الرحمة . . دعوا مورتيمر الذي
يحتضر يلقى الراحة هنا .
إنى لأشعر بأطرافى ، من طول السجن ،
وكأنما انتزعت الآن من آلة التعذيب :
وأن هذا الشيب الذي يسبق الموت .
والذى أشعله ، كما أشعل شعر نسطور[1] ،
عمر من المتاعب والهموم ،
لبشير بنهاية أدموند مورتيمر .
وهذه العيون التى تبدو كمصابيح نفد زيتها
تذبل ويذوى بريقها مقتربة من نهايتها .

---

(١) حكيم إعريقى ، شيخ يضرب به المثل فى الشيخوخة والحكمة .

أكتاف حملت فوق ما تطيق أعباء الأسى ،
وسواعد واهية كالكرم الذابل تدلت أغصانه
الجافة إلى الأرض :
غير أن هذه الأقدام ، التى أصابها الشلل،
وفقدت بذلك القدرة على حمل هذه الكتلة
من الطين ، تكاد تطير بدافع الرغبة إلى القبر
بعد أن فقدت كل لون من ألوان الراحة .
ولكن خبرنى أيها السجان هل أبن أختى آت ؟

السجان الأول : سيأتى، رتشارد بلانتاجنت، يا سيدى اللورد .
لقد أرسلنا إليه فى المعبد، فى مقصورته ،
وجاءنا الرد بأنه قادم .

مورتيمر : كفى : فستقر عند ذلك نفسى .
يا للسيد المسكين ! لقد ظلم قدر ما ظلمت ،
فمنذ بزغ نجم هنرى مونموث ، وتولى الحكم
أفل نجمى العالى
وانتهيت إلى هذه العزلة الكريهة .
ومنذ ذلك الوقت نفسه دلف رتشارد إلى
الظلام
محروماً من شرف محتده وإرثه

أما الآن فإن مخلص البائسين والتعساء ،
الموت الحق على كل حي ، سوف يهيئ لى
سبيل الخلاص السعيد .
ولكم أرجو أن تنتهى متاعبه ، هو أيضاً ،
حتى يستعيد الذى فقد .

(يدخل رتشارد بلنتاجنت)

السجان الأول : سيدى اللورد إن ابن أختك قد أقبل .
مورتيمر : رتشارد بلانتاجنت يا صديقى هل أقبلت ؟
بلانتاجنت : أجل يا خالى النبيل لقد جاء ابن أختك المحقّر .
مورتيمر : خذوا ذراعى حتى أستطيع أن أضمهما حول عنقه ؛
وعلى صدره ألفظ آخر أنفاسى :
خبرونى عند ما تلمس شفتاى خده ،
حتى أستطيع أن أجتبيه بقبلة واهية .
والآن تحدث أيها الفرع الطيب من شجرة «يورك» العظيمة
لماذا قلت منذ قليل إنك محقر ؟
بلانتاجنت : أولا أسند ظهرك المسن إلى ذراعى ، لتستريح .
وعندئذ سأقص عليك قصتى ،

اليوم ونحن نتناقش فى قضية ،
تبادلت أنا وسمرست بعض الكلمات :
فانزلق أثناءها لسانه ،
فعابنى بموت أبى وعيرنى .
فعقد التعبير لسانى ،
وإلا لرددت عليه إساءته .
فلتخبرنى إذن ، أيها الخال الطيب ،
حباً فى والدى وفى شرف بلنتاجنت
عن السبب الذى من أجله أطيح برأس أبى ،
إيرل كمبردج .

مورتيمر : هو نفس السبب يا ابن أختى العزيز ، نفس السبب اللعين
الذى انتهى بى إلى السجن ،
وضيع على زهرة شبابى فى جب كريه ،
أذوى فيه وأذوب . هو نفسه الذى أودى به .

بلانتاجنت : أفصح بربك عن السبب ؛
فلا علم عندى ، ولا أستطيع الحدس .

مورتيمر : سأفعل إذا سمحت لى أنفاسى الواهية .
ولم يأتنى الموت قبل أن أتم قصتى .

إن هنری الرابع جد هذا الملك ،
قد خلع ابن أخيه رتشارد ، بن إدوارد البكر ،
والوريث الشرعى للملك إدوارد ، ثالث ملوك الأسرة :
وفى أثناء حكمه رأت عشيرة « برسى [1] » التى تقطن الشمال
أن هذا الاغتصاب جد ظالم ،
فحاولت أن ترشحنى للعرش :
والسبب الذى دفع هؤلاء السادة المحاربين إلى ذلك
هو أننى عند ما نحى الملك رتشارد الشاب بهذه الطريقة
كنت أنا الذى أليه بميلادى وأبوى .
فمن ناحية أمى أنحدر من ليونيل دوق كلارنس
الابن الثالث للملك إدوارد الثالث ، بينما هو
ينتمى إلى سلالة « جون جونت [2] »
وترتيبه فى هذه السلالة الباسلة الرابع فحسب .

---

(١) عشيرة برسى : The Percies
(٢) جون جونت : John of gaunt

ولكن تأمل : لقد جاهدوا فى هذه المحاولة
العظيمة السامية، ليقيموا الوريث الشرعى .
فماذا كانت النتيجة ؟ !
فقدت حريتى وفقدوا حياتهم . . .
وبعد ذلك بزمان طويل ، عند ما ولى هنرى
الخامس الحكم بعد أبيه بولنبروك ،
جاء أبوك إيرل كامبردج
وهو ينحدر من سلالة أدموند «لانجلى[١] »
ذائع الصيت دوق يورك ،
وتزوج من أختى التى هى أمك .
وعطفا على حالى التعسة مرة أخرى
جمع جيشاً وأراد أن يفك إسارى ،
ويضع التاج على رأسى ،
ولكن حظ هذا السيد النبيل
كان كحظ الآخرين :
فقد ضربت عنقه ؛
وهكذا قمعت أسرة مورتيمر

---

(١) أدموند لانجلى : Edmund Laugley

صاحبة الحق فى التاج .

بلانتاجنت : وأنت يا سيدى الممجد ، آخر سلالة هذه الأسرة ؟

مورتيمر : أجل . وها أنت ذا ترى أنه ليس لى خلف ،
وكلماتى الواهية إيذان بقرب موت أكيد .
فأنت وريثى ، وأترك لك بقية الأمر ؛
ولكن لتحرص غاية الحرص والحذر فى سعيك العظيم ،

بلانتاجنت : إنى متقبل تحذيرك الرهيب ؛
غير أنى لست أرى إعدام أبى إلا عملا ظالماً مستبدا .

مورتيمر : بالصمت يا بنى أحسن سياستك .
إن بيت لانكستر ثابت الدعائم ،
راسخ كالجبل لا يمكن أن يزحزح ؛
لقد حان الحين ، وخالك تارك دنياه ، رائح ؛
كما يروح الأمراء حين يغادرون بلاطهم ؛
وقد أعياهم السرف ، والترف ،
والملال من الإقامة المتطاولة فى مكان واحد .

بلانتاجنت : أيها الخال لو أستطيع أن أفتدى عمرك بسنين
من شبابى لافتديتك . . .!

مورتيمر : إنما أنت بذلك تسىء إلى
كذلك القاتل الذى يطعن عدة طعنات
بينما الطعنة الواحدة كافية لتميت :
لا تحزن ، إلا أن يكون فى الحزن ما يفيدنى .
حسبك أن تأمر بإعداد جنازتى :
أستودعك الله ولتكن حلوة أمانيك كلها ،
وموفقة حياتك فى السلم والحرب ! (يموت)

بلانتاجنت فلتنزل على روحك الراحلة سكينة السلام
لا الحرب !
لقد قضيت فى السجن حجة ،
وكنت كالناسك شديد الرغبة فى أن تطول
أيامك فيه ،
والآن سأكتم نصيحتك فى صدرى ،
وسأهدئ من جامح خيالى وتصورى .
أيها السجانون احملوه من هنا ،
وسأعمل على أن يكون مأتمه خيراً من حياته .
(يحمل السجانون جثمان مورتيمر)

لقد انطفأت شعلة مورتيمر الواهية .
خنقها طموح من أدنأ الأنواع وأحطها .
أما هذه المظالم ، وهذه الإساءات المرة ،
التى ألحقها سمرست ببيتى ،
فلست أشك فى أنى سأنتزع عنها ترضية شريفة .
فلأعجل إذن إلى البرلمان ،
فإما أن يرد إلى اعتبارى وحق دمى ،
أو أجعل من الشر المحيق بى ما يخدم أغراضى .
(يخرج)

الفصل الثالث

المنظر الأول

لندن — دار البرلمان

(بوق — يدخل الملك وإكستر وجلوستر و ونشستر ووريك وسمرست وسافوك وريتشارد بلانتاجنت . جلوستر يهم بتقديم مشروع مرسوم . . ونشستر يخطفه ويمزقه .)

ونشستر : أتأتى بوثائق مكتوبة ، ومذكرات مدروسة
مدبرة ، ياهمفري جلوستر ؟
إذا أردت اتهامى ؛ أو توجيه أى اعتراض إلىّ ،
فلتفعل ذلك من غير تدبير ، وفى الحال
كما أفعل أنا ، عند ما أرتجل الإجابة
على اتهاماتك واعتراضاتك بمجرد توجيهها إلىّ .

جلوستر : أيها الكاهن المتعجرف ! إن هذا المكان يفرض
على الصبر والأناة .
وإلا لكنتَ رأيتَ مغبة إهانتك .
ولئن كنت آثرت تسجيل جرائمك الفاضحة
الخسيسة كتابة ،

فلا تحسبن أنى لفقت التهمة ،
أو أننى أعجز عن تكرار ما خطه قلمى كلمة
كلمة :

كلا أيها القسيس ، إن جرأتك وقحتك ،
وفسقك وفجورك ، وألاعيبك ومنازعاتك ،
قد بلغت من الشناعة
أن بات الصبية أنفسهم يثرثرون بعجرفتك .
أجل وإنك لمراب أثيم ،
الوقاحة طبيعتك ، وإنك لعدو للسلام .
وصفاتك البهيمية وخلاعتك ، واستهتارك ،
لا تتفق بحال مع منزلتك ، وكرامة منصبك ،
أما غدرك فأى شىء أبدى من ذلك وأظهر ؟
لقد نصبت لى شركاً ، لاغتيال حياتى ،
مرة على جسر لندن ، ومرة فى البرج ؛
وأخشى ، فضلا عن ذلك ، أننا لو تبينا
أفكارك
لما سلم الملك نفسه ، مولاك ، من الحقد الدفين
فى قلبك المترع بالشرور .

ونشستر : إنى أهزأ بك ، يا جلوستر ،
وأنتم أيها اللوردات ، ناشدتكم الله
أن تستمعوا لما أقول ردا عليه .
لو أننى كنت جشعاً طموحاً ، أو منحرفاً عن الحق ،
كما صورنى ، لما أمكن أن أبلغ من الفقر هذا المبلغ .
وما بالى لا أعمل على تقدم مركزى أو رفعة شأنى ؟
فلا أزال أحتفظ بمهنتى التى ألفتها من زمان .
أما المنازعات والشقاق
فمنذا الذى يحب السلام أكثر منى ؟
اللهم إلا أن أستفز .
كلا ، أيها السادة الأفاضل ،
ليس هذا هو مصدر ما يثيره ،
ليس هذا هو الذى يملأ قلب الدوق بالغيظ :
إن السبب الحقيقى هو أنه لا يريد أن يكون لأحد سواه نفوذ ،

ولا يريد أن يكون أحد إلى جانب الملك . .
سواه .
هذا هو الذى يثير الرعود فى صدره ؛
ويجعله يزأر بهذه الاتهامات ؛
لكنه سوف يعلم أننى لست أقلّ منه .

جلوستر : لست أقل منى !
« أيها الابن الدعى غير الشرعى لجدى !

ونشستر : أجل سيدي اللورد المبجل ، فمن بالله تكون ؟
إنك لسـ إلا عاتياً يستوى على عرش غيره ؟

جلوستر : ألست الوصى أيها الكاهن السليط ؟

ونشستر : وألست أنا أسقفاً للكنيسة ؟

جلوستر : أجل كطريد فى قصر يحتمى به ويدافع عم
سرقه !

ونشستر : جلوستر ، أيها السيد ، غير المبجل !

جلوستر : أنت مبجل
بحكم منصلك الروحى لا بحكم سلوكك ،

ونشستر : لسوف ترى روما علاجاً لهذه الحال

وريك : روما . . هلم أرومها إذن ؟

سمرست : سيدى اللورد كان من واجبك أن تصطنع الرفق والأناة

وريك : نعم وأعمل على أن يخفف الأسقف من غلوائه .

سمرست : أحسب أن سيدى اللورد ديّن يعرف مكانة هذا المنصب .

وريك : وأحسب أن يكون نيافته أكثر تواضعاً ،
فليس من اللائق بأسقف ، أن يندفع فى اتهاماته كما فعل .

سمرست : بل يليق به عند ما تمس قداسته عن قرب كما حدث ،

وريك : قداسة أو لاقداسة . . أية أهمية لذلك ؟
أليس رفعته وصيا على العرش ؟

بلانتاجنت : (جانباً) ينبغى لبلانتاجنت فيما أرى أن يكف لسانه ،
لئلا يقال « تكلم يا غلام عند ما يجب الكلام ،
أينبغى أن تقحم نفسك بين اللوردات ؟ » ،
ولولا ذلك لأرسلت قذيفةً نحو ونشستر .

الملك : عماى بجلوستر وونشستر ،
وكلا كما حامى الوطن الإنجليزى الكبير ،

لو أن الدعوات تستجاب ،
لأمكننى أن أربط قلبيكما بالحب والمودة .
أية فضيحة للتاج ، أن يتشاحن نبيلان كبيران مثلكما !
صدقونى أيها السادة النبلاء ،
إننى رغم عمرى الغض ،
لأستطيع أن أتبين أن الشقاق الداخلى ؟
سوسة سامة تنخر أحشاء الوطن الكبير .
(أصوات من الخارج)
« ليسقط أصحاب الملابس السمراء النحاسية ! »
ما هذه الجلبة ؟

ورلك : فتنة فيما أعتقد
بدأها الحقد الذى يغلى فى صدور رجال الأسقف ،
الصيحات مرة أخرى « حجارة . . حجارة ! »
(يدخل العمدة)

العمدة : أيها السادة الأجلاء ، سيدى هنرى ، صاحب السماحة ،
رحمة بمدينة لندن رحمة بنا !

إن رجال الأسقف ، ودق جلوستر ،
وقد منعوا أخيراً من حمل السلاح ،
قد ملأوا جيوبهم بالحجارة والحصباء ،
وتجمعوا عصابات فى جهات متقابلة ،
وأخذوا يتراشقون بالحجارة .
يقذفونها فى سرعة نحو الرءوس ،
وقد أصابت الحجارة جماجم الكثيرين :
وحطمت النوافذ فى كل شارع ،
واضطرنا الخوف إلى إغلاق الحوانيت .

(يدخل أتباع جلوستر ونشستر مشتبكين فى مناوشات و رءوس البعض دامية)

الملك : إننا نطلب إليكم ، بما عليكم لنا من واجب الولاء ،
أن تكفوا أيديكم عن التناحر ، وأن تحفظوا الأمن .
رجاؤنا إليك ، أيها العم جلوستر ، أن تسكت
هذا التشاحن .

التابع الأول : إذا منعنا عن الحجارة فسنستخدم أنيابنا .

التابع الثانى : إن عزمنا ثابت ، وسنفعل كل ما فى طوقنا .

(يتناوشون مرة ثانية)

جلوستر : أيها الأتباع دعوا هذا الشغب الطائش،
فليس ذلك من عادتكم .

تابع ثالث : سيدى إننا نعهد فى رفعتكم العدالة والاستقامة ،
وفى سبيل دمكم الملكى ، وفى سبيل منزلتكم
التى لا تعلو عليها منزلة غير منزلة صاحب الجلالة ،
سنقاتل نحن وأزواجنا وأبناؤنا إلى أن يذبحنا أعداؤنا ،
حتى لا يتاح لدعى كهذا أن يهين مثل هذا الأمير
وهو الوالد البر الرحيم للوطن الكبير .

تابع أول : أجل بل إن قلامة أظافرنا ستقاتل فى الميدان ،
بعد أن نوارى التراب ، كفوا ، كفوا !

جلوستر
(يشتبكون مرة أخرى)
: وإذا كنتم تحبوننى ، كما تقولون ،
فلتستمعوا لقولى وتمسكوا عن العراك ،

الملك : لكم يحز هذا الخلاف فى نفسى .
أفهل ترى دموعى وتسمع آهاتى
أيها اللورد ونشستر ثم لا تلين ؟

منذا يرق قلبه أو تفيض رحمته إذا أنت لم تفعل ؟
وإذا كان رجال الكنيسة ، بقداستهم ،
يستهويهم الشغب والنزاع كما تفعلون ،
فمنذا الذى يعنى بالسلم ويعمل للمحافظة عليه؟

وريك : فلتذعن للأمر يا سيدى الوصى ،
وأنت أيضاً يا ونشستر ،
اللهم إلا إذا كنتما تريدان بعنادكما ، ورفضكما
أن تقضيا على الملك وتخربا المملكة .
ألا تريان مدى الضرر بل القتل
الذى وقع بسبب عداوتكما ؟
كفاكما ذلك ولتهدءا ، إلا إذا كنتما متعطشين للدماء .

ونشستر : إما أن يخضع هو أو لا أسلم أبدا .

جلوستر : إن حنانى على الملك يدعونى إلى أن أطأطئ الرأس
ولولا ذلك لانتزعت قلب الكاهن من بين جنبيه
قبل أن ينال منى هذا النزول عن حقى .

وريك : ألا ترى يا سيدى اللورد ونشستر

في انبساط وجه الدوق وانفراج أساريره ،
أنه قد زايله غضبه الذى لم يرو ومزاجه المكفهر ؟
فلماذا يظل وجهك متجهماً ترتسم عليه علامات الأسى ؟

جلوستر : إليك يدى يا ونشستر . .

الملك : ويحك أيها العم بوفرت لقد سمعتك تعظ
فتقول إن الحقد ذنب عظيم وجريرة لا تغتفر .
أتنهى عن خلق وتأتى مثله ، .
مخالفاً بذلك التعاليم التى تدعو إليها أنت نفسك؟!

وريك : أيها الملك النقى السريرة ، إن عتابك الأسقف
وتأنيبك إياه مشرب بالعطف !
سيدى اللورد ونشستر عار ، وأيم الحق ، ألا تلين عريكتك .
عجيب والله أمرك ، أفيرشدك طفل إلى ما ينبغى أن تفعل ؟

ونشستر : أيها الدوق جلوستر ، سأسلم لك .
وسأبادلك ، حبا بحب ، ويداً بيد ،

جلوستر : (جانباً) نعم ولكنى أخشى أنها ليست صادقة صادرة من القلب .

(بصوت مرتفع) اشهدوا أيها الأصدقاء ،
والمواطنون المخلصون ،
هذا رمز الهدنة بيننا ، فليشهد كل التابعين لنا ؛
وليكن الله فى عونى فما أنا بالمنافق !

ونشستر : (جانباً) ليكن الله فى عونى فما أنا بالجاد !

الملك : أيها العم المحب ذو القلب الطيب ، دوق جلوستر،
ما أسعدنى بهذا التعاهد !
انصرفوا أيها السادة ! ولا تعكروا الصفو مرة أخرى ؛
بل تصاحبوا فى مودة كما فعل سادتكم .

التابع الأول : حمداً لله : سأمضى إلى الطبيب

التابع الثانى : وأنا كذلك

التابع الثالث : أما أنا فإلى الحانة لأرى أى صنف دواء يمكن أن تقدمه لى (ينصرف العمدة والأتباع)

وريك : أيها الملك الأكرم رجونا منك أن تقبل هذا الملف
الذى نقدمه لجلالتكم بشأن حق رتشارد بلانتاجنت.

جلوستر : بورك فى مسعاك يا سيدى اللورد وريك :

وأنت أيها الأمير الشاب
لو أنك درست كل الظروف
وخاصة تلك التى حدثت جلالتكم عنها فى
ميدان « إلثم »[١] .
لكان لديك أكثر من سبب لإنصاف رتشارد

الملك : وتلك الظروف يا عمى كانت قهرية :
لذلك فإننا نرى أيها السادة الميامين
أن نرد إلى رتشارد اعتباره فنعيد إليه حقه ،
الشرعى .

وريك : فليعد الى رتشارد حقه الشرعى
وبذلك نعوضه عن المظالم التى استهدف لها أبوه.

ونشستر : وإنى أنادى بما ينادى به الآخرون .

الملك : وإذا أخلص رتشارد فلن يحصل على ذلك
فحسب ،
بل سنمنحه كل ميراث بيت يورك الذى
تنحدر أنتَ منه .

بلانتاجنت إن خادمكم المطيع يعاهدكم على الطاعة
والبذل والخدمة والخضوع حتّى الموت !

---

(١) إلثم Eltham Place

الملك : فلتركع إذن . ضع ركبتك إزاء قدمى .
وجزاء لك على أداء هذا الواجب
سأمنطقك بسيف يورك البتار :
فلتنهض ، يا رتشارد ، كأى من آل بلانتاجنت أصيلا .
انهض فقد جعلناك « صاحب السمو الدوق يورك »

بلانتاجنت : لك العزة يا رتشارد ، ولخصومك الهوان .
والآن، وأنا أزداد لكم إجلالا ، أدعو بالويل
على كل من تخطر بنفسه خالجة حقد على جلالتكم .

الكل : تهانينا ، أيها الأمير السامى ، يا دق يورك العظيم !

سمرست : (جانبا) الهلاك لك ، أيها الأمير الحقير ، يا دوق يورك !

جلوستر : لعل من الخير لجلالتكم
أن تعبروا البحر لتتوجوا فى فرنسا :
فوجود الملك بين رعاياه المخلصين له ،
يولد الحب ، ويقهر العدى .

الملك : إذا قال جلوستر فعل هنرى .
فالنصيحة الصادقة فيها اندحار العدو .
جلوستر : إن سفنك على استعداد تام متأهبةللسفر.

(بوق – يخرجون جميعاً عدا إكستر)

إكستر : حقاً إننا قد نسير فى إنجلترة أو فى فرنسا ،
دون أن نتنبأ بما يحتمل أن يكون .
إن هذا النزاع الناشب أخيراً بين السادة
نار تشتعل تحت رماد سطحى من الحب المزيف
ولسوف تشب فى النهاية ويشتعل أوارها :
وكما لا يفسد اللحم الحى الموبوء إلا شيئاً فشيئاً،
إلى أن يتلاشى العظم واللحم والعضلات ،
فعلى هذا النحو سوف ينتهى أمر هذا النزاع
الوضيع المشبع بالحقد . . ،
لكم أخشى تلك النبوءة المشئومة
التى من هولها حرّمت الطعام
حتى على كل رضيع فى عهد هنرى الخامس .
وهى أن هنري الذى يولد فى « مونموث »[1] يظفر

---

(١) منموث Monmouth

بكل شيء
وهنرى الذى يولد فى وندسور يفقد كل شى :
ألا إن صدقها والله لبين ، بحيث يتمنى إكستر
أن يحين أجله قبل أن يحل ذلك اليوم المشئوم
(يخرج)

الفصل الثالث

المنظر الثانى

فرنسا — أمام روان . . .

(تدخل لاپوسل متنكرة ومعها أربعة جنود يحملون أكياساً فوق ظهورهم)

پوسل : هذه هى أبواب المدينة ، أبواب روان ،
التى ينبغى أن نحتال على دخولها ،
فلتأخذوا الحذر والحيطة عند اختيار ألفاظكم ؛
تكلموا كما لو كنتم من السوقة ،
الذين يجيئون لبيع حنطتهم . .
فإذا قدر لنا الدخول — والمأمول أن نفعل —
ووجدنا تهاوناً فى الحراسة ، وثغرة ضعيفة ننفذ منها ،
فسأنبه أصدقاءنا بإشارة ؟
حتى يلاقيهم شارل ولى العهد
الجندى الأول : ستكون أكياسنا وسيلة لنهب المدينة
ومن ثم نملك زمام روان ونتحكم فيها .

فلندق الأبواب (دقات)

حارس : (من الداخل) من هناك ؟

پوسل : فلاحون فقراء من أهل فرنسا ؟
باعة مساكين جاءوا ليبيعوا غلالهم ،

حارس : (يفتح الباب) ادخلوا ، لقد دق جرس البوق

پوسل : الآن ياروان سأدق حصونك دقا وأحيلك تراباً

(يدخلون)

(شارل ، ودعى أورليان وألنسون وريميه وقوات يقتربون)

شارل : أيها القديس دنيس بارك هذه الخطة الموفقة !
فلسوف ننام آمنين مرة أخرى فى روان .

الدعى : لقد دخلت پوسل هى والمتآمرون معها من هنا ،
ولكن كيف تعيّن لنا ، وهى فى الداخل ،
أصلح مكان ننفذ منه ، وآمنه ؟

رينيه : سترفع لنا شعلة من ذلك البرج الذى هناك ؟
فتى لحناها كان معنى ذلك
أن المكان الذى دخلته
أنسب الأمكنة من حيث ضعف الحراسة .

(تدخل لابوسل على القمة رافعة شعلة تلتهب)

پوسل : انظروا هذه هى شعلة القران المباركة

التي سوف تجمع بين روان وأهلها،
ولكنها نذير سوء المآل « لتالبوت » وأنصاره !

(تنسحب)

الدعي : انظر أيها النبيل شارل : إشارة أصدقائنا . . .
الشعلة الملتهبة تظهر فى ذلك البرج البعيد .

شارل : ألا فلتضئ الآن وكأنها كوكب النقمة المذنب ،
ولتكن النذير بسقوط جميع أعدائنا !

رينيه : لا تضيعوا وقتاً ، ولا تتأخروا
فالتأخير وخيم العواقب ؛
ادخلوا على الفور ولتكن صيحتكم « ولى العهد »،
ثم اقتلوا الحرس .

(بوق نداء السلاح . يهاجمون الباب فى عنف)
(يدخل تالبوت فى هجوم من الداخل)

تالبوت : لسوف تندمين ، يا فرنسا ، على هذه الخيانة،
وتسفحين من أجلها الدمع السخين،
إذا قدر لتالبوت أن يعيش ويقضي على خيانتك .
لقد دبرت پوسل الساحرة اللعينة هذه المكيدة
وأنزلت بنا هذا الشر المباغت ،

الذى كاد يودى بنا ، إرضاء لكبرياء فرنسا .

(يحارب متراجعاً)

(دقة . هجوم . يرى بدفورد مريضاً محمولا على مقعد ، ومن ورائه تالبوت وبرجندى منسحبين : ومن الداخل يظهر على الأسوار لاپوسل وشارل والدعى والنسون ورينيه

پوسل : يومكم مجيد ، أيها البواسل !
أتشترون حنطة لخبزكم ؟
أكبر ظنى أن الدوق برجندى سيؤثر الصوم
على أن يشترى مرة ثانية بهذا الثمن الفادح ؟
لقد كِلنا لكم كيلا خاسراً ، فكيف وجدتم المذاق ؟

برجندى : اهزئى ما شئت أيتها الشريرة الفاجرة ؟
فلسوف أجعلك عما قريب تختنقين بطعامك ،
ولتلعنين القمح ، ويوم عرفت القمح ،

شارل : أخشى أن رفعتكم تموتون جوعاً قبل ذلك .

بدفورد : الأعمال لا الأقوال سوف تثأر لهذه الخيانة ؟

پوسل : ما الذى أنت صانع يا ذا اللحية العتيقة ؟
أتكسر رمحاً أم تسدد سهماً صائباً للموت
وأنت محمول على مقعدك ؟

تالبوت : يا شيطانة فرنسا المريدة ! أيتها الساحرة الشريرة
المطوقة بعشاقها الفساق !
أأنت التى تعيرين هذا الشيخ الباسل الفانى
بالجبن ؟
لألقينك مرة أخرى أيتها العذراء
وإلا فليمت تالبوت بعاره .

بوسل : ألهذا الحد أنت حاد المزاج . . يا سيدى ؟
ومع ذلك الزمى الهدوء يا بوسل
وإلا فالويل لك من تالبوت ، إنه إذا ما أرعد
فما على المطر إلا أن ينهمر .
(يتهامس الإنجليز متشاورين)
وفق الله البرلمان ! من يا ترى سيكون رئيس
المجلس ؟

تالبوت : إن كنتم تجرءون على التقدم فهيا إلى الميدان ؟

بوسل : يبدو أن سيدى اللورد يعدنا من السذج البلهاء .
أينتظر منا أن نتجادل فيما بيننا أهو ملك لنا
أم ليس ملكاً ؟

تالبوت : أنا لا أوجه الخطاب لهذه السحارة العيارة ،

هيكيت [1]

وإنما أوجهه لك يا ألنسون أنت ورفاقك
تقدموا كما يتقدم الجنود إلى ميدان القتال ؟

ألنسون . : كلا يا سيدى

تالبوت تباً لكم يا أوغاد فرنسا !
تلوذون بالأسوار كغلمان الريف ،
ولا تجرءون على القتال .

بوسل : هلموا نبرح الأسوار أيها القادة ؟
إذ ليس فى عيون تالبوت غير الشر .
وداعاً أيها السيد ! ما جئنا إلا لننبئك
بأننا هنا (ينزل الفرنسيون من على الأسوار)

تالبوت : وكذلك سنكون نحن هناك . . عما قريب ،
وإلا فليخسأ اسم تالبوت وليكلل العار
أروع ما نال من فخار ،
لتقسمن يا برجندى بما لبيتك من شرف مؤثل
قسما تؤكده النكبات التى حلت بنا فى فرنسا
وتستحثه ،
أن تسترد المدينة أو أن تموت دونها .

---

(١) ربة الجحيم والراعية لجميع الساحرات .

أما أنا فقسما بحياة هنرى ملك إنجلترة
وبحياة أبيه وفتوحه هنا ، وبحق قلب الأسد العظيم ،
المدفون فى هذه المدينة ، التى كانت موقع الغدر أخيراً ،
بحق هؤلاء جميعاً لأستردن المدينة أو أموت دون ذلك .

برجندى : إن أيمانى لصنو لإيمانك وقسمى حليف لقسمك

تالبوت : ولكن قبل أن نبرح، لنرع هذا الأمير وهو على فراش موته :
الدوق بدفورد الباسل . هيا يا سيدى اللورد،
سنهيىء لك مكاناً أكثر ملاءمة لمرضك وشيخوختك .

بدفورد : بربك لا تجلل شرفى بالعار يا سيدى اللورد تالبوت :
سأظل هنا أمام أسوار روان
وسأكون شريكاً لكم فى سرائكم أو ضرائكم .

برجندى : ليكن فى قولنا ما قد يقنعك ، أيها الباسل بدفورد ،

بدفورد : لن أبرح مكانى ، فلقد قرأت مرة
أن بندراجون[1] الباسل حمل إلى ميدان القتال
مريضاً فى محفته ، فانتصر على أعدائه :
وأحسب أن وجودى هنا سيبعث الحمية فى قلوب الجند
الذين وجدتهم دائماً على شاكلتى .

تالبوت : يا للروح الذى لا يفنى فى صدر الفانى !
لك إذن ما تريد : واترعك السموات
وتنشر عليك أمنها وسلامها !
فلنكتف بهذا أيها الشجاع برجندى ،
ولنجمع شتات قوانا ،
ثم ننقض على عدونا المفتون بنفسه

(يخرجون جميعاً ماعدا بدفورد وأتباعه)
(دق طبول : هجمات . يدخل سير جون فولستاف وضابط رتبة كابتن)

كابتن : إلى أين تمضى بمثل هذه السرعة يا سير جون فولستاف ؟

---

(١) أبو آرثر الملك البريطانى الأسطورى القديم الذى حيكت حوله طائفة من القصص أو هو لقب يطلق بمعنى قائد القوات أو مرشد الملوك .

فولستاف : إلى أين ؟ لأنجو بنفسى فى الفرار النجاة . .
يبدو أننا سنلقى المزيمة مرة أخرى .

كابتن : يا لله ! أتفر وتترك لورد تالبوت ؟

فولستاف . بل أترك كل « التلابيت » التى فى العالم . .
أتركها لأنجو بنفسى ! (يسرع متعداً)

كابتن : ألا تعساً لك أيها الفارس الرعديد ! (يخرج)

(دقات تنبىء بتقهقر : هجمات يظهر بعدها لاپوسل وألنسون وشارل وهم يفرون)

بدفورد : الآن أيتها النفس المطمئنة ارجعى متى شاء لك الله أن ترجعى
فلقد شهدت انهزام أعدائى
يا لحماقة الإنسان ! ما ثقته بمضاء عزمه وبقوته؟!
أولئك الذين كانوا منذ قليل يسخرون من غيرهم فى قحة وجرأة ،
قد باتوا يلوذون بالهرب فرحين بنجاتهم[1]

يموت بدفورد . يحمله اثنان على مقعده
طبل . تالبوت و برجندى وبقية رجالهم يجيئون من المدينة

تالبوت : خسرناها ونستردها فى يوم واحد !

---

(١) الخلط المعروف عند شيكسبير — فالمعروف أن بدفورد مات بعد جان (بوسل) بأربعة أعوام .

وأيم الحق إن هذا لشرف مضاعف يا برجندى :
لندع للسموات بالمجد من أجل هذا النصر !

برجندى : أيها المحارب المقاتل المجيد ، تالبوت .
إن برجندى ليضعك فى مكان مقدس من قلبه ،
ويقيم فيه لفعالك النبيلة تماثيل للشجاعة ، ورموزاً للبسالة .

تالبوت : شكراً لك أيها الدوق الطيب ولكن أين پوسل الآن ؟
إن شيطانها فيما أظن نائم :
وأين مغامرات الدعى وتهكمات شارل ؟
أكلها هكذا تبخرت ؟ إن روان لتحنى رأسها حزناً :
أن تولى مثل هذه العصبة الباسلة فراراً .
والآن . . لنقر النظام فى المدينة ؛
تاركين فيها بعض الضباط المحنكين
ثم لنبرح بعد ذلك إلى باريس للقاء الملك الشاب هنرى ،
الذى يقيم مع حاشيته .

برجندى : إن مشيئة اللورد تالبوت يقبلها برجندى مسروراً.

تالبوت : ومع ذلك يجمل بنا قبل أن ننصرف
ألا ننسى النبيل المغفور له الدوق بدفورد ،
وأن نقيم له مراسم مأتمه فى روان .
فالميادين لم تعرف جنديا أشجع منه ولا أمضى سنانا ،
ومقاعد الحكم لم تعرف قلباً أطيب منه فى
ممارسة سلطته ؛
ولكن الموت نهاية كل حى ،
نهاية الملوك ونهاية أصحاب الحول والطول والسلطان ؛
فبالموت يطوى شقاء الإنسان
(يخرجون)

الفصل الثالث

المنظر الثالث

السهول بالقرب من روان . . .

(يدخل شارل ودعى أورليان وألنسون ولاپوسل وقوات)

پوسل : لا يستولين عليكم الهم أيها الأمراء ،
ولا تفتر منكم الهمم بسبب هذا الحادث ،
لا تحزنوا أن استرد العدو روان :
فالحزن ليس علاجاً وإنما هو بلاء إذا كان على ما لا علاج له .
لينتصر تالبوت بوحشيته هنيهة ،
ولينشر كالطاووس ذيله ؛
فلسوف ننتف ريشه وننتزع ذنبه الطويل .
إذا شاء ولى العهد ، والآخرون ، أن يمتثلوا لأمرى .

شارل : لقد أسلمنا لك قيادنا حتى الآن ،

ولم نفقد ثقتنا بدهائك :
وهزيمة واحدة مباغتة لا يمكن أن تزعزع هذه الثقة .

الدعى : ابحثى عما فى زوايا ذهنك من خطط سرية
ولك علينا أن نملأ الآفاق باسمك .

ألنسون : سننصب لك تمثالا فى بقعة مقدسة ،
وسنجعلك مع الإجلال كقديسة مباركة ،
لتعكفى إذن على خدمة مصالحنا أيتها العذراء الحبيبة .

پوسل : إليكم الخطة وهكذا لا بد أن يكون : وهذا هو تدبير جان :
بالإغراء الخلاب والكلام المعسول
سنستميل الدوق برجندى
حتى يتخلى عن تالبوت وينضم إلى صفوفنا .

شارل : نعم الرأى أيتها الفتاة الغالية ،
لو استطعنا أن نفعل ذلك لطهرنا أرض فرنسا من جنود هنرى ،
ولأوقفنا هؤلاء الإنجليز عن أن يفخروا علينا ويتعالوا ،

بل لاقتلعناهم اقتلاعاً من أقاليم فرنسا .

ألانسون : ألا فليطردوا من فرنسا إلى الأبد
فلا تبقى لهم هنا إمارات أو إقطاعيات ؛

پوسل : لسوف ترون ، أيها السادة الأماجد
كيف أعمل لتحقيق هذه الغاية المرجوة

(يسمع دق طبول من بعيد)

أنصتوا ! إنه ليتبين لكم من صوت الطبول
أن قواتهم تسير صوب باريس ،

(هنا تسمع موسيقى نشيد إنجليزى . يدخل ويمر من بعيد تالبوت وقواته)

ها هو ذا تالبوت بأعلامه المنشورة
يسير وجنده الإنجليز من ورائه ،

(موسيقى نشيد فرنسى ! يدخل دوق برجندى وقواته)

وفى المؤخرة يجىء الدوق ورجاله ؛
الحظ يواتينا بأن جعله فى المؤخرة ،
لتنفخوا فى البوق طلباً لمحادثة العدو وسنتكلم معه.

(ينفخ فى البوق لمحادثة)

شارل : محادثة مع دوق برجندى !

برجندى : من يطلب المحادثة مع برجندى ؟

پوسل : شارل أمير فرنسا واحد من أبناء وطنك ،
برجندى : ما الذى تريده يا شارل ؟ فأنا سائر فى طريقى .
شارل : تكلمى يا پوسل واسحريه بألفاظك .
پوسل : أيها ، الهمام برجندى ، يا أمل فرنسا المحقق !
قف بالله وأنصت إلى خادمتك المتواضعة .
برجندى : تكلمى ولا تطيلى فتملى .
پوسل : أرفق ببلدك ، انظر إلى فرنسا الخصيبة ،
وتأمل هذه المدن والبلدان التى غير معالمها
الخراب والهلاك بفعل العدو الذى لا يرحم ،
انظر إليها كما تنظر الأم إلى رضيعها المحتضر ،
عند ما يسبل الموت عينيه الرقيقتين الذاويتين ؟
انظر إلى ما تعانيه فرنسا من داء عضال ،
تأمل تلك الجروح ، الجروح الشاذة بل الممعنة فى الشذوذ
التى أحدثتها أنت نفسك بصدرها الحزين
ألا فلتوجه سيفك الماضى وجهة أخرى ،
اضرب به البغاة لا الذين يقفون فى وجه البغى ،
قطرة واحدة من الدم ينزفها صدر وطنك
حرية أن تحزنك أكثر مما تحزنك أنهار الدماء

الأجنبية .

ألا فلتعد ، إذن ، واذرف الدمع مدراراً ؛
لتغسل به ما لحق وطنك من عار .

برجندى : إما أن تكون قد سحرتنى ألفاظها ،
أو أن الطبيعة فجأة قد ألانت قلبى .

پوسل : بل إن فرنسا والفرنسيين جميعاً يجأرون بالشكوى منك
متشككين [1]فى شرعية مولدك وأصلك ،
فما البلد الذى آثرت أن تنضم إليه
سوى بلد يريد أن يسيطر ويسود ؛
فلن يثق بك ألا من أجل نفعه .
إن تالبوت بمجرد أن تثبت أقدامه فى فرنسا ،
بعد ما جعل منك أداة للأذى ،
لن ينصب إلا هنرى الإنجليزى حاكماً علينا وسيداً .
وبذلك تخرج أنت من وطنك لتدخل فى زمرة اللاجئين الطريدين .

(١) إشارة مستحيلة تاريخياً لأن تحالف برجندى مع إنجلترا كان سببه قتل رجال شارل السابع لوالده .

ارجع قليلا إلى ذاكرتك وتأمل فيما أسوقه من
برهان .
أو لم يكن الدوق أورليان عدوك ؟
أو لم يكن أسير إنجلترة ؟
ألم يطلقوا سراحه عندما علموا أنه عدوك
حتى دون أن يدفع فدية ؛
رغم أنف برجندى وجميع أصدقائه ؟
ألست ترى أن قتالك لبنى وطنك
وانضمامك إلى العدو ، فيه القضاء عليك ؟
ولسوف يستقبلك شارل والباقون بصدر رحب
وأذرع مرحبة .

برجندى : لقد غلبت على أمرى . إن كلماتها ذات الوقع
الشديد
أصلتنى ناراً حامية كالقذائف المدوية ،
هزت كيانى وكادت تلقى بى مستسلماً على
ركبتى .
صفحك أيها الوطن ، وصفحاً أيها المواطنون
الأعزاء .
وأنتم أيها السادة تعالوا إلى صدرى أضمكم فى

رفق وفى إخلاص ؟

إن قواتى وسلطانى تحت أمركم .

الوداع يا تالبوت ، لن آمن لك بعد اليوم .

پوسل : (جانبا) فرنسى أصيل ! يدور ثم يدور

شارل : مرحى أيها الدوق الباسل ! إن صداقتك

لتجدد قوانا .

الدعى : وتبعث فى صدورنا الشجاعة من جديد .

ألنسون : لقد أدت پوسل دورها بشجاعة ،

ولهذا تستحق تاجاً من الذهب .

شارل : فلنمض أيها السادة نلحق بجيوشنا

ونر كيف يكون نيلنا من العدو .

(يخرجون)

الفصل الثالث

المنظر الرابع

(يدخل الملك وجلوستر وأسقف ونشستر وسافوك وسمرست ووريك وإكستر وفرنون وباسيت وآخرون يتقدم نحوهم تالبوت وجنوده .)

تالبوت : أيها الأمير المجيد ، والسادة الأشراف :
عند ما سمعت بمقدمكم إلى هذا البلد ؟
عقدت هدنة لأقف حروبى ،
حتى أؤدى واجبى نحو مليكى ،
ورمزاً لهذا الغرض أرفع ذراعى هذه
التى استردت لإمرتك خمسين حصناً
واثنتى عشرة مدينة ، وسبعة بلاد حصينة مسورة ،
فضلا عن خمسمائة أسير كبير المقام .
ثم هاهى ذى تلقى بهذا السيف تحت أقدامكم الملكية .
وتعلن فى خضوع وولاء وإخلاص ؛
أن ما أحرزته من مجد ونصر ،

يرجع أولا لله ومن بعده لجلالتكم . (يركع)

الملك : أهذا ، يا عماه ، هو اللورد تالبوت
الذي يقيم فى فرنسا من زمان طويل ؟

جلوستر : أجل يا مولاى أعزك الله .

الملك : مرحباً بك أيها القائد الباسل المظفر !
عند ما كنت صغير السن (وما أظننى كبرت بعد) ،
أذكر ما كان يقوله أبى عنك ،
من أنك أبسل من ضرب بالسيف .
لقد تحقق لدينا منذ زمن طويل أنك أمين ،
وبلونا إخلاصك فى الخدمة وجهادك فى الحرب ،
ومع ذلك لم تذق بعد منا حلو الجزاء ،
ولما تكافأ حتى بكلمة شكر ؛
وذلك لأننا لم نر حتى اليوم وجهك :
انهض إننا ننعم عليك بأن نجعلك إيرل شروزبرى
وليكن لك مقامك ومكانك فى حفل تتويجنا .

(بوق . يخرج الجميع عدا فرنون وباسيت)

فرنون : يا سيدى يا من كنت فى البحر شديد الوطأة على ،

مهيئاً الشعار الذى أرتديه ،
إجلالا لسيدى النبيل اورد يورك ،
أتجرأ الآن على أن تثبت على
ما تفوهت به من قبل من كلمات ؟

باسيت : نعم يا سيدى كما تجرؤ أنت على نشر لسانك
النابح بالحقد والضغينة والقحة
فى حق سيدى اللورد سمرست .

فرنون : إننى يا هذا ، احترم سيدك على قدر مقامه
وما استحق .

باسيت : وماذا هو ، إنه لا يقل فضلا عن يورك .

فرنون : اسمع إنه ليس كذلك : وإليك الدليل (يلطمه)

باسيت : أيها الصعلوك أنك تعرف قانون السلاح ،
فالذى يسل السيف جزاؤه الموت ؛
وإلا كان ثمن هذه اللطمة إراقة دمك الغالى
عليك .
فليس لى إلا أن أذهب إلى جلالة الملك ،
لأناشده الإذن بأن آخذ بالثأر [١] .

(١) من عادة النبلاء فى هذا العصر ألا يقاتل بعضهم بعضاً إلا بإذن من الملك .

عندئذ سوف ألاقيك وأناقشك الحساب .

فرزون . : ستجدنى هناك أيها اللئيم فى انتظارك،
وبعد ذلك سألقاك بأسرع مما تظن . .

(يخرجان)

الفصل الرابع

المنظر الأول

نفس المكان

(يدخل الملك وجلوستر وأسقف ونشستر ويورك وسافوك وسمرست ووريك وتالبوت وإكستر ومحافظ باريس وآخرون .)

جلوستر : أيها السيد الأسقف فلتضع التاج فوق رأسه .

ونشستر : يحيا الملك هنرى فيمن سمى من الملوك هنرى
هو سادسهم .

جلوستر : والآن يا حاكم باريس
عاهدنا ألا تنتخب ملكاً غيره . (المحافظ يركع)
ولا تتخذ من الأصدقاء، إلا من كان صديقاً له؛
ولا تتخذ عدواً إلا من عاداه أو دفعه الحقد
للعمل ضد مليكه :
فإذا ما فعلت ذلك كان الله الحق عوناً لك !

(يدخل سير جون فولستاف)

فولستاف : مولاى — أعز الله ملكه — عند ما كنت

فى طريقى قادماً من « كاليه »
على جناح السرعة لأشرف بشهود حفل تتويجكم ،
سلم إلىَّ كتاب موجه إلى جلالتكم . من اللدوق برجندى ،

تالبوت : خسئت أنت واللدوق برجندى
لقد أقسمت أيها الفارس الوضيع ، حينما ألقاك ثانية ،
أن أمزق ربطة الساق[1] من ساقك الذليلة
(يمزقها)
وهأنذا قد فعلت ،
لأنك نصبت فى هذه المنزلة الرفيعة دون أن تستحق ،
أستمحيك العفو يا أميرنا هنرى وأنتم أيها السادة :
فى موقعة « بواتييه » ولم تكن قواتى تزيد على ستة آلاف ،
فى الوقت الذى كاد الفرنسيون فيه يكونون عشرة أضعافنا ،
وقبل أن يلتحم الجيشان ، أو تسدد طعنة واحدة ،

(١) ربطة الساق شارة النبلاء وعليها يظهر مقامه وشعاره بين الفرسان .

فر هذا النذل الخسيس فرار جبان رعديد،
وخسرنا فى المعركة ألفاً ومائتين من الرجال ،
وأخذت أنا وغيرى من السادة على غرة فوقعنا فى الأسر .
فلتحكموا إذن ، أيها السادة الأمجاد ،
هل أنا على حق ، أو هل ينبغى لمثل هؤلاء الجبناء ،
أن يحملوا وسام الفروسية ؟ نعم أو لا ؟

جلوستر : الحق أن هذه الموقعة كانت فضيحة ،
لا تليق برجل من العامة ، فما بالك بفارس ،
وقائد ، وزعيم .

تالبوت : الأصل فى إنشاء هذا الوسام أيها السادة
أن يكون فرسان ربطة الساق ، من دوحة نبيلة ،
بواسل ذوى فضل ، قد ملئت قلوبهم جرأة وشجاعة
واكتسبوا فى الحروب حسن السمعة وجلال الهيبة .

لا يخافون الموت ، أو ينكلون عن اقتحام
الشدائد .
ولا يحول دون مضاء عزيمتهم حائل مهما
عظم . .
فإذا لم تتوافر هذه الصفات فى حامل الوسام ،
فهو ليس إلا مغتصباً لاسم الفارس المقدس ،
مدنساً هذا الوسام الرفيع .
وينبغى — إن أكن أهلا للحكم —
أن يجرد تماماً من هذا الشرف ،
مثله فى ذلك كمثل القروى الجلف
الذى يدعى ويتفاخر بنبل المحتد .

الملك : تلك وصمة لمواطنيك ! امتثل لقضائك !
احزم أمتعتك يا من كنت فارساً :
فقد نفيناك من أرض الوطن ؛
وإذا سولت لك نفسك العودة فستجد الموت فى
انتظارك . (يخرج فولستاف)
والآن يا سيدى الوصىّ ،
أطلعنا على مضمون كتاب عمنا الدوق برجندى .

جلوستر : ما الذى يقصده رفعته بتغيير أسلوبه فى خطابه؟
إنه يقول ببساطة ، وفى وضوح ، ومن غير
حرج « إلى الملك » .
أنسى أنه مليكه ؟
أم إن وراء هذه اللهجة الفظة
تغييراً فى صفاء النية ؟
وما هذا ؟ (يقرأ) « لأسباب خاصة
واشفاقاً على وطنى الذى حل به الخراب ،
واستجابة للشكاوى الأليمة التى تستدر العطف
من أولئك الذين ألح عليهم طغيانكم ،
قررت أن أهجر جانبكم المعتدى ،
وأن أنضم إلى شارل ملك فرنسا الشرعى »
يا للخيانة العظمى ! أيمكن أن نقع فى تاريخ
المحالفات والمحبة والعهود والمواثيق
على مثل هذا الغدر والخديعة ؟
الملك : ماذا أسمع ؟ أيجنح عمى برجندى إلى العصيان ؟
جلوستر : أجل يا مولاى وقد أصبح من أعدائك .
الملك : أهذا اسوأ ما يحويه هذا الكتاب ؟
جلوستر : أجل يا مولاى أسوأ ما فيه وكل ما اشتمل عليه .

الملك : إذن فليتول اللورد تالبوت مناقشته الحساب .
ما رأيك أيها اللورد ؟ ألست راضياً ؟
تالبوت : راض يا مولاى ! أجل ولو كنت منعتنى
لرجوت أن أتولى هذه المهمة .
الملك : لتجمع إذن قواتك ولتسر على الفور لملاقاته ؛
واجعله يدرك مدى سخطنا على خيانته .
ويقدر إساءته واستهزاءه بأصدقائه حق قدرهما .
تالبوت : سأذهب يا مولاى تحدونى رغبتى العميقة
فى أن أريك الارتباك يحل بصفوف أعدائك .
(يخرج)

(يدخل فيرنون وباسيت)

فرنون : امنحنى يا مولاى المعظم حق النزال .
باسيت : وأنا أيضاً يا مولاى امنحنى هذا الحق .
يورك : هذا خادمى فاستمع إليه ، أيها الأمير النبيل .
سمرست : وهذا رجلى أيها الملك فامنحه عطفك .
الملك هنرى : مهلا أيها السيدان وامنحاهما الفرصة للكلام .
تكلما أيها السيدان ، ما الذى جعلكما تصيحان
بهذه الصورة ؟
ولماذا تطلبان حق النزال ؟ ومع من ؟

فيرنون : معه يا مولاى فقد أساء إلىّ .

باسيت : وأنا معه فلقد أساء هو إلىّ .

الملك هنرى : وما الإساءة التى تشكوان منها ؟

فلأحط علماً بذلك أولا ثم أبلغكما بعد ذلك قرارى .

باسيت : أثناء عبورنا البحر ، من إنجلترة إلى فرنسا ،

أطلق هذا الشخص لسانه الحاقد المسموم فى حقّى

وحق الوردة التى أحملها

قائلا إن لون وريقاتها الأحمر يرمز

إلى احمرار الخجل فى خد سيدى

الذى عاند الدوق يورك عناداً شديداً

أثناء مناقشة مسألة قانونية بينهما ،

إلى آخر ما أضاف من عبارات السباب والقذف.

فلكى أرد عليه لومه وغلظته ،

ودفاعاً عن مقام سيدى ومنزلته ،

ألتمس الإذن باستخدام قانون السلاح .

فيرنون : وهذا هو ملتمسى أنا أيضاً أيها السيد النبيل :

فبالرغم من أنه يستعين بالدهاء والختل والاختراع

ليلبس دعواه الجريئة لباس الصدق والقبول ،

فإنى أؤكد لك ، يا مولاى ، أنه أثار حفيظتى ،
فقد استباح لنفسه أولا المساس بهذا الشعار ،
قائلا إن شحوب هذه الزهرة
ينم عن الخفوت والضعف اللذين يمتاز بهما
قلب سيدى .

يورك : أما آن أن نضع لهذه الضغائن حداً يا سمرست ؟

سمرست : مهما تبذل من جهد ومكر يا سيدى اللورد يورك
من أجل كتمان أحقاد قلبك، فستظهر للعيان .

الملك هنرى : يا إلهنا، الرحيم أى جنون
يسيطر على هذه العقول السقيمة
عند ما تنشأ هذه المنافسات والحسد والغيرة والأنانية
لسبب تافه سخفيف كهذا السبب !
يا ابنى العم الطيبين ، يورك وسمرست ،
ناشدتكما الهدوء والسلام .

يورك : فليحسم القتال هذا النزاع أولا
وعندئذ لك يا صاحب السمو أن تأمرنا بالهدوء

سمرست : إن النزاع لا يمس أحداً غيرنا نحن الاثنين ،

فلنحسم الأمر فيما بيننا إذن .

يورك : إليك شارتى على العهد فلتقبله يا سمرست

(يلقى قفازه)

فيرنون : كلا ليبق حيث بدأ أولا .

باسيت : فلتؤيد ذلك يا سيدى اللورد الشريف .

جلوستر : فلتؤيد ذلك ! ألا سحقاً لنزاعكما !
وتباً لكما بجرأتكما وثرثرتكما .
ألا تخجلان أيها التابعان المستكبران
من إزعاجكما وإقلاقكما راحته وراحتنا ،
بتشاحنكما الصارخ الفاجر ؟
وأنتما أيها اللوردان إنكما لتتهاونان
إذ تصبران على هذا الجموح ، وتسمحان به ،
إنكما لتنقلان هذا العراك اللفظى بينهما
إلى فتنة شخصية بينكما .
هلا سلكتما طريقاً أسلم وأفضل ؟

أكستر : إن الأمر محزن لسموه فلتتصافيا أيها اللوردان .

الملك هنرى : أقبلا يا من رغبتما فى النزال :
إننى أطالبكما — بما أعلمه من حرصكما على عطفنا ،

أن تضربا صفحاً عن هذا النزاع وسببه .
وأنتما أيها اللوردان تذكرا أين نحن —
إننا فى فرنسا وسط شعب متقلب أهوج ،
فإذا لمح فى وجوهنا مظهر خلاف
وعرف أننا مختلفون فيما بيننا ،
ثارت على الفور أفئدتهم الساخطة
وجنحوا إلى العصيان والتمرد !
وفضلاً عن ذلك فيا للفضيحة !
عند ما يتحقق الأمراء الأجانب
أن نبلاء الملك هنرى وأقطاب أشرافه
تنازعوا فيما بينهم من أجل شىء تافه لا قيمة له ،
وأهلكوا أنفسهم فأضاعوا ملك فرنسا !
فكروا فى فتوح أبى وفى حداثة سنى .
وحرام أن ننزل من أجل شىء تافه
— عما اشتريناه بالدم .
فلأكن حكماً فى هذا النزاع المثير للمخاوف .
لست أرى سبباً إذا أنا ما ارتديت الوردة
(واضعاً الوردة الحمراء)
فى أن يظن أحد أنى أكثر ميلا لسمرست

منى ليورك :

كلاهما قريب إلى وكلاهما موضع حبى .
ألا فليعيرونى ، قياساً على ذلك ، بتاجى
لأن ملك أسكتلنده يلبس تاجاً مثله .
إن حصافتكم لأفعل أثراً
من تعاليمى وعظاتى :
وعلى ذلك فكما جئنا فى سلام
فلنظل كذلك ترفرف علينا أجنحة السلام
والمحبة .
يا ابن العم يورك، أننا ننصب رفعتك وصياً
على هذه الأرجاء من فرنسا؛
وأنت أيها اللورد الطيب سمرست ،
فلتوحد قوى فرسانك مع قوى مشاته،
وكمواطنين صادقين ، من رعايانا جديرين
بأسلافكما ،
أعملا معاً فى توافق ويسر ،
ولتصبا جام غضبكما على العدو .
أما نحن واللورد الوصى على العرش والآخرون،
فسنعود بعد مهلة قصيرة إلى كاليه .

ومن هناك إلى إنجلترة،
حيث أرجو أن تهدوا إلىّ قريباً
بفضل انتصاراتكم
شارل وألنسون وتلك العصبة الخوانة .

(بوق . يخرج الجميع ماعدا يورك ووريك وإكستر وفردون)

وريك : أحسب الملك يا سيدى اللورد يورك
قد قام بدور الخطيب بإتقان .

يورك : أعتقد ذلك ، على أننى لم أشعر بالارتياح
لارتدائه شعار سمرست .

وريك : دعك من هذا ولا تنح عليه باللائمة،
فما أظن الأمير المحبوب قصد بذلك أمراً .

يورك : قصد أو لم يقصد فلندع ذلك الآن،
فأمامنا أمور ينبغى تدبيرها

(يخرجون ويتلكأ إكستر)

أكستر : أحسنت ، يا رتشارد ، بالخفض من صوتك
فلو أن أهواء قلبك انطلقت
لنمت عن أحقاد وضغائن ونيران من الغضب الفائر الغلاب
تفوق كل ما يمكن تصوره أو تخيله .

غير أن الذى يرى هذا التطاحن بين النبلاء،
والتدافع بينهم فى البلاط ،
وهذا التشاحن الشخصى الأنانى بين أتباعهم،
مهما يكن بسيطاً ساذجاً،
لن يغيب عن عينيه ما يجره من شر مستطير .
كبيرة أن تكون الصوبجانات فى أيدى الأطفال
وأكبر منها أن يولد الحقد انقساماً وصدعا
لا يمكن رأبه .
عند هذا يحدث الخراب ، وعند ذلك تبدأ
الفوضى . . (يخرج)

الفصل الرابع

المنظر الثانى

أمام بوردو

(يدخل تالبوت مع الأبواق والطبول)

تالبوت : اذهب إلى أبواب بوردو أيها النافخ فى البوق،
وادع قائدهم على السور . (ينفخ فى البوق)
(يظهر القائد من عل مع آخرين)
إن جون تالبوت ، الإنجليزى ، خادم الملك
هنرى ملك إنجلترة ، تحت السلاح ،
يدعوكم أيها القادة إلى ما يأتى :
افتحوا أبواب مدينتكم ، واستسلموا لنا ،
واقبلوا مليكى مليكاً لكم وقدموا له فروض
الولاء ، وكونوا له رعايا خاضعين .
فإذا فعلتم ذلك انسحبت وقواتى المسلحة .
أما إذا تنكرتم لهذا السلم المعروض عليكم ،
فستهيجون ثائرة أتباعى الثلاثة ،

المجاعة المزيلة ، والصلب الفتاك ، والنار المتأججة
التى ستسوى بالأرض فى غمضة عين
أبراجكم الشاهقة ، الفخمة ، الشامخة فى أجواز
الفضاء ،
إذا ما رفضتم عرضها الودى .
القائد : يا بومة الموت الرهيبة المشئومة
يا مبعث الرعب للأمة وسوط عذابها المخيف !
إن أجل ظلمك ليدنو .
لن تستطيع الدخول علينا إلا بالموت .
ألا فاعلم أننا محصنون تحصيناً منيعاً ،
ومن القوة بحيث نستطيع الخروج إليك ومنازلتك .
فإذا انسحبت أنت فإن ولى العهد متأهب .
بفخاخ الحرب للإيقاع بك .
وعن يمينك وعن شمالك فرق مدججة بالسلاح
مهيأة
لتقف سداً بينك وبين الفرار ؛
وهيهات أن تجد من يرحمك .
فلم يعد أمامك غير الموت والدمار المحقق .
إن عشرة آلاف فرنسى قد قطعوا على أنفسهم

العهد المقدس

أن يصوبوا مدفعيتهم الخطيرة
نحو تالبوت الإنجليزى وحده ،
من دون عباد الله المسيحيين أجمعين ،
وإنك لتقف ها هنا رجلا باسلا يتنفس ،
شديد البأس غلاب الروح لا يقهر :
هذا هو غاية التمجيد فى مديحك
الذى أضفيه عليك وأنا عدوك .
ولكن قبل أن تنتهى هذه الساعة الزجاجية التى بدأت عملها الآن ،
تسرب رمالها مسجلة انقضاء ساعة ،
ستراك هذه الأعين التى تقع عليك الآن وأنت فى جمال شكتك وتمام سلاحك
ستراك ذابلا مضرجاً بالدماء شاحباً صريعاً .
(طبول من بعيد)
اصغ ! اصغ إلى طبول ولى العهد ، إن جرسها نذير يدق .
أنغامه ثقيلة الوقع على نفسك الوجلة ؛
أما أنا فسوف أدق جرساً رهيباً ، جرس طردك
(يخرج)

تالبوت : إنه لا يكذب فأنا أسمع العدو :
لينطلق بعض الفرسان خفاف الحركة ،
لاستكشاف أجنحتهم .
يا للنظام الغافل المهمل . . . !
يا للموقف الذي نحن محصورون فيه :
قطيع صغير من وعول إنجلترة ؛
زادها فزعاً ، وأشاع فى صفوفها الاضطراب
والحيرة
عصابة من الكلاب الفرنسية النابحة !
لئن كنا وعولا إنجليزية حقاً ؛
فلنكن كذلك فى شدة البأس وتمام الأهبة ،
لا أنذالا يسقطون لمجرد ضربة ،
بل وعولا متهورة غضاباً مجانين
ينقضّون على الكلاب المفترسة برءوس صلبة
ويسدون على الجبناء المسالك ، فلا يجدون سبيلا
إلى الفرار
فليبع كل واحد منكم حياته بثمن غال كما أبيع
حياتى
فلسوف يجدون لحمنا مراً أيها الأصدقاء .

ولترفع العناية الإلهية ، والقديس جورج ،
وتالبوت ، وحق إنجلترة
أعلامنا عالية فى هذا القتال الخطير !

(يمشون مبتعدين)

الفصل الرابع

المنظر الثالث

السهول فى جاسكونى

(يدخل رسول يقابل يورك . يدخل يورك ومعه نافخ البوق وجند كثيرون .)

يورك : ألم يعد الكشافون الخفاف بعد ،
أولئك الذين راحوا يستطلعون خبر جيش ولى العهد العرمرم ؟

رسول : عادوا يا مولاى ليقرروا أنه متجه بقواته نحو « بوردو »
للقتال مع تالبوت : كذلك اكتشف مخبروك جيشين كبيرين
أكبر من جيش ولى العهد انضما إليه أثناء سيره.
ومضى الجميع نحو « بوردو » .

يورك : تباً لذلك الوغد سمرست
الذى يؤخر إمداداتى الموعودة من الفرسان ،
التى عبئت لهذا الحصار!

إن تالبوت المجيد يترقب معونتى .
بينما يسخر منى وغد خائن ،
ويحول بينى وبين معاونة الفارس النبيل .
فليفرج الله كربته !
لئن خاب جهده فعلى الحروب فى فرنسا السلام .

(يدخل سير وليم لوسى)

لوسى : أيها النبيل قائد قوات إنجلترة ،
ما بلغت الحاجة إليك على أرض فرنسا مبلغها الآن .
عجل لنجدة النبيل تالبوت ،
الذى يحيط به الآن نطاق من حديد .
ينذر بالقضاء عليه قضاء مبرما .
إلى « بورود » أيها الدوق المقاتل إلى « بوردو »
يا يورك !
وإلا فليرحم الله تالبوت ، وفرنسا ، وشرف إنجلترة .

يورك : يا لله ! لو أن سمرست الذى يمنع عنى الفرسان بصلفه
كان هو الذى فى مكان تالبوت !

إذن لخلصنا سيداً باسلا ،
بالخلاص من خائن جبان .
إننى أبكى من شدة الغيظ وحدة الغضب :
هكذا نفنى بينما الخونة المقصرون فى فراشهم يرقدون .

لوسى : بالله أغث اللورد المكروب !

يورك : إنه يموت ونحن نخسر ، وأنا أحنث بشرفى العسكرى ،
ويملأ الأسى نفوسنا بينما تسعد فرنسا ؛
ونخسر بينما هى تكسب يوماً بعد يوم .
كل ذلك بسبب هذا الخائن الأثيم سمرست .

لوسى : فلتنزل على تالبوت الشجاع رحمة الله،
وعلى ولده الشاب جون الذى قابلته منذ ساعتين
فى طريقه إلى أبيه !
فى هذه السنين السبع لم ير تالبوت ولده ؛
والآن يلتقيان حيث ينتهى أجلهما معاً .

يورك : واحسرتاه ! أى فرحة هذه التى يستقبل بها تالبوت النبيل ولده فى القبر ؟
أف ، إن الضيق يكاد يكتم أنفاسى ،

لهؤلاء الأصدقاء الذين باعدت بينهم الأيام
فلا يجتمعون إلا ساعة الموت !
الوداع يا لوسى فلست أملك أمراً ،
اللهم إلا أن استنزل اللعنات على السبب الذى
يحول بينى وبين معاونة « الرجل » .
لقد ضاعت «مين» « وبايو » و « بواتيه» و « تور »
ضاعت كلها بسبب سمرست وتأخيره .

(ينطلق مع جنوده)

لوسى : وهكذا بينما ينقض عقاب الفتنة
ليطعم من صدور هؤلاء القادة العظماء ،
يغدر الإهمال والتراخى بفتوحات غازينا ،
الذى لم يبرد جثمانه بعد ، خالد الذكر هنرى الخامس .
وبينما يعاند كل منهم أخاه
تهرع الأرواح والفخار والفتوحات وكل شىء
نحو الضياع والفناء .

الفصل الرابع

المنظر الرابع

(يدخل سمرست مع جيشه . ضابط برتبة كابتن من ضباط تالبوت معه)

سمرست : ضاعت الفرصة ، ولا أستطيع أن أبعث بها الآن ،
لقد دبر يورك وتالبوت هذه الحملة تدبيراً أحمق ،
فهجوم من المدينة ذاتها يمكن أن يودى بقوتنا
الرئيسية جميعها :
إن تالبوت بجرأته المسرفة قد لطخ سمعته
الوضاءة
بهذه المغامرة الطائشة اليائسة الوحشية :
دفعه يورك للقتال والموت ، مجللا بالعار ،
حتى يستطيع أن يخلفه فى اللقب بعد موته .

ضابط : هذا هو السير وليم لوسى جاء معى طلباً لنجدة
قواتنا
وقوى العدو تفوقها عدداً .

سمرست : خبرنى يا سير وليم منذا الذى بعثك ؟

لوسى : من بعثنى يا سيدى ؟ الذى يباع ويشترى ،
اللورد تالبوت .
ذلك الذى يستغيث وهو محاصر بعدو جبار ،
يستغيث بالنبيلين ، يورك ، وسمرست ،
ليصدا عن فرقته الضعيفة غارة الموت .
وبينما القائد الشريف يتصبب العرق ، مخضباً
بالدماء من أطرافه ، التى أنهكتها الحرب ؛
ويطيل فى المعركة كسبا للوقت وأملا فى النجدة ،
تقفون أنتم جانباً مشغولين بمنازعاتكم وضغائنكم
المتكررة
وأنتم أمله الكاذب وذخر إنجلترة وشرفها ،
يقف نزاعكم الشخصى التافه حائلا بينه
وبين المدد الذى يجب أن يستعين به ،
فى الوقت الذى يضحى فيه ذلك الشهم المجيد
بروحه
مقاتلا قوات تفوقه ؛ لا حصر لها .
فمن أورليان الدعى إلى شارل إلى برجندى
إلى ألنسون إلى رينيه كلهم يضيقون عليه الخناق ،

وهو يتعرض للهلاك بسبب تقصيركم وخطئكم . .
سمرست : لقد رفعه يورك فليبعث إليه بالنجدة .
لوسى : إن يورك يجأر بالشكوى من رفعتكم ،
مقسماً أغلظ الأيمان بأنك منعت عنه جيشه
الذى عبىء لهذه الحملة .
سمرست : إن يورك يكذب فقد كان فى إمكانه أن يبعث
هو إليه بالفرسان :
لست أدين لتالبوت بشىء يذكر من الواجب،
وإنى لأدين له بقدر أقل من الحب ،
ولشد ما أزدرى مصانعته بأن أرسل أنا
إليه المدد .
لوسى : ليس الذى أودى الآن بتالبوت
قوة فرنسا ، بل هو غدر إنجلترة :
لن يمتد عمره حتى يعود إلى أوطانه،
لأنه سيودى ضحيةً لغدركم وشحنائكم .
سمرست : هلم إنى سأبعث بالفرسان على الفور ،
وستكون لديه النجدة بعد ست ساعات .
لوسى : إن النجدة لتصل متأخرة، وستجده إما أسيراً
أو قتيلا

ولن يفر حتى إذا بدا له أن يفعل،
لأن تالبوت لا يفر أبداً مهما يكن الفرار ميسوراً

سمرست : وإن كان قد مات فالوداع أيها الشجاع تالبوت!

لوسى : إن مجده مخلد فى الدنيا ، أما عار انكساره فهو مخلد بك .

(يخرجان)

الفصل الرابع

المنظر الخامس

(المعسكر الإنجليزى قرب بوردو – يدخل تالبوت وابنه)

تالبوت : لقد أرسلت فى طلبك يا بنى جون ،
لأعلمك فنون الحرب ،
حتى إذا ما دبت الشيخوخة الجافة فى مفاصلى الضعيفة ، وأقعدتنى
ظل اسم تالبوت حياً باك .
لكن يا للنجوم المشئومة المنحوسة !
ها أنت ذا تقدم لتشارك فى مأدبة للموت .
فى خطر فظيع لا مفر منه :
لذلك ، يا بنى العزيز ، امتط صهوة أسرع جواد لدىّ
وسأرشدك إلى طريق النجاة العاجل .
فى فرار مفاجئ . هلم لا تتلكأ وأسرع .

جون : أيكون اسمى تالبوت وأكون ابنك
ثم ألوذ بالفرار ؟ بالله إن كنت تعز أمى

فلا تلطخ اسمها الشريف بالعار
بأن تجعلنى ابن سفاح ، وعبداً من العبيد .
سيقول العالم إنه ليس من دم تالبوت . ولا ابن أبيه ،
ذلك الذى فر فى نذالة حيث صمد تالبوت النبيل .

تالبوت : فر لتثأر لموتى إن قتلت .
جون : إن الذى يفر فى المعمعة لن يعود مرة ثانية .
تالبوت : إذا نحن بقينا معاً فحتم أن نموت كلانا .
جون : إذن فلأبق . ولتفر أنت يا أبى .
إن فقدك خسارة كبرى .
هكذا ينبغى أن تكون نظرتك إلى الأمر .
أما أنا فلا أحد يعرف لى قدراً .
ولن تحدث بفقدى خسارة تذكر .
ولن يجد الفرنسيون بموتى ما يفخرون به .
أما بموتك فسيجدون .
إن كل الآمال معقودة عليك، وبموتك ستتبدد جميعها .
لن يدنس الفرار الشرف الذى نلت .

أما أنا الذى لم أنل شيئاً أو أظفر بشىء
فسيدنسنى الفرار :
إن فررت فلقد فررت لصالح الجميع ، وكل
سيقسم على ذلك .
أما إذا أنا وليت فسيقولون لقد ولى جبناً وفرقاً .
ولن يكون هناك أمل بعد ذلك فى أن أصمد
أو أبقى
إذا أنا من الساعة الأولى جبنت وفررت .
هكذا أتضرع إليك ، جاثياً على ركبتى ،
فى طلب الموت ،
فالموت خير من حياة يشينها العار والدنس .

تالبوت : أو تنتهى آمال أمك كلها فى قبر واحد ؟

جون : أجل فذلك أفضل من أن أدنس شرفها وسمعتها .

تالبوت : بحق أبوتى آمرك بالذهاب .

جون : لأقاتل عدوك ، نعم لأولى الأدبار .

تالبوت : سينجو بك جزء من أبيك

جون : لن يكون فىّ أى جزء منه ، لن يبقى فى شىء
غير عادى إذا فررت

تالبوت : من لا يملك الشىء لا يفقده

وأنت ما كان لك يوماً من الأيام شهرة لتفقدها .

جون : بلى إنني لأحمل اسمك المبجل ، أفلا يشينه الفرار؟

تالبوت : إن أمر أبيك سيدفع عنك هذا العار .

جون : لن تستطيع أن تشهد لى وأنت مقتول .
إذا كان الموت محققاً فلنهرب سوياً .

تالبوت : وأترك أتباعى هنا يقاتلون ويموتون ؟
إنى ما دنست حياتى بمثل هذا العار قط يا بنى .

جون : فهل يدنس شبابى بمثل هذا الجرم ؟
إذا استطعت أن تشطر نفسك شطرين ،
استطعت أنا أن أنفصل عن جانبك .
فلتبق أو فلتذهب ، افعل ما تريد . . فسأفعل مثلما تفعل .
ولن أعيش إذا كان أبى سيموت .

تالبوت : تعال إذن أودعك يا بنى الأغر
لقد قضى على أن أطفئ حياتك بعد ظهر هذا اليوم . (يتعانقان)
تعال ولنمض جنباً إلى جنب ، نعيش معاً ، ونموت معاً ؛
وستطير روحانا سوياً من أرض فرنسا إلى الجنة .
(يتقدمان إلى الأمام)

الفصل الرابع

المنظر السادس

(بوق . هجمات يحصر فيها ابن تالبوت ويفتقده أبوه)

تالبوت : القديس جورج والنصر! قاتلوا أيها الجند قاتلوا !
لقد أخلف الوصيُّ وعده لتالبوت
وتركنا نقع فريسة لغضب فرنسا .
أين جون تالبوت ؟ توقف يا بنى ، هدئ
أنفاسك هنيهة .
لقد وهبتك الحياة وأنقذتك من الموت
جون : مرتين يا أبتاه ، مرتين أصبحت ولدك !
الحياة التي وهبتها لى أولا ضاعت وولت ،
حتى جئت بسيفك البتار فوهبتنى ،
رغم القدر، عمراً ثانياً .
تالبوت : عند ما اشعل سيفك النار فوق رأس ولى العهد ،
بعثت فى قلب أبيك الحرارة والرغبة فى نصر بعيد
المنال ،
ثم دبت الحمية فى أعضائى الجامدة الثقيلة ،

وألهبتها غضبة شابة وثورة متأججة بالحرب .
فقهرت ألنسون وأورليان و برجندى
وأنقذتك من غطرسة « جاليا »
أما الدعى أورليان الحانق الذى أسال دمك يا بنى
وكان أول من أساله فى قتالك الأول ، فقد لقيته
و بادلته الضربات ، وسرعان ما أسلت بعض دمه الذميم
ولقد قلت له لأشعره الخزى « إن دمك الدنس الملوث ،
أريقه الآن من جسمك دنيئاً خسيساً
نظير دمى النقى الصافى الذى أسلته من تالبوت ولدى الشجاع » :
وهنا أقبل الدعى لنجدته بقوة كبيرة .
طمئن قلب أبيك يا جون
ألست مجهداً ؟ كيف تشعر ؟
أولا تترك المعركة يا بنى وتفر الآن
بعد أن أثبت أنك فارس سليل فرسان .
عجل وفر لتأخذ لى بالثأر عند ما أموت :

وليس لى الآن فى عونك ، وأنت فرد ، نفع
كبير .
إنى لأعرف جيداً أن من الحماقة ، يا بنى ،
أن نلقى بروحينا إلى مصير واحد محدود ، ونخاطر
بهما معا .
فأنا إذا لم يمتنى اليوم غضب الفرنسيين
فغدا تميتنى الشيخوخة الجبارة
ولن يكسبوا منى شيئاً حتى لو بقيت .
وإذن فليس فى صبرى الآن فى المعركة
غير تقصير عمرى يوماً واحداً :
أما أنت ففى موتك موت أملك ، واسم بيتنا ،
والثأر لموتى
وشبابك ، وشرف إنجلترة ، ومجدها .
كل هذه وأكثر منها تتعرض للخطر ببقائك .
أما إذا وليت الفرار فستنقذها جميعاً .
جون : لكأنى لم أستفد شيئاً من سيف أورليان!
إن كلماتك كالخناجر تحز فى قلبى .
أتشترى العار وتطفئ الشهرة اللامعة
لتنقذ حياة رخيصة لا قيمة لها ! .

فى أى مقابل ؟ ! ولحساب أية صفقة ؟!
قبل أن يفر تالبوت الصغير من تالبوت الكبير،
فليكب الحصان الجبان الذى يحملنى وليهلك .
أتريدنى أن أكون . كفتيان فرنسا الأجلاف .
موضعَ العار والهزؤ والزراية !
وحق المجد الذى ظفرت به
إذا أنا فررت فما أنا بابن تالبوت :
فبالله أقصر الكلام فى موضوع الفرار ، فليس
فيه جدوى .
وإذا كنت ولداً لتالبوت فسأموت تحت قدمى
تالبوت .

تالبوت : فلتتبع إذن مولاك اليائس صاحب كريت
يا إيخاروس [1]
إن حياتك لعزيزة على ،
ما دمت ستقاتل ، فلتقاتل إلى جانب أبيك ،
فلنحارب حرباً تذكر لنا بالفخر ، ولنمت فى
شرف ومجد . (يخرجان)

---

(١) صنع ديدالوس أجنحة له ولابنه إيخاروس ليفرا من سجنهما فى كريت ، ونجا ديدالوس غير أن الشمس أذابت الشمع فى جناح إيخاروس فسقط فى البحر .

الفصل الرابع

المنظر السابع

(بوق هجمات . يدخل تالبوت الكبير مصاباً بجرح أليم مستنداً إلى تابع)

تالبوت : أين حياتى الأخرى ، فقد ولت حياتى ؛
أين تالبوت الصغير ؟ أين تالبوت الشجاع ؟
أيها الموت الظافر الملطخ بدم الأسرى ،
أين بسالة الصغير لتجعلنى أسخر منك ،
فعند ما رآنى أخر صريعاً
أشهر سيفه البتار عالياً مهدداً من فوقى
وهاج كالأسد الجائع ، هياجاً عنيفاً ،
وقد عيل صبره ، وقاتل قتالا مروعاً .
فلما أضحى وحيداً حارسى الثائر ، ابنى ،
وقد أشفق علىّ من السقوط ، ولم يتقدم لمهاجمته أحد ،
استولت عليه سورة غلابة مفاجئة فهب من جنبى
وانقض على جموع الفرنسيين .
وألقى بروحه وسط هذا البحر الخضم من الدماء

حتى جاد بآخر قطرة من دمه . . .
مات إيخاروس . . زهرتى اليانعة فى عنفوانه وعزه

التابع : مولاى العزيز انظر إنهم يحملون ولدك !

(يدخل جنود يحملون جثمان تالبوت الصغير)

تالبوت : أيها الموت العابث الذى تضحك منا وتسخر ،
عما قريب سوف يغيظك بأن يتخلص من الحياة
اثنان من آل تالبوت ، تربطهما رابطة أبدية ،
وتضرب أجنحتهما فى جو السماء الرقيق
فراراً من نيرك المهين .
وأنت يا من تؤهلك جراحك للموت المنحوس ،
كلم أباك قبل أن تسلم أنفاسك !
وغالب الموت بالكلام سواء رضى أو لم يرض ؛
تخيله فرنسياً ، عدواً لك .
يا للفتى المسكين ! إنه يبتسم وكأنما يريد أن يقول
« لئن كان الموت فرنسياً فلقد مات الموت اليوم »
تعالوا تعالوا ضعوه بين ذراعى أبيه :
إن روحى لم تعد تحتمل هذه الآلام .

وداعا أيها الجند ! فقد حصلت على ما كنت أبغى
وسيكون ذراعاى الواهنان قبراً لجون تالبوت الشاب .

(يدخل شارل وألنسون و برجندى والدعى ولاپوسل وقوات)

شارل : لو أن يورك وسمرست جاءا بالنجدة
لغرقنا اليوم فى بحر من الدماء .

الدعى : يا لشبل تالبوت ! لكم أعمل سيفه الصغير ،
هائجاً كالمجنون مريقا دم الفرنسيين !

بوسل : قابلته مرة وقلت له :
« أيها الفتى الغض الإهاب استسلم لفتاة غضة عذراء » :
ولكنه أجاب فى ازدراء وعلو وكبرياء :
« إن تالبوت الصغير لم يولد ليكون نهباً لفتاة عابثة خليعة » :
ثم اندفع وسط جموع الفرنسيين ؛
وتركنى فى كبرياء وكأنما أنا خصم غير كفء له فى النزال .

برجندى : لو أنه عاش لأضحى فارساً نبيلا :
انظروا إليه وهو مسجى بين ذراعى

أكبر من جنى على نفسه !

الدعى : قطعوهما إرباً وفتتوا عظامهما
ذلكما اللذين كانت حياتهما مجداً لانجلترة
ومثارَ دهشة بجاليا[١] .

شارل : مهلا مهلا ! لا يليق بنا وقد فررنا منه حيا
أن نحط من كرامته ميتاً

(يدخل سير وليم لوسى محروساً ، أمامه ضابط اتصال فرنسى)

لوسى : أيها الضابط قدنى إلى خيمة ولى العهد ،
لأعرف من الذى ظفر بالنصر اليوم .

شارل : أى رسالة تحملها مستسلماً ؟

لوسى : استسلام يا ولى العهد ! هذه كلمة فرنسية بحتة ،
نحن ، المحاربين الإنجليز ، لا نعرف لها معنى .
لقد جئت لأعرف من أسرتم من رجالنا .
ولأتفقد جثث القتلى .

شارل : أتسأل عن الأسرى ؟ إننا لا نأسر وإنما نبعث
على الفور إلى الجحيم ،
ولكن خبرنى عمن تبحث ؟

---

(١) اسم لفرنسا

أوسى : عن الفارس المغوار، وبطل المعارك ألكايادير (١) العظيم ؛
اللورد تالبوت إيرل شروزبرى ،
الذى نال بانتصاره الباهر فى الحروب ألقاب
إيرل واشفورد (٢)، ووترفورد، وفالنس، العظيم ،
واللورد تالبوت لورد جودريج وأرشنفيلد ،
واللوردسترانج لورد بلاكمير واللورد فيردون ألتون ،
واللورد كرومويل لورد ونجفيلد ،
ومثلت النصر اللورد لورد فالنكونبردج ،
والفارس النبيل من طبقة « سانت جورج »
وسانت ميكل » والجولدن فليس » ،
والمارشال الأعظم لدى الملك هنرى السادس ،
وقد نالها جميعاً فى حروبه داخل الأرض الفرنسية .

بوسل : ما أسخف هذا الأسلوب المفخم !

---

(١) (Alcides) اسم من أسماء « هرقل » .

(٢) Washford; waterford; Valence Tallbot of Goodring & Urchinfield; Shrewsbury

Lord Strange of Blackmere. Lord Verdun of Action, Lord Cromwell of Wingfield Lord Furnivol of Sheffield Lord of Falconbridge

إن سلطان الترك الذى يملك اثنتين وخمسين مملكة
لا يستخدم أسلوباً مملا كهذا الأسلوب .
إن الذى تعظم وتمجد بكل هذه الألقاب
يرتمى كما ترى تحت أقدامنا منتنا يتكاثر عليه الذباب .

لوسى : أقتل ، تالبوت جلاد الفرنسيين الأوحد ،
وباعث الرعب فى مملكتكم والمنتقم منكم ؟
ليت مقلتى عينى تتحولان إلى قذائف
أطلقها ساخطاً على وجوهكم !
لو أننى أستطيع أن أرد هذين الميتين إلى الحياة ،
لكان ذلك وحده كافياً لبث الفزع فى كل الأرض الفرنسية :
ولو بقيت صورته بينكم هنا
لكانت كفيلة ببث الرعب فى قلوبكم .
إلى بجثمانيهما ليتسنى لى حملهما
ومواراتهما التراب بما يليق بمقامهما من المهابة .

بوسل : لكأن هذا النكرة طيف تالبوت الكبير ،
إنه ليتكلم فى لهجة آمرة متغطرسة أى لهجة .

بالله دعوه يأخذ الجثتين ، فتركهما هنا
مفسدة للجو ، وتلويث له .

شارل : اذهب واحمل جثمانيهما معك .

لوسى : سأفعل ولكن سوف يشب من الرماد المتخلف عنهما ،
عنقاء تثير الرعب فى قلوب الفرنسيين جميعاً .

شارل : افعل بهما ما تشاء فحسبنا أن تخلصنا منهما .
والآن فلنمض إلى باريس ظافرين منتصرين ،
فكل شىء بات ملكاً لنا بعد قتل تالبوت السفاح .

(يخرجون ، لوسى ورجاله يحملون الجثتين)

الفصل الخامس

المنظر الأول

(بوق مؤذن بدخول الملك وجلوستر واكستر)

الملك : هل قرأت الرسائل الواردة من البابا
والإمبراطور . وإيرل أرميناك ؟
جلوستر : أجل يا مولاى وهذا هو مضمونها :
إنهم يناشدون جلالتكم . فى تواضع ،
أن تعقدوا صلحاً ساركاً
بين مملكتى إنجلترة وفرنسا .
الملك : وما الذى تراه رعتكم فى هذا الطلب ؟
جلوستر : حسن يا مولاى . فالصلح هو الوسيلة الوحيدة
لوقف إراقة دماء المسيحيين ،
واستتباب السلام على الجانبين .
الملك : نعم يا عماه وقد كنا نحسب دائماً
أن من الخطل والضلال
أن يسود هذا العنف الفظيع وهذا الصراع

الدموى القاسى

بين بلدين يعتنقان ديناً واحداً .

جلوستر : وفضلا عن ذلك يا مولاى إذا بادرتم

بتوثيق رابطة المحبة وتقويتها ،

فإن إيرل أرمنياك الوثيق الصلة بشارل ،

وهو رجل قوى النفوذ فى فرنسا ،

ليعرض زواج ابنته الوحيدة منكم ،

ويمهرها مهراً ثميناً فخماً

الملك : الزواج يا عماه ! وا أسفاه ، إننى فى هذه السن الصغيرة ،

أصلح للدرس والكتب

منى لمغازلة الحسناء اللعوب .

على أية حال فلتدع السفراء ،

وإذا تفضلت فليحصل كل منهم على رد رسالته ،

وسأرضى بما يقع عليه الاختيار ، أيا كان ،

ما دام فى ذلك المجد لله والخير لبلادى .

(يدخل ونشستر فى مسوح الكاردينال ورسول بابوى وسفيران)

إكستر : ماذا أرى ؟ أنصب سيدى اللورد ونشستر كاردينالا ؟

إذن ستصدق نبوءة الملك هنرى الخامس

فيما أرى

إذ قال « إنه إذا أصبح يوماً كاردينالا
فسيجعل القلنسوة الكردينالية فى مستوى التاج .

الملك : يا أصحاب الفخامة السفراء ،
لقد درست مطالبكم المختلفة وبحثت ،
وإن غايتكم لطيبة معقولة .
لذلك صح عزمنا على إعداد شروط لصلح ودى ،
سوف يحملها إلى فرنسا ، قريباً ، سيدى اللورد
ونشستر .

جلوستر : أما فيما يختص بعرض مولاكم المبجل ،
فلقد أبلغت سموه بصفة عامة ،
عن مواهب السيدة وفضائلها ،
وعن جمالها الساحر ومهرها الغالى .
وهو فى نيته أن يجعلها ملكةً لانجلترة

الملك : وتمهيداً لهذا العقد ، وعربوناً لحبّى ،
احملوا إليها هذه الجوهرة .
وأرجو ، يا سيدى الوصى ، أن يصحبهم الحرس
حتّى يصلوا إلى دوفر آمنين ؛
ومن هناك أسلمهم لرحلة البحر وهم وحظهم فيه

(يخرج الملك وجلوستر وإكستر . وإذ يغادر السفراء ينتحى ونشستر بالرسول البابوى جانباً)

ونشستر (جانباً) : تمهل يا سيدى الرسول البابوى ؟
إن المبلغ الذى وعدت به
يجب أن يسلم إلى قداسته ؛
مقابل إعطائه إياى هذه الحلة القشيبة .

الرسول البابوى : سأكون عند سماحتكم فى الوقت الذى ترونه .

(يتبع الآخرين)

ونشستر : الآن لن يخضع ونشستر أبداً .
ولن يكون فى المقام الثانى لأى أمير مهما علا وتكبر .
ولسوف ترى فى وضوح ، يا همفرى جلوستر ،
أنك لن تسمو برأسك فوق رأس الأسقف ،
سواء أكان فى نبل المحتد ، أم فى النفوذ :
ولسوف أجعلك تحنى الهام وتخر على ركبتك ،
أو أشعلها فتنة لاتبقى شيئاً فى هذا الوطن ولا تذر

(يخرج)

الفصل الخامس

المنظر الثانى

فرنسا – أمام قصر رينيه فى « أنجو »

(يدخل شارل وبرجندى وألنسون والدعى ورينيه ولادوسل وقوات)

شارل : إن هذه الأنباء أيها السادة قد تنعش أرواحنا الحزينة اليائسة .
يقولون إن الباريسيين البواسل ثائرون
وينقلبون مرة ثانية محاربين أشداء كالعهد بالفرنسيين .

آلنسون : فلتمض إذن إلى باريس ، أيها الأمير الملكى الفرنسى شارل ،
ولتمض قواتك فى طريقها دون تلكؤ

بوسل : سلام عليهم ما داموا معنا
وإلا فليحطم الخراب قصورهم !

(يدخل كشاف)

كشاف : النصر لقائدنا الباسل ،

والسعادة لشركائه !

شارل : أى أنباء تأتينا بها الكشافة ؟ بالله تكلم .

كشاف : إن الجيش البريطانى ، الذى كان قد شطر شطرين ،
التأم مرة أخرى ، وهو يعتزم القتال قريباً .

شارل : إن الإنذار سريع المفاجأة أيها السادة ،
ولكننا سوف نعد أنفسنا لملاقاتهم فى أقرب وقت .

برجندى : الآن وقد مات تالبوت ، وليس لطيفه أثر ،
فلست أرى محلا للخوف يا سيدى .

بوسل : شر المشاعر الخسيسة وأدناها الخوف ،
فلتقد الحملة يا شارل وسيكون النصر حليفك .
وليحرق هنرى الإرم غيظاً وليذو العالم بأسره !

شارل : إلى الأمام إذن أيها السادة . والجد والسعد لفرنسا!

(يتقدمون)

الفصل الخامس

المنظر الثالث

(بوق . هجمات . لابوسيل تعود)

بوسيل : الوصى ينتصر ، والفرنسيون يفرون ،
العون أيها الرقى الساحرة ، والتعاويذ ،
وأنت أيتها الصفوة من الأرواح التى تحرسنى (رعد)
وتكشف عنى حجاب الغيب والمستقبل !
أيتها المعاونات السريعة الحارسة
التى تعمل ممثلة سلطان القدر تحت إمرة ملك
الشمال ،
أظهرى وأعينى على هذه المهمة (تدخل شياطين)
إن ظهورك هذا العاجل الموفق
دليل رعايتك المعهودة لى .
والآن أيتها الأرواح الأليفة المختارة
من العالم الجبارة ، الكامنة فى جوف الأرض ،

امنحيني عونك هذه المرة لتنتصر فرنسا فى
الميدان (تمشى ولاتتكلم)

لا يطل صمتك على !
لقد كنت فيما مضى أغذيك بدمائى .
أما الآن فسأقطع عضواً من جسمى
أهبه إليك عربوناً منى لمعروف آخر ،
هو أن تتفضلى بمعاونتى الآن (تطأطىء رأوسها)
ألا تقبلين توسلى إليك بالتضيحة بجمسى
أو بدمى ؟

إذن تقبلى روحى وجسمى وكل شى ء ،
مقابل ألا يهزم الإنجليز الفرنسيين
(تنصرف الأرواح)

إنها تتخلى عنى ! لقد آن الأوان
لأن تنكس فرنسا رأسها الشامخ المتوج ،
ثم تسقطه فى حجر إنجلترة . . .
دب الضعف فى تعاويذى القديمة ،
وأضحى الجحيم جباراً لا أقدر عليه .
فالآن يا فرنسا يدفن مجدك الشامخ فى الرغام
(تذهب)

(هجمات . برجندى ويورك يتقاتلان . يفر الفرنسيون يلاحقهم يورك . ويعود بلابوسل أسيرة .)

يورك : لن تفلتى من يدى يا غادة فرنسا :
أطلقى أرواحك بالسحر والتعاويذ ،
واجتهدى أن تخلصك من الأسر .
يالك من غنيمة طيبة جديرة بعظمة الشيطان نفسه !
انظر كيف تحنى الساحرة الدميمة حاجبيها
كأنما تريد بعون « سيركى[1] » أن تسحرنى !

بوسل : وهل يمكن أن تنقلب صورتك إلى أبشع مما هى عليه الآن ؟!

يورك : إن شارل ولى العهد لهو الرجل
الذى لا ترضى عينك الفاحصة عن سواه

بوسل : تباً لك ولشارل !
فلتطبق عليكما يد القدر الدامية
وأنتما غارقان فى نومكما !

---

(١) « سيركى » ساحرة من جزيرة « آيى » سحرت كل من شرب من كأسها إلى خنزير .

يورك : اصمتى أيتها الشمطاء اللعينة الساحرة !

بوسل : بالله دعنى على الأقل ألعن قليلا ،

يورك : ادخرى أيتها اللئيمة لعناتك

حتى تشدى إلى عمود النار (يجرها بعيداً)

(بوق . يدخل سافوك وفى يده مرجريت)

سافوك : فلتكونى من تكونين ، ولكنك أسيرتى .

(يتفرس فيها)

أيها الحسن الفاتن لاتجزعن ولا تولىّ الأدبار

فلن تمسكك يداى إلا بإجلال ورفق .

إنى أقبل هذه الأنامل فى سبيل السلام المقيم .

(يقبل يدها)

ثم أعيدها فى حنان إلى جانبك الرفيق .

من تكونين ؟ اكشفى عن نفسك بالله،

حتى أضعك فى منزلتك من الشرف والرفعة .

مرجريت : إن اسمى مرجريت ، وأنا ابنة ملك ،

ملك نابولى ، ومن تكون أنت ؟

سافوك : وأنا إيرل واسمى « سافوك »

فلا يسوءنك شىء ، يا معجزة الخلقة ،

إن شاء القدر أن تقعي بين يدى :
فسيكون شأنك معى شأن البجعات الصغيرات
اللائى تحبسهن أمهن تحت جناحها لتحميهن .
ومع ذلك فإذا ما ارتأيت ما يسوء فى هذه المعاملة
المذلة ،
فاذهبي مطلقة السراح وأنت صديقة لسافوك .
(يهم بالذهاب)
مهلا مهلا ! (جانباً) لست أملك إطلاق
سراحها .
أن يدى تسرح وقلبي يقول لا ؛
إن جمالك الباهر ليبدو لعيني كالشمس
المتلألئة
تنعكس على سطح الغدران البلّورية . . .
فترسل شعاعاً آخر متلألئا خلاباً .
لكم تدفعني الرغبة إلى أن أخطب ودها ،
ولكن سلطان الجمال يعقد لسانى :
سألجأ إلى القلم والقرطاس لأبثها نجواى .
ألا بئس الذى تصنع يدى لا بول[1] !

---

(١) لقب الإيرل سافوك

أعاجز أنت ، مقطوع اللسان ؟
أليست ماثلة أمامك ؟ أترهب مواجهة امرأة ؟
أجل فسلطان الجمال فى أبناء الملوك
يحدث شللا فى اللسان وثورة فى الحواس .

مرجريت : قل لى يا إيرل سافوك ، إن كان هذا اسمك ،
ما الفدية التى ينبغى علىّ أن أؤديها لتطلق
سراحى ؟
فإنى لأرانى أسيرتك .

سافوك (جانباً) : كيف تعلم أنها ستصدك
قبل أن تجرب حظك فى حبها ؟

مرجريت : لم لا تتكلم ؟ ما الفدية التى ينبغى أن أدفع ؟

سافوك (جانباً): إنها لحسناء ولذلك فهى خليقة بأن تعشق ،
وإنها لامرأة ولذلك فهى جديرة بأن يظفر بها .

مرجريت : أتقبل الفدية ؟ نعم أو لا .

سافوك (جانباً): أيها المدله الولهان ، تذكر أنك زوج ،
فكيف يمكن أن تكون مرجريت عشيقةً لك ؟

مرجريت : يحسن أن أتركه ، فهو لا يريد أن يسمع .

سافوك : وهكذا يفسد هذا الاعتبار كل شىء .

ويصب الماء البارد على الموقف .

مرجريت : إنه يتكلم عفو الخاطر ، ولا شك أنه مجنون

سافوك : ومع ذلك فمن الجائز الوصول إلى حل .

مرجريت : ومع ذلك أرجو أن أتلقى منك جواباً .

سافوك : سأحظى بهذه مرجريت السيدة ، ولكن لمن ؟
آه للمليكى ؟ كلا كلا ! يلوح لى أنها مسألة حرجة سخيفة !

مرجريت : إنه يتكلم فيما يلوح عن الأحجار ولا بد أنه حجار .

سافوك (حانياً) : ومع ذلك فقد يكون هذا إشباعاً لعاطفتى ،
ومدعاة لاستتباب السلام بين البلدين .
ولكن لايزال فى ذلك موضع للريب ، قد يدعو إلى التردد ،
فبالرغم من أن أباها ملك نابلى ، ودوق أنجو ومين [١]
فإنه فقير ، ولذلك سوف يسخر نبلاؤنا من المشروع .

مرجريت : استمع إلى أيها الضابط أهناك ما يشغلك ؟

---

(١) Duke of Anjou and Maine

سافوك (جانباً) : لأدبرن الأمر ، ولن يسخروا كثيراً ،
فهنرى عارم الشباب ، وسرعان ما يقع فى
حبائلها (يلتفت إليها)
سيدتى لدى سرّ أبوح لك به .
مرجريت (جانباً) : ترى ماذا لو استرقنى ولن ينال من
شرفى
سافوك : سيدتى تفضلى بالاستماع إلى ما أقول .
مرجريت (جانباً) : قد يبادر الفرنسيون بإنقاذى ؛
فلا حاجة عندئذ لأن أهيب بشهامته .
سافوك : أيتها الحسناء أنصتى بالله إلى .
مرجريت (جانباً) : فليكن ما يكون فلست أنا أول امرأة تؤسر ؟
سافوك : سيدتى ما الذى يدفعك إلى هذا الحديث؟
مرجريت : على رسلك ، دقة بدقة .
سافوك : خبرينى أيتها الأميرة الحسناء :
ألا ترين فى هذا الأسر سعادة .
إذا صرت بسببه ملكة ؟
مرجريت : لئن أكن ملكة فى الأسر لشر عندى
من أن أعيش أمة فى أحط مراتب العبودية ؟
فالأمراء يجب أن يعيشوا أحراراً .

سافوك : لسوف تكونين حرة
إذا حدث أن كان ملك إنجلترة حراً . . . !
مرجريت : وما ذا يربط بين حريته وحريتى ؟
سافوك : سآخذ على عاتقى أن أجعلك ملكة هنرى .
وأن أسلمك فى يدك صولجانا من ذهب
وأضع فوق رأسك تاجاً ثميناً .
إذا نزلت من عليائك فكنت لى —
مرجريت : ماذا
سافوك : محبوبته
مرجريت : لست أهلا لأن أكون زوجة لهنرى .
سافوك : كلا أيتها الحسناء الرقيقة ، إن مثلى غير أهل على الإطلاق
لأن يخطب سيدة جميلة مثلك لتكونى زوجته ،
وليس لى نصيب من هذا الذى أختار .
ما الذى تقولين يا سيدتى ، ألست راضية ؟
مرجريت : راضية إذا رضى أبى .
سافوك : إذن سأدعو رجالى بأعلامهم وشاراتهم ،
وعند أسوار قصر أبيك ؛ سألتمس محادثته لبحث الأمر.

(بوق محادثة . يدخل رينيه على الأسوار . . .)

انظر ، رينيه ، انظر أن ابنتك أسيرة !

رينيه : لدى من ؟

سافوك : لدى .

رينيه : وما العلاج يا سافوك
إنني جندى فلا يليق بى البكاء
ولا أن أندب حظى وصروف الزمان .

سافوك : بلى إن هناك لعلاجاً يا سيدى :
وهو أن توافق ، وفى موافقتك شرف لك ،
على أن تزوج ابنتك لمليكى .
لقد بذلت جهدى لأخطب ودها وحظيت به ،
ونالت ابنتك بسبب ذلك حريتها من أسر هين .

رينيه : وهل يعنى سافوك ما يقول ؟

سافوك : إن مرجريت الحسناء تعلم
أن سافوك لا ينافق أو يخادع أو يدعى .

رينيه : واعتماداً على أمانك الكريم ، سأنزل
لأوافيك بجوابى على مطلبك العادل .

سافوك : وهنا سوف أرتقب مجيئك (يهبط من الأسوار)

(صوت أبواق . يدخل رينيه من باب القصر)

رينيه : أيها الإيرل الشجاع ، مرحباً بك فى أراضينا :
فلتحكم فى أرض « أنجو » ما شئت يا صاحب الشرف الرفيع ،

سافوك : إننى شاكر لك يا رينيه ، كم أنت سعيد بفتاتك المليحة
الجديرة بعشرة ملك :
فما جواب رفعتك على ملتمسى ؟

رينيه : أما وقد نزلت من عليائك فخطبت ابنتى
على ما أوتيتُ من نصيب متواضع من الجدارة ،
لتكون عروساً لهذا الأمير العظيم ،
فشرطى الوحيد لزواجها من هنرى ، إذا أراد ،
هو أن أظل محتفظاً مما أملك : بلاد « مين » و « أنجو » ،
يسودها السلام وينشر عليها لواءه ،
متحررة من الظلم ، ومن شرور الحروب .

سافوك : تلك فديتها ، إنى أسلمها إليك .
أما هذان البلدان فسآخذ على عاتقى
أن يظلا تحت حكمك ، ناعمين بالسلام والحرية ،

رينيه : وأنا أيضاً ، باسم هنرى الملك ،
وبوصفى نائباً عنه ، فى هذا الإقليم ،
أمنحك يدها النقية وعربون الوفاء .

سافوك : الثناء الملكى يا رينيه الفرسى
فهذه مهمة خليقة بأن تؤدى للملوك .
(جانباً) ومع ذلك فلقد كان يسعدنى
كل السعادة أن أكون وكيلا عن نفسى فى
هذه المسألة .
(بصوت مرتفع) سأسافر إلى إنجلترة ، من
أجل هذا النبأ ،
ومن أجل إعداد مراسيم الاحتفال لهذا الزواج ،
فالوداع يا رينيه :
ولتصن هذه الدرة فى قصور من الذهب بما هى
أهل له .

رينيه : فلأضمك إلى صدرى . كما كنت أضم الأمير
المسيحى
الملك هنرى ، لو أنه كان هنا .

مرجريت : وداعاً أيها اللورد : ولسافوك من مرجريت على الدوام

الأمانى الطيبة ، والثناء عليه ، والصلوات من أجله . (يهم بالذهاب)

سافوك : وداعاً أيتها الأميرة الحسناء . ولكن مهلا أيا مرجريت
أفلا تبعثين للملك بتحية ملكية ؟

مرجريت : التحية اللائقة بعذراء بكر خادمة . . بلغه ذلك عنى

سافوك : كلمات جميلة الوقع متواضعة أمام من وجهت له .
ولكن مرة أخرى أيتها الحسناء لا بد أن أضايقك فأسألك :
ألا تبعثين لجلالته بعربون محبة ؟

مرجريت : أجل يا سيدى اللورد الطيب : قلباً صافياً نقياً
لم يمسسه من قبل حب أبعث به إلى الملك

سافوك : ومعه هذه (يقبلها)

مرجريت : هذه لك أنت : فما اجترئ
على أن أبعث هذا العربون السخيف للملك

(ريميه ومارجريت يدخلان)

سافوك : لعمرى . . لو أنها كانت لى ! ولكن تمهل يا سافوك

فما ينبغى أن تسلك هذا السبيل الضال المضل ،
فالحيانات البشعة والوحوش المفترسة تكمن فيه ،
اخلب لب هنرى بالحديث العجيب فى مدحها ،
وصف له فضائلها التى تعلو وتسمو وتضيء ،
ومحاسنها الطبيعية التى تزرى بروعة الفن ،
وكرر هذه الصور والأوصاف مراراً وأنت فى البحر العظيم
حتى إذا جثوت لتركع تحت قدمى هنرى ،
سلبت لبه وأثرت فيه بأعجب العجب .

(يخرج)

الفصل الخامس

المنظر الرابع

(معسكر دوق يورك . فى انجو يدخل يورك وويك وآخرون)

(تدخل لابوسل مع حراسها وراع)

يورك : هاتوا تلك الساحرة المحكوم عليها بالحرق .

(يدخل الكاردينال بووور أسقف ونشستر بأتباعه .)

راع : آه يا جان إن هذا يسحق قلب أبيك سحقاً !
أبعد أن جبت البلاد قاصيها ودانيها ،
منقباً عنك ،
يشاء لى القدر أن أعثر عليك ،
لأشهد موتك الرهيب الذى حلّ قبل الأوان ؟
آه يا حان يا روح قلب أبيك لأموتن معك !

بوسل : خسئت أيها المقعد التعس الزرى !
إنما أنا منحدرة من دم نبيل
وما أنت بأب لى ولا بصديق .

راع : تباً لك ! أيها السادة إن الحق غير الذى تقول .
لقد خلفتها من صلبى ، وكل الأبرشية الكنسية

تشهد بذلك .

إن أمها لاتزال حية ترزق ، وتستطيع أن تشهد
بأنها أول ثمرة كانت لى قبل أن أتزوج .

وريك : ألا خزياً لك ! أتنكرين أبويك ؟

يورك : إن هذا لدليل على نوع الحياة التى قضتها
حياة الإثم والشر والرذيلة ، وهذا ماانتهى بها إلى
الموت

راع : عار عليك يا جان أن يذهب بك العناد هذا
المذهب !
الله يعلم أنك فلذة من كبدى
ولكم ذرفت من أجلك الدموع :
فلا تتنكرى لى بربك ، أيتها اللطيفة ، جان .

بوسل : إليك عنى أيها الريفى !
لقد أفسدتم ذمة هذا الرجل ليطمس مولدى
النبيل

راع : حقاً لقد منحت الكاهن جنيها « نبيلا »
غداة زوجنى من أمها .
اركعى ، يا بنيتى ، ودعينى أباركك ،
ألا تقبلين ؟ لعنة الله عليك يوم ولدت !

ليت اللبن الذى أرضعتك إياه أملك كان سم
فأر !
أوليتك ، وأنت ترعين لى غنمى ،
افترسك ذئب كاسر !
أتنكرين أباك أيتها البغى اللعينة ؟
ألا احرقوها ! احرقوها ! فالشنق جزاء هين لها
(يخرج)

يورك : خذوها فقد عاشت من العمر ما يكفى لأن تملأ الدنيا إثماً وشراً .

بوسل : فلاقل لكم أولا من تكون تلك التى حكمتم عليها.
ما خلفنى ذلك الراعى القروى الجلف
وإنما انحدرت من أصلاب ملوك ،
طاهرة مقدسة ، اختارتنى العناية
وحبتنى بإلهام سماوى ،
لأقوم على الأرض بمعجزات خارقة .
وما مارست العمل قط مع الأرواح الشريرة :
ولكنكم أنتم الذين دنستكم الشهوات .
ولوثتكم دماء الأبرياء الطاهرين ،
وأفسدتكم ألف رذيلة ورذيلة ،

ولأنكم يعوزكم الفضل الذى أوتيه الآخرون ،
تحسبون ذلك ضرباً من المحال ،
وترون ألا يمكن للمعجزات ألا أن تكون من
عمل الشيطان .
كلا أيها المتشككون الظنانون خاطئى التصور !
إن جان دراك عذراء منذ طفولتها الغضة ،
طاهرة الذيل ناصعة الصفحة ،
نقية من كل دنس حتى فى مجرد تفكيرها .
ولسوف يصرخ دمها الزكى ، المراق فى قسوة ،
على أبواب الجنة مطالباً بالثأر .

يورك : هيا هيا : خذوها إلى الإعدام .

وريك : ولا تدخروا حطباً ، أيها السادة ، فلأنها فتاة
وفروا الوقود ،
وضعوا براميل القار عند عمود الصلب الرهيب
حتى يكون عذابها قصيراً .

يوسل : أما من شىء يحرك فى قلوبكم الجامدة الرحمة ؟
فلتكشفى إذن يا جان عن دائك الخفى
الذى يوجه القانون لمصلحتك .
إننى أحمل فى أحشائى طفلا أيها السفاكون القتلة ،

فلا تقتلوا الجنين الذى فى أحشائى ،
وإن كنتم ترحبون بأن تسوقونى إلى موت زؤام .

يورك : ألا لا قدر له ! العذراء المقدسة حامل !

وريك : لحق تلك كبرى معجزاتك ! أكل الطهر والفضيلة والنقاء
ينتهى عندك إلى هذا المآل ؟

يورك : إنها ، وولى العهد ، كانا يمكران .
وقد قدرت أن يكون هذا ملاذها .

وريك : خذوها فلن نسمح لأبناء السفاح أن يروا النور ،
ولا سيما إذا كان شارل هو الأب السفاح كما هو مرجح .

بوسل : إنكم مخدوعون فليس الطفل له وإنما هو لألنسون وثمرة عشرته ،

يورك : ألنسون ! يا له من ما كيافيلى سيئ السمعة ،
ستموت ولو كان لها ألف روح .

بوسل : مهلا فقد خدعتكم :
فليس الغلام لشارل أو للدوق الذى أسميته ،
وإنما هو لرينيه ملك نابولى .

وريك : رجل متزوج ! ! عفرانك اللهم ! هذا فوق كل احتمال .

يورك : يا لها من فتاة ! أظنها لا تعرف على وجه التحديد

من تتهم منهم فهم كثر !

وريك : هذا دليل الفجور والبغى .

يورك ومع ذلك فهى عذراء طاهرة !

أيتها البغى ، إن أقوالك تدينك وتدين ولدك ،
فلا تتوسلى فما تجديك التوسلات .

بوسل : اذهبوا بى إذن . ولتنزل عليكم لعنتى :
ألا لاتشرقن الشمس أبداً أو ترسل أشعتها
فوق بلد تتخذونه وطناً لكم !
وليطبق عليكم الظلام ، وظل الموت القاتم ،
حتى تضيقوا بأنفسكم وبالشقاء من حولكم ،
فيدفعكم اليأس فى النهاية إلى دق أعناقكم أو
الانتحار شنقاً (تقاد إلى الخارج)

يورك : فلتتفتتى بدداً وانتذر الرياح رمادك
أيتها الأثيمة اللعينة عميلة الجحيم !
(يدخل الكاردينال بوفور أسقف ونشستر بأتباعه)

ونشستر : تحية لك أيها السيد الوصى ،
أحملها لفخامتكم مع خطابات اعتماد من جلالة الملك .
اعلموا أيها السادة أن الدول المسيحية ،
وقد أشفقت على نفسها من هذه المعارك الدامية ،
توجهت إلينا برجاء حار وناشدتنا أن نبرم صلحاً عاما
بيننا وبين فرنسا المتطلعة إلى العلا .
ولسوف يقدم هنا إلينا ولى العهد وحاشيته ،
وهما قريبان من هنا ، للتفاوض فى الأمر .

يورك : أوهكذا تكون آخرة الجهود التى بذلناها ؟
بعد ذبح الكثيرين من الأمراء والقادة والسادة والجنود ،
الذين خروا فى الميدان وجادوا بأرواحهم
رخيصة فى سبيل سؤدد بلادهم ،
نعقد صلحاً خائراً ضعيفاً ؟
ألم نفقد معظم المدن والمواقع التى فتحها أسلافنا العظام
غدراً وزيفا وخيانة ؟

وريك . . وريك ! إننى لألمح ، والأسى يقطع
نياط قلبى ،
ضياع المملكة الفرنسية كلها ضياعاً تاماً من
أيدينا

وريك : الصبر يا يورك الصبر : فإذا عقدنا صلحاً
فستكون شروطنا شديدة دقيقة وقاسية
بحيث يصعب على الفرنسيين أن يجنوا منها شيئاً

(يدخل شارل والنسون والدعى ورينيه)

شارل : أما وقد اتفق ، أيها اللوردات الإنجليز ،
على الصلح وعلى إعلان الهدنة فى فرنسا ،
فقد جئنا لنعرف منكم شروط هذا الاتفاق .

يورك : تكلم ، يا ونشستر ، فإن سورة الغضب
تخنق حنجرة صوتى المسموم
لمرأى هؤلاء الأعداء الأوغاد .

ونشستر : هاكم قراراتنا يا شارل أنت ومن معك :
بدافع من العطف والرحمة ، وافق الملك هنرى
على ما يأتى :
أن يرفع عن كاهل وطنكم نير الحروب الهائلة
المؤسفة

ليتاح لكم استنشاق الصلح المثمر ؛
على أن تكونوا أتباعاً مخلصين لعرشه ،
وعلى أن تقسم ، أنت ياشارل ، على أن تؤتى الجزية ،
وأن تخضع له خضوعاً تاماً .
فتكون نائباً عنه وتظل محتفظاً بمقامك الملكى .

ألنسون : أينبغى إذن أن يكون مجرد ظل لنفسه ،
يزين جبينه تاج ،
ثم لا يكون له من النفوذ والسلطان
إلا ما يكون لفرد من العامة ؟
إن هذا العرض سخيف لا يقبله العقل .

شارل : لقد عرف الناس أننى أمتلك حتى الآن
أكثر من نصف أراضى بلاد الغال .
وأن الناس هناك يدينون لى بالولاء بوصفى ملكهم الشرعى :
فهل من أجل كسب الجزء الباقى ، الذى لم يقهر بعد ،
أبخس نفسى حقها وامتيازها ، لا لشىء
إلا أن يكون اسمى نائباً عن الملك فى كل البلاد ؟

كلا يا سيدى السفير إنى لأفضل أن أحتفظ بما أملك
على أن أضيع الأمل فى الحصول على الكل
طمعاً فى الحصول على قدر أكبر مما عندى الآن.

يورك : يا للقحة يا شارل ! أتسعى بالوساطات والشفاعات
سراً للحصول على الصلح ؛
ثم عند إجراء التسوية الودية
تقف موقف الموازن المتخير صاحب الرأى ؟
إما أن تقبل اللقب الذى تغتصبه
من فضل مليكنا المنعم بهباته
بلا أى حق مكتسب لك فيه ؛
وأما أن نبتليك بحروب نشنها عليك من غير انقطاع .

رينيه (جانباً) : ليس من صالحك يا سيدى العناد والاعتراض
فى الوقت الذى نتعاقد فيه :
وإذا نحن أهملنا هذا العرض ، فأغلب الظن
أن مثل هذه الفرصة لن تسنح مرة أخرى .

النسون (جانباً): (جانباً) الحقيقة أن الواجب عليك وعلى سياستك
أن تنقذ رعاياك من مثل المذابح والمجازر
التى يتعرضون لها كل يوم ؟
بسبب استمرارنا فى الأعمال العدوانية .
لذلك أرى أن تقبل اتفاقية الهدنة هذه ؟
على أن تنقضها متى شئت ، وكان ذلك فى صالحك.

وريك : ما قولك يا شارل ؟ أشرطنا مقبول ؟

شارل : لا بد أن أقبله ولن أشترط عليكم
غير ألا تطالبوا بأى حق لكم فى مدننا المحصنة

يورك (يمد مقبض سيفه) : فلتقسم إذن يمين الولاء لجلالته ،
بحق فروسيتك ألا تشق عصا الطاعة ، أو تثور
على عرش إنجلترة ، أنت ونبلاؤك .

(شارل يضع يده فوق مقبض السيف)

سرح إذن جيشك فى الوقت الذى تراه ،
وانزع أعلامك وشعائرك

ولتصمت طبولك لأنك تستقبل صلحاً رسمياً ،
عظيماً خطيراً . .

(يخرجون)

الفصل الخامس

المنظر الخامس

لندن . القصر الملكى

(يدخل مافوك فى حديث مع الملك ، وجلوستر واكستر)

الملك : إن وصفك البارع النادر لمرجريت المتألقة الجمال
قد أخذ بلبي أيها الإيرل النبيل
ففضائلها التى يزينها ما وهبها الله من الحسن وجمال الشكل
لتبعث عواطف الحب الكامنة فى قلبى .
فإذا أنا كالسفين الضخم الجبار
الذى تتقاذفه الرياح العاتية ، والعواصف الهوج ،
وسط أمواج البحر المتلاطمة ؛
تدفعنى بدل الرياح أنفاس من شهرتها . .
فأما إلى الغرق والهلاك
وإما أن أصل إلى حيث أحظى بنعيم حبها .

سافوك : إن الذى سمعته ، يا مولاى ، من وصف محاسنها
ليس إلا مقدمة لما هى عليه من رفعة شأن .
ولو أننى كنت على حظ طيب من المهارة فى الوصف
لملأت مجلداً خلاب السطور
بالخلال الأصيلة التى تمتاز بها هذه الحسناء ،
كفيلا بأن يلهب أبلد خيال :
وهى فوق ذلك بعيدة عن أن تكون متعالية ،
بعيدة عن أن تزهى بكل هذه الصفات الطيبة ،
وهى ذات طبع سمح ، وتواضع حقيقى ؛
يُشعرها بالسعادة فى أن تكون طوع أمرك
وأعنى بذلك أمرك فى كل ما هو سام وطاهر ،
فى أن تحب هنرى وتحترمه احترامها سيدها

الملك : لن أبغى شيئاً خيراً من هذا ؟
فلتوافق يا سيدى الوصى إذن على أن تكون
مرجريت ملكة إنجلترة الجليلة .

جلوستر : إننى إن وافقت فكأنى أوافق على إقرار الإثم .

أنت تعلم يا مولاى أن سموك مخطوب لسيدة
أخرى رفيعة الشأن :
فكيف نتخلص من هذا العقد
دون أن تعرض شرفك للثلم .

سافوك : شأنه شأن الحاكم فى موقفه من عهد غير قانونى ،
أو شأن ذلك الذى تعهد بأن يحارب إثر إعلان نصر ،
ثم تخلى عن الميدان عند ما أيقن
بعدم التكافؤ بين قوته وقوى العدو .
وبذلك يمكن نقض العهد دون أن يكون فى ذلك ضرر .

جلوستر : وبم ترجحها مرجريت فى ذلك ؟
إن أباها ليس أفضل من إيرل
وأن يكن غنياً بالألقاب الفخمة الرنانة .

سافوك : بلى يا مولاى إن أباها الملك ،
ملك نابولى وبيت المقدس ،
وله من النفوذ الكبير فى فرنسا ما يجعل التحالف معه
سبيلا لتوطيد دعائم الصلح، واستمرار الفرنسيين على الولاء

جاوستر : يستطيع إيرل أرميناك أن يفعل ذلك أيضاً ،
فصلة القربى التى تربطه بشارل صلة دانية
قريبة

إكستر : فضلا عن أن ثروته تمكنه من تقديم مهر
طيب ،
بينما رينيه أليق بأن يأخذ ، منه بأن يعطى .

سافوك : مهر أيها السادة ؛ بالله لا تحطوا من قدر ملككم
فتجعلوه من الوضاعة والفقر
بحيث يختار عروسه لثروتها لا للحب الحقيقى .
إن هنرى قادر على أن يغنى ملكته
لا أن يبحث عن ملكة تغنيه .
إن أجلاف الريفيين هم الذين يساومون على
زوجاتهم ؛
كما يساوم السوقة على ثيرتهم ، وأغنامهم ،
وخيلهم :
والزواج أمر أجل شأنا من أن نبت فيه بالوكالة
أو التفويض .
إن التى يهفو قلب جلالته إليها ، لا التى
نريدها نحن ،

هى التى ينبغى أن تشاركه فراش العرس .
لذلك أرى ، أيها السادة ، أن يقع اختيارنا
على من تحظى منه بالميل .
فإن ذلك هو الاعتبار الملزم لنا قبل سواه .
وهل الزواج المفروض إلا جحيم . . :
بل إنه لحياة تنقضى بين العراك والشقاق المستديم ؟
بينما زواج الاختيار يجلب النعيم ،
وهو صورة من السلم القدسى المقيم ،
ومن تلك التى يمكن أن تكون كفؤاً لهنرى وهو ملك
غير مرجريت وهى ابنة ملك ؟
فإن جمالها الذى لا نظير له مزيناً بكريم محتدها
ليجعلها كفؤاً لملك ؛ وللملك ليس غير :
إن فى شجاعتها الفائقة ، وفى روحها
الذى لا يعرف الخوف أو النكول ،
مما يندر وجوده فى النساء
لتحقيقاً للأمل الذى نتطلع إليه

فى نسل الملك ؛ وما يجب أن يكون عليه .
فهنرى وهو ابن فاتح غاز ،
لحرى أن ينجب غزاةً فاتحين .
إذا اقترن فى الحب بسيدة ماضية العزيمة
كمرجريت الحسناء .
سلموا أيها السادة . وخذوا آخر الأمر برأيى
أن تكون الملكة هى مرجريت دون غيرها .

الملك : لست أدرى هل ذلك راجع لبلاغة شهادتك ،
أيها اللورد النبيل سافوك ،
أو لأن شبابى الغض لم يعرف من قبل عواطف
الحب الملتهبة .
ولكن الذى أدريه هو أن نزاعاً حاداً يضطرم
فى صدرى ،
بين عواطف الأمل والخوف ،
فأرهقنى وهد قواى وأنا أبحث عن رأى أستقر عليه .
فأبحر أيها اللورد إلى فرنسا
واعقد ما ترى من اتفاق ، حتى تيسر الأمر
للآنسة مرجريت ، لتتعطف بالحضور
فتعبر البحار إلى إنجلترة ،

لتتوج « الملكة الأمينة المباركة » للملك هنرى :
ولأداء نفقاتك وكافة ما يلزمك
حصل من الشعب عشراً من العشور .
سر على بركة الله ، وإلى أن تعود ،
سأكون نهباً للوساوس والهموم .
وأنت أيها العم الطيب انف الإساءة من فكرك :
إن كنت تلومنى باعتبار ما كنت ، لا باعتبار
ما أنت عليه الآن ،
فإنى أعلم أنك ستغفر لى هذا التنفيذ المفاجئ
لرغبتى .
والآن خفف عنى عنت الرفاق ،
وخذنى إلى حيث أستطيع التدبر والتأمل فى
همومى .
(يخرج)

جلوستر : أجل ، الهموم ! لكم أخشاها أن تكون هى
البداية والنهاية .
(يتبعه جلوستر وأكستر)

سافوك : وهكذا رجح رأى سافوك

وها هو ذا يذهب كما ذهب مرة باريس[1]
الشاب إلى اليونان
آملا أن يجد فى الحب كل ما لقى باريس ،
ولكن على أن يكون له نصيب من النجاح
أوفر من نصيب هذا الطروادى .
ستصبح مرجريت ملكة ، لأنها ستحكم
الملك ، وتسيطر عليه
ولكننى أنا الذى سيسيطر عليها وعلى الملك وعلى
المملكة .

---

(١) باريس الطروادى فى الأسطورة اليونانية القديمة هو ابن بريام Priam وعدته « هيرا » بالسلطان وأثينا بالمجد وافروديت بالحب فاختار الحب ومكنته افروديت من أن يخطف هلين من زوجها منيلاوس Menelaus وكان هذا سبباً فى الحروب الطروادية وسقوط طروادة ، ففسر بذلك حلم أمه وهى حامل به ، من أنه سيخرب طروادة .

هنرى السادس

الجزء الثانى

ترجمة

مصطفى حبيب

مراجعة

الدكتور محمد عوض محمد   الدكتورة سهير القلماوى

الجزء الثانى

من مسرحية الملك هنرى السادس

مسرع الحوادث — إنجلترة

* * *

أشخاص المسرحية

الملك هنرى السادس			Henry VI
همفرى دوق جلوستر		عم الملك والوصى	Humphrey
الكاردينال بوفورت		أسقف ونشستر — العم الأكبر للملك	Beaufort
رتشارد بلانتاجنت		دوق يورك	Richard Plantagenet
إدوارد ورتشارد		ولداه	Edward and Richard
دوق سمرست			Somerset
وليم دلا بول	من حاشية الملك	دوق بكنجهام	Buckingham
همفرى		دوق سافوك	Suffolk
لورد كلفورد		(Chifford)	
كلفورد الشاب		ابنه	
إيرل سالسبورى			Salisbury
إيرل وريك			Warwick

لورد سكيلز حاكم القلعة Scales

لورد ساى Say

سير همفرى ستافورد وولیم ستافورد أخوه
Humphery and William Strafford

سير جون ستانلى Stanley

فو Vaux

سير ماتيو جوف Matthew goffe

ملازم بحار، مساعد البحار ! وولتر ويتمور Walter Whitmore
سيدان ومساجين مع سافوك

جون هيوم وجون ساوثل قسيسان John Hume & Jhon Southwell

بولنبروك ساحر Bolingbroke

روح يحضره هيوم

توماس هورنر Horner سياف وتابعه بيتر Peter

كاتب تشاتام Chatham وعمدة سانت أولبان Alban

سمبكوكس Simpcox محتال

الكسندر إيدن Iden سيد من كنت .

جاك كيد Jack Cade ثائر

جورج بفز Bevis وجون هولاند Holland وديك Dick الجزار
وسميث Smith, النساج وميكائيل Michael . . إلخ ،
أعوان الثائر كيد

قاتلان

مرجريت	الملكة زوج الملك هنرى	Margaret
إليانور	دوقة جلوستر	Eleanor
مارجريت جوردين	ساحرة	Margaret Jourdain
زوج سمبكوكس		(Simpxoc)

لوردات وسيدات وحشم ، وأصحاب حاجات ، مناد ، قواص ، شريف ، وضباط ، ومواطنون ، وصبيان الصناعة ، حراس ، وجنود ، رسل إلخ . .

الجزء الثانى

من مسرحية الملك هنرى السادس

مع قصة موت الدوق الطيب همفرى

وكانت تسمى من قبل

الجزء الأول

من النزاع بين أسرتى يورك ولانكستر

الفصل الأول

المنظر الأول

لندن . القصر

قرع طبول ، ثم تعزف المزامير — يدخل الملك من ناحية إلى جانبه همفرى دوق جلوستر ، وسانسبورى ووريك والكاردينال بوفور ، ومن الناحية الأخرى ، الملك وسافوك ويورك وسمرست وبكنجهام .

سافوك : امتثالا لما عهدتم إلىّ يا صاحب الجلالة الأمبراطورية
عند سفرى إلى فرنسا ، من زواج الأميرة مارجريت
بوصفى وكيلا عنكم

قد أديت مهمتى فى مدينة «طور» القديمة الشهيرة ،
وأتممت مراسم الزواج ،
بحضور كلّ من ملكى فرنسا وصقلية ،
ودوقات أورليانز[١] وكالابر[١] وبريتانيا[١] وألنسون ،
وعلى مشهد من سبعة أشراف برتبة إيرل ،
واثنى عشر بارونا وعشرين من الأساقفة الموقرين .
وهأنذا بكل خضوع يا مولاى أجثو على ركبتى ،
على مشهد من إنجلترة وسادتها من اللوردات
لأقدم بين يديك الكريمتين — هذه الملكة ،
التى زوجتها وكيلا عنك ؛
وتلك أعز هدية يهديها نبيل لمولاه ،
وأجمل ملكة تلقاها ملك ، أبد الدهر ،
وما كنت فى هذا سوى ظل لشخصكم ،

---

(١) Orleans, Calaber, Bretagne

الملك : انهض ، يا سافوك . . . ومرحباً بك
أيتها الملكة مرجريت .
إن هذه القبلة لهى أرق ما أملكه من تعبير
عن حبى .
وأنت يا إلهى يا واهب الحياة ،
هبنى قلباً يملؤه الجهد !
فقد أسبغت على بهذا المحيا الجميل
عالماً من النعيم ،
لو أن حبنا المشترك استطاع أن يؤلف بين
أفكارنا .

الملكة : أى ملك إنجلترة العظيم ، ويا مولاى الكريم ،
إن الأفكار التى كانت تتجاوب بين عقلى
وبينك ،
فى إصباحى وإمسائى ، فى يقظتى ومنامى ،
وفى محافل القصر ، وفى صلواتى ،
أى مولاى الأعز ، لتشجعنى
على أن أحييك ، يا مليكى ،
بما تستطيعه قريحتى ، على قصورها فى التعبير ،
عما يفيض به القلب من سعادة وغبطة .

الملك : إن محياها سبي عقلى ، ولكن رقتها فى حديثها ،
الذى يزينه العقل والحكمة
تنقلنى من بهرة الإعجاب إلى بكاء الفرح .
إن هذا إلا غاية المنى .
أيها اللوردات ،حيوا جميعاً محبوبتى فى صوت
واحد ملؤه الفرح .

الجميع (يجثون) : عاشت الملكة مرجريت ، مصدراً لسعادة إنجلترة .

الملكة : نشكركم جميعاً . (قرع طبول)

سافوك : سيدى الوصى إن أذنتم يا صاحب الفخامة
فإنى أقدم إليكم نصوص اتفاقية الصلح ،
التى تعاقد عليها ملكنا وشارل ملك فرنسا ،
ومدتها ثمانية عشر شهراً باتفاق الطرفين .

جلوستر : (يقرأ)
أولا : تم الاتفاق بين شارل ملك فرنسا ووليم
دى لابول مركيز سافوك سفير الملك هنرى
ملك إنجلترة على أن الملك هنرى المذكور
سيتزوج من النبيلة مرجريت ابنة رينيه ملك
نابولى وصقلية والقدس ،وأنهسيتوجها ملكة على
إنجلترة قبل اليوم الثلاثين من شهر مايو التالى

لهذا الشهر . . . (مادة) : وأن دوقية « أنجو »[١]
ومقاطعة « مين[٢] » يتخلى عنهما ويسلمان إلى
والدها الملك . .   (يسقط الورقة من يده)

الملك : ما هذا يا عماه ؟

جلوستر : عفواً يا مولاى العظيم ؛
لقد انتابنى غثيان مفاجئ فى القلب
فأظلمت عيناى ، ولم أعد أستطيع مواصلة
القراءة .

الملك : أرجوك يا عماه لورد ونشستر أن تواصل القراءة .

الكاردينال : (يقرأ) مادة . .. وتم الاتفاق بينهما أيضاً
على أن يتخلى عن دوقيتى أنجو ومين وأن
تسلما لوالدها الملك ،وأن تحمل الأميرة على نفقة
ملك إنجلترة الخاصة ، فهو يضطلع بكل
نفقاتها دون أن تدفع هى أى مهر . »

الملك : هذه شروط تحوز غاية رضانا يا سيدى
المركيز . . . (احث) . . .
إننا نخلع عليك لقب أول دوق لسافوك ،

---

(١) Anjou   (٢) Maine

ونمنطقك بالسيف . . . وأنت يا بن العم
دوق يورك ،
إننا نعفيك من أن تكون نائباً عنا
فى تلك الأنحاء من فرنسا ، حتى تنتهى فترة
الأشهر الثمانية عشر . . .
شكراً لكم أيها الأعمام لوردات ونشستر وجلوستر
ويورك وبكنجهام وسمرست
وسالسبورى ووريك
نشكركم جميعاً على حسن صنيعكم ،
بحفاوتكم بملكتى سليلة المجد .
والآن هلم ندخل ولنستعد بأقصى سرعة
لنتم مراسم تتويجها .

(يخرج الملك ومعه الملكة ودوق سافولك ويبقى جلوستر والآخرون)

جلوستر : يا نبلاء إنجلترة الأمجاد ويا عُمُد الدولة ،
إليكم أيها اللوردات يفضى دوق همفرى بأحزانه ،
بل بأحزانكم ، بل بأحزان الوطن جميعاً . . . .
ما معنى هذا ! ؟ وفيم أنفق أخى هنرى شبابه
وشجاعته وماله وشعبه فى الحروب . . ؟

وفيم كان ما قضاه من أيام كثيرة فى ميادين
القتال
يختلف عليه برد الشتاء وحر الصيف . . ؟ !
أما كان هذا لغزو فرنسا ، واستعادة ميراثه
الشرعى فيها ؟
وفيم كان يجهد أخى بدفورد ذكاءه؟
أليس هو ليحفظ بالسياسة ماملكه هنرى بالسيف؟
وفيم كان ما أصبتم به أنتم أنفسكم أى سمرست ،
وبكنجهام ،
وأنت أيها البطل يورك وأنت يا سالسبورى وأنت
أيها المظفر وريك ،
فيم كان ما أصبتم به من جراح عميقة فى فرنسا
ونورماندى . . ! ؟
وفيم كان انكبابنا أنا وعمى بوفورت
مع أعضاء مجلس الدولة من العلماء على الدرس
نقضى الساعات الطوال فى المجلس
بكرة وعشية ، نناقش ونقلب الأمور على
وجوهها
لنرى كيف نستطيع أن نبقى فرنسا والفرنسيين

على حال من الخوف والوجل . . .
وفيم كان تتويج جلالته فى طفولته
فى باريس رغما عن الأعداء ؟ .
هل تذهب سدى كل هذه الجهود ، وتمحى
من الوجود صفحات فخارنا ؟ .
وهل تضيع هباءً غزوات هنرى وكياسة
بدفورد ،
ومعالم فعالكم الحربية وكل جهود مجلسنا . . . ؟
يا نبلاء إنجلترة ، إن هذا الميثاق خزى كله !
وهذا الزواج شؤم يقضى على مجدكم ،
ويمحو أسماءكم من سجل الخلود ،
ويستأصل سجل أمجادكم من الوجود ،
ويشوه آثار غزوكم لفرنسا المهزومة ،
ويمحو جميع أعمالكم وكأن شيئاً منها لم يكن
قط .

الكاردنال : يا ابن أخى ما معنى كل هذه الخطبة الحماسية ،
وماذا وراء هذه الشقشقة البلاغية بكل ما حوت
من ملابسات ؟
إن فرنسا ملكنا وما زلنا نحتفظ بها .

جلوستر : أى والله يا عمى سنحتفظ بها إن استطعنا
أما الآن فذلك مستحيل ، لقد أعطى سافوك
الدوق الجديد ، صاحب السطوة غير منازع ،
دوقيتىْ « أنجو » « ومين »
للملك رينيه الفقير الذى لا يتناسب بذخ معيشته
مع ضآلة موارده .

سالسبورى : بحق السيد المسيح الذى مات فى سبيل خلاص
البشرية جميعاً
لقد كانت هاتان الدوقيتان مفاتيح غزو
نورماندى . . .
ولكن لماذا تبكى ، يا وريك ، أى ولدى
الجسور ؟

وريك : أبكى حزناً لأن استردادهما بات أمراً محالا :
فلو أن هناك أملا فى إخضاعهما مرة أخرى
لسفك سيفى فى سبيلهما الدم الحار فتكف
عيناى عن سكب الدموع . . .
أنجو ومين لقد أخضعتهما بنفسى . . .
هاتان الدوقيتان قد غزتهما ذراعاى ، هاتان ؛
هاتان المدينتان اللتان ظفرت بهما بالحرب

تسترد الآن نظير كلمات باردة ، تقال .
واحرّ قلباه .
يورك : إن الأمر بالنسبة لدوق ساقوك ، سفك الله دمه ،
فإن هذا يشوه مجد هذه الجزيرة المحاربة الباسلة :
لقد كان على فرنسا أن تمزق قلبي وتقطع نياطه ،
قبل أن أسلم لها بمثل هذا الميثاق .
وما قرأت فى حياتى قط إلا أن ملوك إنجلترة
كانوا يتلقون مبالغ ضخمة من الذهب ، ومهوراً وفيرة مع زوجاتهم ؛
أما ملكنا هنرى فقد نزل عن حقه
ليبنى بهذه التى جاءته خالية الوفاض .
جلوستر : إنها لعبة ماهرة لم نسمع بمثلها من قبل ،
أن يطالب سافوك بجباية ضريبة[1] ملكية الممتلكات الشخصية
أداء لنفقات نقلها إلى هنا !
فياليتها أقامت فى فرنسا ،
ويا ليتها هلكت فيها قبل . . .

---

(١) كانت تفرض ضريبة تساوى $\frac{1}{15}$ من قيمة الممتلكات الشخصية تجبى كل عام .

الكاردينال : سيدى ، لورد جلوستر ، لقد اشتدت ثورتك :
وما حدث لم يكن إلا بناء على رغبة مولاى الملك .

جلوستر : سيدى ، اللورد ونشستر ، إنى أدرك ما يجول بخاطرك ؛
فليست أحاديثى هى التى لا تروقك ،
بل إن وجودى هو الذى يشق عليك .
. . . إن الحقد سينفجر . . . أيها الأسقف المتعجرف
إنى أرى الضغينة فى وجهك ، ولو طال بى المقام
لاستأنفنا من جديد خصوماتنا القديمة
... أيها اللوردات وداعاً ، ولتقولوا حين أذهب
إننى تنبأت بأننا سنفقد فرنسا عما قريب .

(يخرج)

الكاردينال : هكذا أيها السادة يخرج الوصى فى سورة غضب ،
وإنكم لتعلمون أنه عدوى ،
بل أكثر من ذلك ، إنه عدوكم جميعاً ،

بل أخشى أن أقول إنه ليس صديقاً مخلصاً للملك .
. . . قدروا ، أيها اللوردات ، إنه التالى للملك فى سلسلة النسب ؛
وإذن ، فهو الوريث غير مدافع لعرش إنجلترة ،
فلو أن هنرى ظفر بإمبراطورية بهذا الزواج ؛
وامتلك به كل ممالك الغرب الغنية ؛
لكان فى ذلك ما يثير غضبه وغيرته .
. . . تدبروا الأمر أيها اللوردات ولا تدعوا
كلماته المعسولة تسحر قلوبكم . بل كونوا حكماء حذرين
وإنى لأخشى أيها اللوردات على الرغم من أن العامة تؤثره وتحبه ،
وتناديه « همفرى » دوق جلوستر ، الطيب ،
وتصفق له وتشق حناجرها هتافاً :
فليحفظ الله ذاته الملكية !
وليبق الله الدوق همفرى الطيب !

أخشى ، أيها اللوردات ، أن هذا الإطراء البالغ ؛
سيجعل منه وصياً خطراً ،

بكنجهام : فيم إذن بقاؤه وصيا ؟
والملك قد بلغ من العمر ما يستطيع معه أن يحكم بنفسه ؟
فلتنضم إلىّ يا ابن العم ، سمرست ،
ولنعمل جميعاً متحدين مع دوق سافوك
لنستطيع سريعاً أن ننحى دوق همفرى عن مركزه .

الكاردينال : إن هذا العمل الهام لا يحتمل الإرجاء ؛
وسأسارع إلى دوق سافوك فى الحال .
(يخرج)

سمرست : ألا ترى يا ابن العم بكنجهام
أنه برغم كبرياء همفرى وعلو مكانه ،
وما قد يسبب ذلك لنا من الحزن والضيق ،
فإن الواجب يدعونا أن نحذر هذا الكاردينال المتعجرف

فإن وقاحته ، التى فاق فيها أمراء هذه البلاد جميعاً ، باتت لا تحتمل .
وفضلا عن هذا فإنه لو نحى جلوستر ، عن منصبه ،
لأصبح هذا الكاردينال هو الوصى .

بكنجهام : بل قد تصبح أنت يا سمرست ، أو أنا الوصى على العرش
رغم أنف دوق همفرى والكاردينال .

(يخرج بكنجهام وسمرست معاً)

سالسبورى : ما دام الكبرياء قد تقدم فلا بد أن يتبعة الطموح .
وما دام هذان يعملان لصالحهما
فالواجب يدعونا أن نعمل نحن للوطن ،
فما عهدت همفرى دوق جلوستر
إلا سالكاً معه مسلك السيد النبيل ،
أما الكاردينال المتعجرف
فهو أدنى خلقاً إلى الجندى ، منه إلى رجل الكنيسة ،
فهو صلف متعال ، وكأنما هو سيد الناس جميعاً ،

يقذف باللعنات وكأنه بعض السوقة وينحط ،
إلى الدرك الأسفل ،
وليس فيه سمة من سمات الحاكم .
أى ولدى ، وريك، يا ملاذ شيخوختى
إن فعالك وصراحتك وكرمك
قد أكسبتك الحظوة الكبرى لدى الشعب ،
وليس يبزك فى هذا سوى الرجل الطيب الدوق
همفرى ،
وأنت يا أخى يورك إن فعالك فى أيرلندا ،
وإخضاعك إياها وغزواتك الأخيرة التى قمت
بها فى قلب فرنسا ،
عند ما كنت حاكماً من قبل الملك عليها ،
جعلت الناس تخشاك وتعظمك :
فلنوحد جهودنا معاً من أجل الصالح العام ،
ولنعمل ما استطعنا لنكبح جماح كبرياء سافوك
والكاردينال ،
ونقمع مطامع سمرست وبكنجهام ،
ولنبذل غاية جهدنا فى تأييد أعمال الدوق
همفرى

ما دمت ترمى إلى خير البلاد .

وريك : إن وريك يعاهد الله
على حب الوطن والسعى لخير الوطن !

يورك : (جابيا) وبمثل هذا يقسم يورك ، فإن له
أكبر الشأن فى ذلك الخلاف .

سالسبورى : فلنسارع إذن ولنعن بالأهم .

وريك : الأهم يا أبتى قد ضاع ، فإن « مين » قد
ضاعت ،
« مين » التى كسبها وريك بقواته الأصيلة
وفرسانه الميامين
والتى كان يؤثر الاحتفاظ بها ما بقى فيه عرق
ينبض ،
إنك تعنى بالأهم ، الأهم من الأمور يا أبتى ؛
ولكنى عنيت بالأهم دوقية « مين »
ألتى سأفوز بها من فرنسا أو أقتل دونها .

(يخرج وريك وسالسبورى تاركين يورك وحيداً)

يورك : لقد سلمت « أنجو ومين » للفرنسيين ،
وضاعت باريس ، وأصبحت ولاية نورماندى
فى موقف حرج .

ضاعت جميعاً الآن . فقد أمضى سافوك مواد الاتفاق
وأقرها اللوردات ، وسر هنرى أيما سرور
باستبدال ابنة دوق جميلة بدوقيتين ؛
ولست ألومهم جميعاً فى ذلك ؛ فماذا تعنى هاتان الدوقيتان بالنسبة إليهم ،
إنها أملاكك أنت يا يورك التى يتصرفون فيها وليست أملاكهم .
والقراصنة يبيعون بثمن بخس ما ينهبون ،
ويظلون يكتسبون الأصدقاء ، ويغدقون على البغايا ،
ويعربدون ، وكأنهم نبلاء عظماء ، حتى يذهب كل شىء .
فى حين يظل أصحاب المتاع المسلوب التعساء
ينظرون إلى متاعهم وهم يبكون ويضربون بكفوفهم الخاوية ،
ويهزون رؤوسهم حسرة ، ويرتعدون وهم وقوف بمعزل ،
وأسلابهم تقسم على مرأى منهم وتحمل بعيداً عنهم

وهم معرضون للهلاك جوعاً ، وليس فى وسعهم
أن يمسوا ما ملكت أيديهم . .
هكذا كتب على يورك ، أن يأسى ويحزن
ويغضب ويعض بنابه ،
على حين يساومون على أملاكه ، وتباع على
مرأى منه .

إن أراضى إنجلترة وفرنساوأيرلندا لتتصل بلحمى
ودمى ،
وترتبط بى بتلك الصلة المشؤومة التى كانت بين
الشعلة المميتة
التى أشعلتها آلثيا وبين قلب الأمير كالدون[١].
. . . . « أنجو » و « مين » أعطيتا
لفرنسا كلتاهما ،
يا لها من أنباء قاتلة يجمد لها الدم فى عروق.
لقد كان لى فى فرنسا أمل لا يقل عما أرجوه
من إنجلترة الخصيبة .

(١) كالدون : الأمير كالدون (هو مليجر بن اينوى وآلثيا) وقد حكم عليه القا
بأن يموت بمجرد احتراق كتلة من الخشب معينة وفى المدفأة التى أشعلتها أمه .

وسيأتى اليوم الذى يطالب فيه يورك بما كان يملك
فلأبادر بالانحياز إلى جانب آل نيفل[١] ،
ولأتظاهر بالحب لدوق همفرى المتعالى
وحين أجد الفرصة المواتية أطالب بالتاج ،
فهذا هو الهدف الذهبى الذى أسعى لبلوغه ،
ولن يستطيع لانكستر المتعجرف أن يغتصب حقى ،
ولا أن يقبض بأصابعه الواهنة على الصولجان
ولا أن يضع على رأسه التاج ،
فإن نزعته الكنسية لا تؤهله للملك —
إذن فلتتريث فترة ، يا يورك ، حتى تواتيك الفرصة .
وارقب الأمور ، وكن يقظاً على حين يغفل الآخرون .
ونقب عن كل أسرار الدولة ،
حتى يغرق هنرى إلى أذنيه فى متع الحب ،

---

(١) آل نيفل : آل رتشارد نيفل أى لورد «أول» إيرل وريك .

مع عروسه الجديدة التى اشترتها إنجلترة بثمن باهظ .

وإلى أن تقع الفرقة بين اللوردات ، وبين همفرى .

سأرفع عالياً الوردة البيضاء الناصعة ،
فيعطر أريجها الجو ،
وأضع على رايتى شارة بيت « يورك » ،
وأناضل بيت «لانكستر»
وأحمله بالقوة على أن يسلم لى التاج .

فقد دفع حكمه ، غير المجرب ، بإنجلترة العزيزة إلى الحضيض .

* * *

الفصل الأول

المنظر الثانى

فى منزل دوق جلوستر

(يدخل دوق همفرى وزوجه إليانور)

الدوقة : ما بال سيدى اللورد مطرقاً ؛ كسنبلة القمح
التى جاوزت النضج ،
ومالت برأسها ، من ثقل ما حملتها «سيريز»[1] :
وما للورد همفرى العظيم يقطب حاجبيه غضباً ،
كأنما هو يتجهم لنعم الدنيا ؟
ولماذا تثبت عينيك فى الأرض الكالحة
محدقاً فيها يكاد يعشى البصر ؟
ما الذى تراه فيها ؟ أو تبصر تاج الملك هنرى
وقد رصع بجواهر سيريز لكل أمجاد الدنيا . . .
إن يكن الأمر كذلك فأدم النظر ،

---

(١) Ceres سيريز : إلهة الأرض وهى التى تنبت الزرع وتنشر الخصب .

وانكبّ على وجهك . حتى يحيط برأسك
تاج مثله ،
وامدد يدك لتتناول هذا التاج الذهبي المجيد . . .
ماذا ! أو تقصر يدك عن أن تبلغه ؟
إذن سأصل يديك بيدى حتّى إذا ما رفعناه معا
سمونا برأسينا الى السماء
ولن نخفض بصرنا بعد ذلك إلى الحضيض ،
أو نتنازل فنمنح الأرض نظرة واحدة منا .

جلوستر : نل . . . نل أيها الحبيبة ! إذا كنت حقا
تحبين بعلك
فأبعدى عنك وباء المطامع الفتاك . ولو أن
خاطرا شريراً خطر لى ينطوى على مجرد تخيل الإضرار
لمليكى وابن أخى هنرى البار
لتمنيت أن يكون هذا الفكر آخر أنفاسى فى
هذا العالم الفانى .
وأؤكد لك أن أحلامى المقلقة ليلة أمس هى
سر حزنى وضيقى .

الدوقة : و بماذا حلمت يا مولاى؟ نبئنى وأنا كفيلة بأن أسدد
لك حسابها

حين أراجعها على أحلامى الحلوة فى هذا الصباح .

جلوستر : رأيت كأن هذه العصا وهى شعار منصبى فى القصر
قد انكسرت شطرين ، وقد أنسيت مَنْ كسرها
وإن كنت أظن أنه الكاردينال .
ورأيت على شطرى العصا المكسورة
رأسى أدموند دوق سمرست
ووليم دى لابول أول دوق سافوك . . .
هذا هو الحلم الذى رأيت ، وليس يعلم تأويله إلا الله .

الدوقة : لا عليك يا مولاى فلا شىء فى هذا إلا دليلا
على أن من يحاول كسر عصا من بيت جلوستر
سيطاح رأسه عقاباً له على تطاوله .
ولكن اصغ إلى الحلم الذى رأيته
يا عزيزى همفرى يا دوق الحبيب
لقد رأيت كأنما أجلس فى مقعد الملك
فى كنيسة الكاتدرائية وستمنستر ، وفى المقام نفسه

الذى يتوج فيه الملوك والملكات ،
وقد جئنا أمامى هنرى وزوجه مرجريت
وألبسانى التاج فوق رأسى .

جلوستر : لا يا إليانور ! إنك تستحقين التأنيب فوراً
أيتها المتطاولة المغرورة ، سيئة الأدب .
. . . ألست يا إليانور السيدة الثانية فى المملكة
وزوج الوصى وحبيبته ؟
أو ليست المسرات وبباهج الدنيا
ومالا يدركه خيالك ،
أو يخطر ببالك ، كله طوع بنانك ،
ومع ذلك لا تزالين تضمرين الغدر وتدبرين الخيانة ،
لتقضى على زوجك وعلى نفسك ولتسقطى زوجك
من ذروة المجد إلى درك العار ؟
إليك عنى وكفى عن أحاديثك هذه .

الدوقة : ماذا حدث يا مولاى ؟ أتثور وتغضب
على أليانور لمجرد قصها حلمها ؟
سأحتفظ بأحلامى إذن لنفسى بعد اليوم ،

وأكفيها مغبة هذا اللوم والتأنيب .

جلوستر : لا . . لا . . لا تغضبى فقد عاودنى انشراحى

(يدخل رسول)

الرسول : مولاى الوصى إنها لرغبة مولاى الملك
أن تستعد للركوب إلى سان أولبنز ؛
حيث ينتوى الملك والملكة أن يخرجا للصيد .

جلوستر : سأذهب . وأنت يا نل هل تخرجين معنا إلى الصيد ؟

الدوقة : نعم يا مولاى العظيم سأتبعكم على الفور

(يسرع جلوستر والرسول بالخروج)

يجب دائماً أن أتبع ، أما أن أسبق فلا ،
ما دام جلوستر يحمل هذا الفكر الخانع الذليل
. . . . آه لو كنت رجلا ، ولو كنت دوقاً ؛
ولو كنت التالية للملك فى سلسلة النسب ،
إذن لأزحت هذه العقبات السخيفة من طريقى ،
ولعبدت طريقى على رقابهم بعد أن أطيح برءوسهم .
أما وأنا امرأة فلن يجعلنى أتوانى
فى أن ألعب دورى فى موكب الحظوظ . . .

سير جون : أين أنت ؟ اخرج إلىّ ولا تخف يا رجل
إننا وحدنا وليس هنا إلا أنا وأنت .

(يدخل « هيوم »)

هيوم : فليرح السيد المسيح جلالتك . . !

الدوقة : ماذا تقول ؟ جلالتك ؟ لست إلا صاحبة الفخامة .

هيوم : ولكن بعون الله ، ونصيحة منى
سيزداد لقب صاحبة الفخامة علواً ورفعة .

الدوقة : ماذا تقول يا رجل ؟ هل تحدثت
إلى مارجرى جوردين الساحرة الماهرة[1]
وروجر بولنبرك الساحر البارع ؟
وهل تعهدا بأن يجلبا لى السعد بسحرهما ؟

هيوم : لقد وعدا بأن يحضرا لفخامتك
روحاً يصعد من جوف الأرض العميقة . . .
وهذا الروح سيتكفل بالإجابة عن أية أسئلة
توجهينها ، فخامتك ، إليه .

الدوقة : إن فى هذا القدر الكفاية ، وسأفكر فى الأسئلة

---

(١) Margery Jourdain

حين أعود من سانت أولبنز ،
فإننا سنمضى فى تنفيذ هذه الأمور إلى النهاية ،
وإليك يا « هيوم » هذه الجائزة . سرّ عن نفسك يا رجل ،
مع معاونيك فى هذا الشأن العظيم .

(تخرج)

هيوم : فلتبتهج يا « هيوم » ولتفرح بذهب الدوقة ،
ولكن لا تنس يا سير « جون هيوم » نفسك —
أمسك لسانك ولا تنبس ببنت شفة ،
فالعمل يقتضى الكتمان والصمت . . . .
إن السيدة إليانور تجود بالذهب لإحضار الساحرة ،
والذهب لا يضل طريقه أبداً حتى ولو كان المطلوب شيطاناً !
ولكن الذهب ينساب إلى يدى من معين آخر
لا أجرؤ على البوح بأنه من الكاردينال الثرى
ومن الدوق العظيم الجديد ، دوق سافوك ،
هذه هى الحقيقة ، وبكل صراحة

فهما وقد أدركا نزعات الطموح فى السيدة
إليانور
أرادا أن يستغلا ذلك فيها واستأجرانى لأحطمها ،
فأنفث فى آذانها الاعتقاد فى السحر والشعوذة ،
وقد قيل « إن الخبيث الماهر لا يحتاج إلى وسيط » .
ومع ذلك فقد أحتاج كل من سافوك والكاردينال
إلىّ وسيطاً . . .
« هيوم » ! إذا أنت لم تحترس فإنك توشك أن
تصم السيدين
بأنهما منافقان خبيثان . . . .
ولكن هذا هو الواقع . . . . ولست أخشى
شيئاً
إلا أن يصبح خبث « هيوم » وبالاً على الدوقة
فى النهاية .
وأن يؤدى افتضاح خيانتها إلى سقوط همفرى . . . .
مهما يكن من أمر فإنى سأغنم ذهباً . [يخرج]

* * *

الفصل الأول

المنظر الثالث

القصر

يدخل ثلاثة أو أربعة من أصحاب الشكاوى
من بينهم بيتر صانع الأحذية

الشاكى الأول : أيها السادة لنقف متقاربين ،
فلن يلبث مولانا الوصى أن يمر من هذه الطريق
عند ذلك نستطيع أن نقدم له التماساتنا جميعاً .
الشاكى الثانى : فليتوله الله برعايته
فهو رجل طيب باركه المسيح .

(يدخل سافوك والملكة)

بيتر : ها هو ذا قادم ، وأظن أن الملكة فى صحبته ،
سأكون أول من يتقدم إليه قطعاً .
الشاكى الثانى : مكانك أيها الغر
فهذا ليس السيد الوصى ، إنه دوق سافوك .
سافوك : ما وراءك يا رجل ؟ هل تريد شيئاً منى ؟

الشاكى الأول : عفواً يا مولاى فقد حسبتك مولاى الوصى .

الملكة (تقرأ) : إلى مولانا الوصى
هل مظلمتك موجهة إلى السيد الوصى ؟
دعنى أرها : وما شكواك ؟

الشاكى الأول : شكواى ، إن أذنت مولاتى ،
موجهة ضد جون جودمان من خدم مولاى الكاردينال ؛
فقد اغتصب منى بيتى وأرضى وزوجتى وكل ما أملك .

سافوك : وزوجك أيضاً ؟ لقد ارتكب خطأ ولا شك .
وما شكواك أنت يا رجل ؟
ماذا أرى ؟
(يقرأ) شكواى ضد الدوق سافوك
لاستيلائه على المنافع العامة فى « ميلفورد » .
ماذا تعنى بهذا أيها الخبيث ؟

الشاكى الثانى : واحسرتاه يا مولاى ما أنا إلا متظلم مسكين ،
يتقدم بالشكوى باسم أهل بلدته جميعاً

بيتر : (يقدم مظلمته) إنها ضد معلمى توماس هورنر ،

لادعائه أن الدوق يورك هو الوريث الشرعى للعرش

الملكة : ما ذا تقول يا رجل ؟
وهل قال دوق يورك إنه الوريث الشرعى للعرش؟

بيتر : هذا ما قاله معلمى ؟ .
فقد قال إن يورك هو الوريث الشرعى للعرش حقاً

وإن الملك مغتصب للعرش .

سافوك : من هناك ؟ (يدخل خادم) خذ هذا الرجل
وابعث فى طلب معلمه فوراً مع محضر رسمى ؛
وسنستمع إلى المزيد من قصتك يا رجل فى حضرة الملك .

(يخرج الخادم ومعه بيتر)

الملكة : أما أنتم يا من تحبون أن تنالوا الحماية
فى ظل مولاكم الوصى ،
فاكتبوا مظالمكم من جديد واحتكموا إليه .
(تمزق المظالم) اغربوا عن وجهى
أيها السفلة ! فليذهبوا ؛ يا سافوك

الجميع : هيا بنا نخرج

(يخرج أصحاب الشكاوى جميعاً)

الملكة : خبرني يا لورد سافوك هل هذه هي تقاليدكم ؟
أهذا هو الأسلوب المتبع في بلاط إنجلترة ؟
وهل هذه هي حكومة جزيرة بريطانيا ،
هل هذه هي الجلالة التي يتصف بها ملك إنجلترة ؟
ما معنى هذا كله ؟ أو يظل الملك هنري تلميذاً
تحت رعاية جلوستر ووصايته الصارمة ؟
وهل أنا ملكة لقباً ومظهراً
ثم يقضى علي بأن أكون تابعة لدوق ؟
الحق أقول لك يا بول إني حين رأيتك في مدينة طور[1].
تندفع مبارزاً في سبيل حبي
ورأيتك تستحوذ على قلوب نساء فرنسا ،
حسبت أن الملك هنري يشبهك شجاعة وكياسة وقواماً ،

(١) Tours

ولكنى وجدته مشغول النفس بالقداسة
وبالصلوات بعد التسابيح على مسبحته ،
مثله الأعلى الأنبياء والرسل ،
وأسلحته الأمثال والآيات المستمدة من الكتب المقدسة ،
ومكتبته هى الساحة التى يتعلم فيها الرماية .
وغرامه هو الولع بالتماثيل النحاسية للقديسين المعروفين .
حبذا لو أن المجمع المقدس للكرادلة
اختاره بابا للكنيسة فحملوه إلى روما ،
ووضع على رأسه التاج المثلث !
فهناك أصلح دولة تليق به وبقداسته .

سافوك : صبراً يامولاتى ، ثقى أننى كما كنت أنا السبب
فى مجىء جلالتك إلى إنجلترة
فكذلك سأكون فيها العامل على تحقيق مرضاتك الكاملة .

الملكة : ليت الأمر اقتصر على الوصى المتعالى : بل هناك أيضاً بوفورت

رجل الكنيسة الآمر الناهى ، وسمرست وبكنجهام ،
ويورك المتذمر ، وأقل واحد من هؤلاء
يستطيع أن يأتى فى إنجلترة مالا يستطيعه الملك

سافوك : بل كل واحد من هؤلاء الذين يستطيعون أن يفعلوا كل شىء
ليس له من الأمر فى إنجلترة أكثر مما لآل نيفل.
فسالسبورى ووريك ليسا من اللوردات الهينين البسطاء .

الملكة : لست أضيق بأحد من هؤلاء اللوردات نصف ضيقى
بهذه السيدة الصلفة زوج الوصى ،
إنها لتزحف على القصر وتمر بأروقته ومعها جحافل من السيدات
تسير وسطهن كأنما هى إمبراطورة لا زوج دوق همفرى .
والغرباء الذين يرتادون القصر يحسبونها الملكة .
إنها لتحمل على ظهرها ثروة الدوق ودخله كله .
وأحسبها فى أعماق قلبها تسخر من فقرنا .

ترى هل يمتد بى الأجل لأثأر منها .
هذه الحقيرة الفاجرة سيئة المنبت ؟
لقد كانت تتباهى وتتفاخر وسط وصيفاتها
الحقيرات ذات يوم ،
بأن ثمن ذيل أرخص ثوب من أثوابها
يفوق ثمن كل ما يملك أبى
قبل أن يهب له سافوك دوقيتين ثمناً لابنته

سافوك : مولاتى لقد نصبت لها شركاً محكماً .
وزودته بطير[1] تستدرجها وتستهويها ،
حتى إذا ما هوت لتستمع لهذه الأغاريد ،
فهيهات أن تفلت ، ولن تصل بعد اليوم
إلى مقام تستطيع أن تزعجك فيه .
فخليها وشأنها وأنصتى إلىّ يا مولاتى
أشاورك فى أمر أحسب من الجرأة أن أحدثك فيه .
إن الواجب يقتضينا ، وإن كنا نكره الكاردينال
يا مولاتى ،

---

(١) يلجأ صائدو الطير أحياناً إلى وضع طير ميت أو مصطنع إغراء لأمثاله من الطير بالاقتراب منه وبذلك يستطيعون صيدها .

أن نتعاون معه وأن نعمل مع اللوردات الآخرين
حتى نجلب على دوق همفرى الخزى والعار .
أما الدوق يورك فأغلب الظن أن هذه الشكوى
الأخيرة لن تجعل الريح تجرى له رخاء .
فلنأخذهم واحداً بعد واحد حتى نجتث أصولهم جميعاً
فتصبحين فى النهاية أنت وحدك التى تديرين دفة الأمور

(قرع طبول . يدخل الملك ومعه يورك وسمرست وقد وقف كل منهما إلى جانب ؛ وأخذا يهمسان فى أذنه . ويدخل بعدهم همفرى دوق جلوستر والكاردينال بوفورت وبكنجهام ويورك وسمرستا وسالسبورى ووريك ودوقة جلوستر .)

الملك : أيها اللوردات النبلاء إنى ليستوى عندى
أن يكون الأمر لسمرست أو ليورك ،
فكلاهما منى بمنزلة واحدة .

يورك : إذا كان يورك قد أذل نفسه أو حقرها فى فرنسا
فلينكر إذن عليه حقه فى أن يكون نائب الملك هناك .

سمرست : وإذا كان سمرست غير جدير بالمنصب ،

فليكن يورك هو نائب الملك وسأخضع له .

وريك (للملك): ليس الأمر أمر استحقاقهما عطفك
أو عدم استحقاقهما إياه ،
فما نحن بسبيل مناقشة ذلك الأمر .
إن يورك هو الأصلح للمنصب .

الكاردينال : أيها الطموح وريك دع من هم أفضل منك يتكلموا .

وريك : ليس الكاردينال بأفضل منى فى هذا المجال .

بكنجهام : بل كل الموجودين هنا أفضل منك يا وريك .

وريك : سيعيش وريك ليكون أفضلهم جميعاً .

سالسبورى : هدئ من روعك يا بنى ، والتزم الحكمة يا بكنجهام ؛
ثم ما الداعى إلى تفضيل سمرست فى هذا الأمر . . ؟

الملكة : لأن هذه هى إرادة الملك وأيم الحق .

جلوستر : مولاتى إن الملك راشد يستطيع أن يحكم بنفسه ؛
وهذه أمور ليست من شئون النساء .

الملكة : إذا كان الملك راشداً كما تقول فما الحاجة إلى بقائك وصياً عليه ؟

جلوستر : مولاتى ، أنا وصى المملكة ، ومتى شاء الملك ، اعتزلت المنصب .

سافوك : اعتزل إذن وكف عن صلفك .
إن الدولة تجرى كل يوم نحو الخراب
منذ أن صرت ملكاً عليها ؛ من الملك سواك
بالله قل لى .
إن الدوق يسيطر على ما هو وراء البحار ،
وكل اللوردات والنبلاء فى هذه المملكة قد
قد أضحوا أرقاء حكمك .

الكاردينال : لقد سلبت أموال الأهلين ، وتركت حقائب القسس
عجفاء خاوية من كثرة ما انتهبت من أموالهم .

سمرست : وقصورك الفاخرة المترفة ، ومظهر زوجك ،
قد كلفا الخزانة العامة أموالا طائلة .

بكنجهام : وقسوتك فى تنفيذ العقوبات على المذنبين
قد جاوزت حدود كل قانون ،
بل أوقعتك أنت تحت طائلة القانون .

الملكة : والاتجار فى الوظائف ، والولاية على مدن فرنسا

لو أنه أعلن على الملأ . والشبهة فيه عظيمة ،
لأطاح ذلك برأسك

(يخرج جلوستر وتسقط الملكة مروحتها)

الملكة : ناوليني مروحتى . . ماذا ألا تستطيعين أيتها
الحقيرة . ؟

(تلطم الدوقة على أداها) معذرة يا سيدتى أهذه
أنت ؟

الدوقة : أهذى أنا . . . ؟ نعم أنا هى أيتها الفرنسية
المتعجرفة .

. . . آه لو استطعت أن أقترب من جمالك
بأظافرى

إذن لأنشبت أظافر أصابعى العشر فى وجهك .

الملك : رفقاً يا عمتى العزيزة لقد حدث ذلك منها عفواً
دون إرادتها .

الدوقة : عفواً ! ودون إرادتها ! . . أيها الملك أفق للأمر
قبل فوات الأوان ،
وإلا قيدتك وعبثت بك كأنك طفل صغير .
ومهما يكن من سلطان النساء فى هذا المقام
فإنها لن تضرب السيدة إليانور وتفلت من

القصاص (تحرج)

بكنجهام . : سيدى الكاردينال . . . سأتبع إليانور وسأصغى
لما يقوله همفرى ، وأتتبع خطاه .
لقد استثيرت إليانور ، ولم تعد فى حاجة إلى
حوافز ،
وستظل تركض فى عنف ثورتها حتى تلاقى
حتفها (يخرجا)

(يعود جلوستر)

جلوستر : أيها اللوردات لقد ذهب عنى الغضب ؛
وإذ كانت حدته قد سكنت بعد أن تمشيت
فى هذاالفناء فهأنذا قد عدت لأتحدث معكم
فى شئون الدولة
أما اتهاماتكم الزائفة التى أملاها الحقد عليكم
فأقيموا عليها الدليل ،
وأنا على استعداد لتقبل حكم القانون ؛
والله يتولانى برحمته ؛ فقد كنت فى أداء واجبى
مخلصاً فى الحب لمليكى ولبلادى .
ولنعد إلى الموضوع الذى كنا نتحدث فيه ؛
فأقول يا مولاى إن يورك هو أصلح رجل

ليكون نائبك على أرض فرنسا .

سافوك : أود قبل أن يتم الاختيار أن تسمحوا لى
بإبداء بعض الأسباب التى لها وجاهتها ،
والتى تشير بأن يورك أقل الناس صلاحية لهذا المنصب .

يورك : وأنا أنبئك بها يا سافوك
فأولا لست بالمستطيع أن أتملق كبرياءك ،
ثانياً أننى لو تقلدت هذا المنصب
لاستبقانى هنا سيدى اللورد سمرست
بلا مرتبات ولا مال ولا عتاد
حتى تسقط فرنسا فى يد الدوفن [1] .
وقد حدث فى المرة السابقة أن تركنى ألهو
انتظاراً لمشيئته
حتى حوصرت باريس وأصابتها المجاعة ثم سقطت .

وريك : وهذا ما أشهد عليه ،
وإنها لجريمة شنعاء

(١) ولى عهد فرنسا القاصر؛ وتستعمل أيضاً لملك إنجلترة إذا كان هو أيضاً قاصراً .

لم يرتكب مثلها خائن من قبل فى هذه البلاد .

سافوك : الهدوء الهدوء يا وريك العنيد .

وريك : أيها الصلَف المجسم ، لماذا تفرض علىّ أن ألزم الهدوء ؟

(يدخل هورنر صانع السيوف ومساعده بيتر وكلاهما تحت الحراسة)

سافوك : إن بين أيدينا الآن رجلا متّهماً بالخيانة ،
وإنى لأدعو الله أن يوفق دوق يورك إلى الدفاع عن نفسه

يورك : وهل هناك من يتّهم يورك بالخيانة ؟

الملك : ماذا تعنى يا سافوك ؟ خبرنى ما وراءك ؟

سافوك : إن أذنت لى يا مولاى ، فهذا الرجل
يتّهم معلمه بالخيانة العظمى،
إذ ينسب إليه قوله « إن رتشارد، دوق يورك،
هو الوريث الشرعى لتاج إنجلترة
وإن جلالتكم غاصب لهذا التاج » .

الملك : تكلم يا رجل . أهذا قولك ؟

هورنر : إن أذنت لى يا مولاى ، فأنا لم أقل حرفاً من هذا
ولا جال بخاطرى شىء منه ،

والله على ما أقول شهيد .
وقد اتهمني هذا الوغد زوراً وبهتاناً .
بيتر : أقسم بأصابعي العشر أيها السادة اللوردات
أنه أفضى إلى بهذا القول
في حجرتنا ذات ليلة .
بينما كنا نصقل سلاح مولاى اللورد يورك .
يورك ويل لك أيها الشقى القذر ، أيها الصانع الوضيع الوغد ،
لأطيحن برأسك جزاء لك على هذا القول أيها الخائن .
إنى أتوسل إليك ، يا صاحب الجلالة ،
أن تنزل به حد القانون الصارم .
هورنر : واحسرتى يا مولاتى ، مر بشنقى
إذا ثبت لك أنى فهت بهذه الكلمات .
إن الذى يتهمنى بهذا صبى يشتغل عندى
أدبته أمس بالضرب فأقسم وهو لا يزال جاثياً
على ركبتيه من ألم الضرب
أنه سوف ينتقم منى .
إن لدى يا مولاى شهوداً عدولا على ذلك .

فأتوسل إليك ، يا مولاى . ألا تحرم رجلا أميناً من رحمتك .
بتهمة باطلة زيفها وغد خسيس .

الملك : أى عماه وما حكم القانون فى ذلك ؟

جلوستر : هاك ما أرى أنه الحكم يا مولاى : إن كان لى أن أرى .
فليكن سمرست نائباً عنك فى الأراضى الفرنسية
لأن هذه القصة تلقى ظلا من الشبهات حول يورك .
أما هذان الرجلان فحدد لهما يوماً
للمبارزة فى مكان لائق ،
ليشهد يورك بنفسه خبث طوية خادمه .
هذا هو حكم القانون يا مولاى ،
وهذا ما قضى به الدوق همفرى .

سمرست : بكل خضوع أشكر جلالتك .

هورنر : وأنا أقبل المبارزة بكل ارتياح .

بيتر : واأسفاه ، يا مولاى ، إنى لا أستطيع المبارزة .
أتوسل إليك بالله أن ترثى لحالى.
إن حقد الرجل سيجعله يفوز على .

رحماك يا مولاى فأنا لا أستطيع أن أرد ضربة واحدة !

يا إلهى إن قلبى ليرتعد .

حلوستر : اسمع . يا نذل . إما أن تقبل المبارزة . وإما أن تشنق .

الملك : قودوهم إلى السجن وليكن يوم المبارزة اليوم الأخير من الشهر القادم .

هلم يا سمرست فلنعدك للرحيل

(يتبعها) (قرع طبول . يخرجون)

الفصل الأول

المنظر الرابع

حجرة ذات شرفة مرتفعة فى بيت حلوستر
تدخل الساحرة مرجريت جوردين ومعها القسيسان
هيوم وساذل ومعهم بولنبروك الساحر

هيوم : تعالوا أيها السادة فإن الدوقة ، كما أخبرتُكم ،
تنتظر إنجاز ما وعدتم به .
بولنبروك : أيها السيد « هيوم » نحن على استعداد للوفاء
فهل ستشاهد الدوقة وتسمع سحرنا واستحضارنا
(للأرواح ؟
هيوم : نعم ، ولم لا ؟ لا تخشوا شيئاً على شجاعتها .
بولنبروك : لقد سمعت عنها أنها ذات روح لا يقهر
ولكن من الأنسب أيها السيد « هيوم »
أن تبقى أنت إلى جانبها فى الشرفة
بينما نقوم نحن بسحرنا تحتكم ،
فاذهب باسم الله ودعنا وحدنا . ١٠ (يخرج هيوم)
أيتها الأم جوردين انكبى على وجهك ،

وازحفى على الأرض ، وأنت يا جون ساذل
اقرأ تعاويذك ولنبدأ عملنا .

(تدخل الدوقة إلى الشرفة يتبعها « هيوم »)

الدوقة : أحسنتم صنعاً يا سادة ومرحباً بكم جميعاً .
والآن هلموا إلى العمل فخير البر عاجله .

بولنبروك : صبراً مولاتى الطيبة ، فالسحرة يعرفون وقتهم .
فى جوف الليل الحالك وفى الليل الموحش ،
وفى الساعة التى احترقت فيها طروادة ،
والساعة التى ينعق فيها البوم وتعوى فيها الكلاب
المسعورة . والساعة التى تنتشر فيها الأرواح
وتنطلق فيها الأشباح من قبورها . هذه الساعة
هى أنسب الأوقات للعمل الذى بين أيدينا .
فاجلسى أيتها السيدة ولا تراعى .
فإن الأرواح التى سنستحضرها ستُحْضَر فى
دائرة محدودة .

(يبدأون عمل المراسم اللازمة ويخطون الدائرة ويتلو ساذل التعاويذ وغيرها ، وترعد الدنيا وتبرق بشدة ثم يظهر الروح)

الروح : لبيك لبيك . . .

جوردين : يا أزامات يا أزامات

بحق الإله الأبدى الذى ترتعد فرائصك
عند ذكر اسمه ومن عظمته ،
أجيبى عما أوجهه إليك من أسئلة .
فلن تبرحى هذا المكان قبل أن تتكلمى .

الروح : سلى ما شئت فلقد أجبت دائماً وقمت بذلك أبداً .

بولنبروك : السؤال الأول عن الملك ما مصيره ؟

(يقرأ من ورقة)

الروح : سيعيش الدوق حتى يخلعه هنرى ،
وسيعمر بعده ولكن يموت ميتة شنعاء

(بينما الروح يتكلم يسجل ساذل الجواب)

بولنبروك : وأى مصير ينتظر الدوق سافوك ؟
الروح : بالماء يكون حتفه وتنتهى حياته .
بولنبروك : وما الذى يصيب دوق سمرست ؟
الروح : دعوه يهجر الحصون ؛ فهو أكثر أمنا فى السهول الرملية ،
منه فى الحصون الشاهقة .
لقد قلت ولا أستطيع أن أحتمل أكثر من هذا .

بولنبروك : عودى إلى الظلام واهبطى إلى بحيرة الجحيم المتقدة :

أيتها الشيطانة الزائفة ! اغربى عنا !

(رعد و برق ثم يهبط الروح)

(يقتحم دوق يورك ودوق بكنجهام مع حرسهما المكان) .

يورك : اقبضوا على هؤلاء الخونة وأدوات سحرهم التافهة .

أيتها الساحرة العجوز . لقد راقبناك عن كثب . . . .

ما هذا ؟ أأنت هنا يا سيدتى ؟

إن الملك والدولة مدينان لك بأعمق الشكر

على هذا الجهد القيم فى سبيل الصالح العام ؛

ومولاى الوصى سيجزيك بلا شك أحسن الجزاء

على هذه الكفايات الطيبة .

الدوقة : ليس هذا بأسوأ مما تضمره أنت للملك إنجلترة

أيها الدوق الشرير الذى يهدد لغير ما سبب .

بكنجهام أحق يا سيدتى ما تقولين ؟

أليس هناك سبب — إذن بم تسمين هذا ؟

خذوهم جميعاً وأحكموا قيدهم

واحبسوا كلا منهم منفرداً .

أما أنت يا سيدتى فستذهبين معنا .
خذها معك يا ستافورد

(تقاد الدوقة و « هيوم » إلى الخارج وهما تحت الحراسة)

أما أدوات الشعوذة هذه ،
فستحفظ بها فى أحراز
حتى يحين موعد إظهارها . هيا اخرجوا جميعاً .

(تقاد جوردين وساذل والداقون إلى الخارج تحت الحراسة)

يورك : لا شك يا لورد بكنجهام أنك راقبتها مراقبة دقيقة ؛
إنها خطة محكمة ؛ أحسن تدبيرها لتكون أساساً لما يبنى عليها .
والآن يا سيدى اللورد فلنقرأ ما كتب هذا الشيطان .
ترى ماذا كتب ؟ (يقرأ)
سيعيش الدوق حتى يعزله هنرى ،
ولكنه يعمر بعده ويموت ميتة أليمة ،
ويحى ! هذا حق

«أقول لك يا أكسيدا * » أنك لن تقهر الرومان .
ما علينا من هذا فلتواصل القراءة .
خبرنى أى مصير ينتظر دوق سافوك ؟
« بالماء سيموت وتنتهى حياته » !
وما الذى يصيب دوق سمرست ؟
« دعوه يهجر الحصون فهو أكثر أمناً
فى السهول الرملية منه فى الحصون الشاهقة » .
ما علينا من كل هذا أيها اللوردات ،
إن نبوآت الكهنة قلما تتحقق .
بل قلما تفهم . إن الملك الآن فى طريقه إلى
سانت أولبنز ؟
ومعه زوج هذه السيدة الجميلة .
فلتذهب هذه الأنباء إلى هناك
كأسرع ما يستطيع الفارس المجد أن يحملها . . .
ترى أى إفطار محزن ينتظر مولانا الوصى ؟

بكنجهام : هل تسمح لى يا سيدى اللورد يورك
أن أكون البريد الذى يحمل هذا النبأ ؟

(*) أكسيدا من نسل آياكس اسم دال على الأجداد يسمى به عادة آشيل حفيد آياكس .

أملا فى أن أفوز بجائزته ؟

يورك : بكل سرور يا سيدى اللورد الطيب

. . . مَنْ من الداخل . . . يا أهل الدار

(يدخل خادم)

اسمع ! ادع لورد سالسبورى ولورد وريك ليتناولا

معى العشاء مساء غد .

هلموا بنا .

(يخرجون)

الفصل الثانى

المنظر الأول

فى سانت أولبنز

يدخل الملك والملكة وجلوستر والكاردينال وسافوك
ومعهم حملة البزاة يتصايحون

الملكة : صدقونى أيها اللوردات أنى لم أشهد منذ سبع سنوات
صيداً لطير الماء أمتع من صيدنا اليوم ؛
ومعذرة إن إقلت إن الرياح كانت عالية مواتية ،
ولكنى أراهن على أن الصقر العجوز « جون » لم ينطلق ليحلق فى الجو

الملك : ولكن يا سيدى اللورد أىّ مدى بلغه بازك فى الأفق ؟
أى حد فاق فى طيرانه الصقور الأخرى ؟
فتأمل آية الله فى خلقه .
فالإنسان كالطير يشتهى أن يحلق فى أجواز السماء .

سافوك : لا عجب فى ذلك . وإن أذنتم جلالتكم
قلت إن بزاة سيدى اللورد الوصى
قد حلقت فى الجو إلى مدى بعيد .
فهى تدرك أن سيدها يحب التسامى ويحلق
بأفكاره إلى أبعد مما ترقى إليه بزاته .

جلوستر : سيدى اللورد إنه لَعَقْلٌ وَضيعٌ دَنِىءٌ
ذلك الذى لا يستطيع أن يحلق فوق ما ترتفع
إليه الطير .

الكاردينال : هذا ما وصلت إليه فى تفكيرى . إنه بذلك يكون
قد حلق فوق السحاب .

جلوستر : ما الذى تعنى بهذا القول ، يا سيدى الكاردينال؟
إما كان أخلق بقداستك أن تحلق إلى
السموات ؟

الملك : دار النعيم الأبدى .

الكاردينال : إنك تنشد جنة الحياة الدنيا .
فعيناك وأفكارك جميعاً معلقة بتاج ،
فهو الكنز الذى يشتهيه قلبك أيها الوصى الأثيم :
واللورد الخطر ،
الذى يستخدم الملق مع الملك ومع الشعب

على السواء لتحقيق مآربه .

جلوستر : ما هذا ، أيها الكاردينال . هل غدا كهنوتك
فوق ما تحتمل ؟
أيمكن أن تنطوى القلوب المقدسة
على مثل هذه السخيمة وهذا الحسد ؟
أيمكن أن يستولى الغضب على رجال الدين إلى
هذا الحد ؟
أيها العم الطيب ، أخف هذا الحقد بما ينبغى
أن يكون لمثلك من قداسة .

سافوك : لا حسد ، يا سيدى ، أكثر مما ينبغى لمثل
هذا النزاع العادل
ومثل هذا النبيل الشرير .

جلوستر : مثل من يا سيدى اللورد ؟

سافوك : مثل من ؟ مثلك يا سيدى اللورد ،
إن أذنت يا صاحب الفخامة اللورد الوصى . . .

جلوستر : ويلك ، يا سافوك ، إن بريطانيا كلها لتعرف
قحتك وبذاءتك .

الملكة : كما تعرف مطامعك يا جلوستر .

الملك : على رسلك أيتها الملكة الصالحة !

ولا تشحذى البغضاء فى قلوب اللوردات الثائرين
فطوبى للذين يحققون السلام بين الناس على الأرض .

الكاردينال : فليباركنى الله فيما أسعى إليه من تحقيق السلام
بالقضاء على هذ الوصى المتعجرف بحد سيفى .

جلوستر : (حانياً إلى الكاردينال) مرحى أيها العم المقدس
ويا حبذا هذا الحل !

الكاردينال : (جانباً إلى جلوستر) أجل عند ما تحس من نفسك الجرأة عليه .

جلوستر : (جانباً إلى الكاردينال) لا تجعل الأمر نزاعاً حزبياً ،
بل تعال ورد على الإساءة واثأر لنفسك .

الكاردينال : (جانباً إلى جلوستر) نعم حيث لا تجرؤ أن تمد طرفك ؛ أما إذا واتتك الجرأة
فاللقاء هذا المساء على الجانب الشرقى من الغابة .

الملك : ما هذا أيها اللوردات ؟

الكاردينال : صدقنى يا ابن العم جلوستر ،
إنه لو لم يبادر تابعك بالرمى فجأة
لكان لنا صيد أمتع (جانباً إلى جلوستر)

أقبل ومعك السيف ذو المقبضين .

جلوستر : أحق أيها العم ؟

الكاردينال : (جانباً إلى جلوستر) هل اتفقنا ؟ الجانب الشرقي للغابة !

جلوستر : (جانباً إلى الكاردينال) وأنا معك يا كاردينال

الملك : ما معنى هذا أيها العم جلوستر ؟

جلوستر : إننا نتحدث عن الصيد ولا شىء غير ذلك يا مولاى .
(جانباً إلى الكاردينال) لأجزن ناصيتك أيها القس جزاء هذا ،
أو تذهب هباء مهارتى فى المبارزة .

الكاردينال : (جانباً إلى جلوستر) أيها الطبيب عالج نفسك أولا .
سيدى الوصى احترس جيداً واستوص بنفسك واحملها هى .

الملك : إن الريح قد اشتدت أيها اللوردات واشتد غضبكم .
لشد ما تزعجنى هذه الأصوات فيضيق بها صدرى .

أى أمل فى التناسق والانسجام إذا تنافرت هذه الأنغام ؟

أيها اللوردات أرجوكم أن تدعونى أحسم هذا الشقاق ، وأصلح ذات بينكم

(يدخل واحد من أهالى مدينة سانت أولبنز وهو يصيح)

« معجزة ! معجزة ! »

جلوستر : ما معنى هذه الضجة ؟ وعن أى معجزة تعلن يا هذا ؟

الرجل : معجزة ! معجزة !

سافوك : تقدم نحو الملك وأفض إليه بنبأ هذه المعجزة .

الرجل : والله لقد استعاد رجل أعمى بصره ،
منذ نصف ساعة عند ضريح سانت أولبنز ؟
رجل لم يبصر فى حياته من قبل ،

الملك : نحمدك اللهم يا من وهبت للنفوس المؤمنة
النور فى الظلمة والعزاء فى اليأس .

(يدخل عمدة سانت أولبنز وزملاؤه وهم يحملون)
(سمكوكس على كرسى ووراءهم زوج سمكوكس)

الكاردينال : ها هم أولاء رجال المدينة أقبلوا فى موكب
ليقدموا لجلالتك الرجل .

الملك : ما أعظم رحمتك يا ربى التى تنزلها على هذه الأرض ،
رغم آثامها التى تتضاعف وتتزايد .

جلوستر : قفوا جانباً أيها السادة وقربوا الرجل من الملك
فإن جلالته ليسره أن يتحدث إليه .

الملك : قل لنا يا صاحبى تفاصيل ما حدث
حتى نمجد الرب من أجلك .
هل مكثت طويلا وأنت أعمى ثم استعدت الآن بصرك ؟
بل ولدت أعمى إن أذنت لى أن أقرر ذلك يا مولاى .

الزوجه : حقاً لقد ولد أعمى .

سافوك : من تكون هذه المرأة ؟

الزوج : امرأتى إن رأيت يا صاحب الفخامة أن أتكلم .

جلوستر : لو كنت أمه لرويت لنا حقيقة الأمر بأوثق من ذلك .

الملك : أين ولدت يا رجل ؟

سمكوكس : فى « برك » فى الشمال إن أذنت لى يا مولاى .

الملك : واها لك لقد كان فضل الله عظيماً ؛

فلا تدع نهاراً يمر ، ولا ليلا يقضى ، إلا
سبحت بحمده .
واذكر دائماً نعمة الله عليك .

الملكة : قل لى أيها الرجل الطيب ،
أجئت إلى هنا بمحض الصدفة ،
أم جئت للعبادة والتبتل لدى هذا الضريح
الطاهر ؟

سمكوكس : الله يعلم أنى جئت لمحض التعبد .
بعد أن جاءنى سانت أولبنز مئات المرات
بل أكثر .
فى منامى وهتف بى أن تعال إلى ضريحى
يا سمكوكس
وقدم القرابين فسأساعدك .

الزوج : لقد نطق بالحق . وما أكثر ما سمعت الهاتف
يدعوه على هذا النحو .

الكاردينال : ما هذا ؟ هل أنت أعرج ؟

سمكوكس : نعم والله على ما أقول شهيد .

سافوك : وكيف صرت إلى العرج ؟

سمكوكس : سقطت من أعلى شجرة .

الزوجة : شجرة برقوق يا مولاى

جاوستر : وكم مضى عليك وأنت أعمى ؟

سمكوكس : ولدت هكذا يا سيدى .

جاوستر : ماذا ! ولدت أعمى وتستطيع أن تتسلق شجرة !

سمكوكس : بل ما أحببت شيئاً فى شبابى مثل التسلق .

الزوجه : هذا صحيح ولقد دفع ثمن حبه التسلق باهظا .

جلوستر : بحق المسيح لا بد أنك تحب البرقوق حباً جماً،
وإلا لما خاطرت بحياتك على هذه الصورة .

سمكوكس : واأسفاه يا سيدى الكريم إنها هى زوجى .
التى كانت قد رغبت فى أكل بعض البرقوق
الأسود ؛
فحملتنى على أن أتسلق الشجرة ، معرضاً
حياتى للخطر .

جلوستر : يا لك من وغد ماكر ولكن هذا التفسير لن
ينفعك .
دعنى أنظر فى عينيك . أغمضهما الآن . عاود
فتحهما — فى رأيى أنك لا تبصر جيداً .

سمكوكس : بل أبصر واضحاً وضوح النهار . حمداً لله،

ولسانت أولبنز .

جلوستر : أتجرؤ على أن تقول لى ذلك؟ فما لون هذا المعطف ؟

سمكوكس : أحمر يا سيدى — أحمر كالدم .

جلوستر : هذا صحيح وما لون ردائى ؟

سمكوكس : أسود قاتم فاحم فى لون الكهرمان الأسود .

الملك : وإذن أنت تعرف الكهرمان الأسود .

سافوك : يخيل إلى أنه لم ير الكهرمان أبداً .

جلوستر : ولكنه رأى كثيراً من المعاطف والأردية الكثيرة قبل اليوم

الزوجة : لم ير شيئاً قط قبل اليوم طول حياته .

جلوستر : نبئنى يا صاح ما اسمى .

سمكوس : وا أسماه يا سيدى لا أعرف .

جلوستر : وما اسمه ؟

سمكوس : لا أعرف

جلوستر : ولا اسمه ؟

سمكوكس : بالطبع لا يا سيدى .

جلوستر : وما اسمك أنت ؟

سمكوكس : سوندر سمكوكس إن إذنت يا سيدى .

جلوستر : سوندر هذا الجالس أمامى أكذب وغد على

وجه الأرض . فمع أنك يا رجل ولدت أعمى
فإنك كنت تستطيع أن تعرف أسماءنا جميعاً
كما عرفت أسماء الألوان المتعددة التي نلبسها .
إن النظر قد يستطيع أن يميز الألوان .
أما أن يسميها جميعاً فجأة فأمر مستحيل .
أيها اللوردات لقد صنع سانت أولبنز أمامكم
معجزة . ولكن ألا ترون معي أن الذي يستطيع
أن يعيد إلى هذا الكسيح حركة رجليه
يكون صاحب مهارة فائقة ؟

سمكوكس : ليتك تفعل يا مولاي !

جلوستر : سادتي أهل سانت أولبنز أليس لديكم جلادون
في هذه المدينة ؟ أو ليس لديكم ما نسميه
سوطا ؟

العمدة : نعم عندنا ، يا سيدي ، إذا سمحت سيادتك .

جلوستر : إذن فابعث في طلب جلاد فوراً .

العمدة : يا غلام ، اذهب وأحضر الجلاد إلى هنا حالا .

(يطيع التابع الأمر)

جلوستر : والآن إيتونى بكرسى على الفور (يحضرون كرسياً)
اسمع يا رجل ، إذا أردت أن تنجو من الجلد
فاقفز من فوق هذا الكرسى وأسرع بالهرب .

سمكوكس : واأسفاه يا سيدى لست بمستطيع حتى الوقوف
وحدى وعبثا تحاول تعذيبى .

(يدخل الجلاد ومعه السوط)

جلوستر : علينا إذن أن نساعدك على أن تقف على
رجليك — أيها الجلاد اضربه بالسوط حتى
يقفز من فوق الكرسى .

الجلاد : سأفعل يا مولاى ؛ هلم أيها الرجل اخلع صدارك
فى الحال

سمكوكس : واأسفاه يا سيدى ماذا أفعل وأنا عاجز عن
الوقوف .

(وما إن يضربه الجلاد سوطاً واحداً حتى يقفز من فوق الكرسى
ويفر هارباً والرجال يتبعونه وهم يصيحون معجزة ! معجزة !)

الملك : تعاليت يا إلهى إنك لترى كل هذا ثم تمهل .

الملكة : لقد أضحكنى أن أرى هذا الوغد يجرى .

الزوجة : واحسرتا ، يا سيدى إنها الحاجة الملحة
دفعتنا أن نفعل ما فعلنا .
جلوستر : خذوهما واجلدوهما فى الأسواق فى كل مدينة
حتى تصلوا بهما إلى « برك »[١] من حيث أتيا .
(يخرج العمدة ومن معه ويتبعهم الجلاد وهو يجر زوج سمكوكس)
الكاردينال : لقد قام الدوق همفرى اليوم بمعجزة .
سافوك : هذا صحيح فقد جعل الكسيح يقفز ويفر ؛
جلوستر : ولكنك صنعت معجزات ، أكبر مما صنع ،
فقد استطعت أن تحمل مدنا بأسرها
على أن تفر منا فى يوم واحد . (يدخل بكنجهام)
الملك : ما وراءك يا ابن العم يابكنجهام
بكنجهام : أنباء يرتعد قلبى من الإفضاء بها .
لقد تآمر جماعة من الأشقياء ذوى المطامع الدنيئة ،
تآمرا خطيراً ضد دولتك ؛
بعلم وبتأييد وتحريض
من السيدة إليانور زوج الوصى ؛

(١) Berurick

زعيمة هذه العصبة ، ورأس هذه الفتنة .
وقد قبضنا عليهم يتعاملون مع الساحرات ؛
متلبسين بجريمة العمل على الإضرار بالدولة
باستحضار الأرواح الشريرة من بطن الأرض ،
ليستطلعوها الأنباء عن حياة الملك هنرى وموته .
وحياة آخرين من رجال مجلسك الخاص وموتهم
مما ستعلم ، عظمتك ، نبأه بالتفصيل .

الكاردينال : (حانياً إلى جلوستر) وهكذا يا سيدى الوصى
وبهذه الأفاعيل
ما زالت زوجك تحت التحفظ فى لندن .
هذه الأنباء فيما أظن ردت سهمك إلى نحرك . .
ويخيل إلى يا سيدى اللورد أنك لن تستطيع
المحافظة على موعدك !

جلوستر : يا رجل الكنيسة الطموح لا تزد من أوجاع قلبى ،
لقد هد الحزن والأسى كل قواى .
ولا حيلة لى ، وأنا على ما أنا عليه من اندحار ،
ألا أن استسلم لك بل ولأحقر حقير غيرك .

الملك : رباه ما هذه الشرور التى يرتكبها أهل السوء ،

فتهيل الدمار على رؤوسهم جزاء وفاقاً ؟

الملكة : أى جلوستر . انظر إلى ما فى عشك من دنس .
أو تتنكر لعشك لتبدو بريئاً وكأنما أنت
خير البرية ؟

جلوستر : مولاتى أما عن نفسى فإنى أشهد الله
كم أحببت ملكى وبلادى ، وأما عن زوجى
فما أدرى شيئاً من أمرها . وإنى لآسف لما
سمعت
فهى نبيلة ولا ريب . أما إذا كانت قد نسيت
الشرف والفضيلة ،
وتحدثت إلى مثل هؤلاء الملوثين
الذين يدنسون النبل والشرف ،
فإنى مقصيها عن فراشى وعن صحبتى ،
وتاركها للقصاص والعار ،
تلك التى لطخت اسم جلوستر الشريف .

الملك : سنقضى الليلة هنا لنستريح وغداً نعود إلى لندن،
لنبحث هذه المسألة بعناية ،
وندعو هؤلاء المذنبين الخونة ،

لنستجوبهم عما جنت أيديهم ،
ونضع الأمر فى ميزان العدل ، الذى يزن بالقسط
ويحق الحق .

(بوق وطبول و يخرجون)

الفصل الثانى

المنظر الثانى

لندن . . . . حديقة دوق يورك

يدخل يورك وسالسبورى ووريك

يورك : الآن وقد انتهى عشاؤنا البسيط
أى صديقىّ النبيلان سالسبورى ووريك ، فأذنا لى
فى هذا الممر الأمين من الحديقة
أن أطمئن نفسى باستطلاع رأيكما
فى حقى المبين فى تاج إنجلترة .
سالسبورى : سيدى اللورد هل لى أن أسمع الموضوع كله ؟
وريك : ابدأ الكلام يا صديقى يورك ، وإذا ثبت أن دعواك صحيحة ،
فسيكون آل نيفل رعية تأتمر بأمرك .
يورك : إذن ، إليكما الأمر :
كان لإدوارد الثالث يا سيدى سبعة أبناء ،
وكان أولهم إدوارد الأمير الأسود أمير ويلز .
والثانى وليم أمير هانفيلد .

والثالث ليونيل دوق كلارنس .
ثم جاء بعده جون جونت دوق لانكستر ؛
والخامس إدموند لانجلى دوق يورك ،
والسادس توماس ودستوك دوق جلوستر .
وكان وليم أمير وندسور السابع والأخير .
ومات إدوارد « الأمير الأسود » قبل أبيه
وترك من بعده ابناً وحيداً هو رتشارد ،
الذى حكم بعد موت إدوارد الثالث ،
وظل ملكاً حتى توج هنرى بولنبروك دوق لانكستر
الابن الأكبر ووريث جون جونت ملكاً
وسمى بهنرى الرابع ، فاستولى على المملكة وعزل الملك الشرعى
وبعث به إلى بومفريت[1] حيث اغتيل غدراً
رتشارد الطيب كما تعلمون جميعاً ،
بعد أن أعاد الملكة المسكينة إلى فرنسا من حيث جاءت .

---

(١) Pomfret

وربك : أبى لقد قال الدوق الحق ،
وهكذا استولى بيت لانكستر على العرش .
يورك : وهم يستمسكون به الآن . بالقوة لا بالحق .
ذلك أنه بموت رتشارد الوريث للابن الأول ،
كان يجب أن ينتقل الملك إلى الابن الثانى .
سالسبورى : ولكن وليم هاتفيلد مات عقيماً .
يورك : أما الابن الثالث دوق كلارنس
الذى أطالب بحقى فى التاج لانتسابى إلى فرعه ،
فقد ترك عقبه إذ أنجب ابنة تدعى « فيليبا »
تزوجت من إدموند مورتيمر إيرل مارش .
وكان لإدموند عقب هو روجر إيرل مارش ،
وكان لروجر عقب هم إدموند وآن واليانور .
سالسبورى : وقد طالب إدموند هذا بالعرش
فى عهد برلنبروك فيما قرأت ،
ولولا أن « أون جلاندر » سجنه
وأبقاه فى الأسر حتى مات ، لصار ملكاً .
والآن فلنعد إلى الآخرين
يورك : أما أخته الكبرى
آن — أمى — فقد ورثت الحق فى العرش من بعده ،

وتزوجت من رتشارد إيرل كمردج الذى كان ابناً
لإدموند لانجلى الابن الخامس لإدوارد الثالث .
وعن طريقها أطالب أنا بالملك . فهى الوريث الشرعى .
لورجر إيرل مارش ابن إدموند مورتيمر
الذى تزوج من « فليبا »
الابنة الوحيدة لليونيل دوق كلارنس .
فإذا كان من حق ذرية الابن الأكبر
أن تسبق فى وراثة الملك ذرية الابن الأصغر
فأنا أحق بالملك .

وريك : أى تسلسل أوضح من هذا ؟
فهنرى يدعى التاج عن طريق « جون جونت » الابن الرابع .
على حين يدعيه يورك عن طريق الابن الثالث .
و إلى أن تنتهى ذرية ليونيل
فإن ذرية جون جونت ليس لها الحق فى تولى العرش .
وذرية ليونيل لم تنقرض بعد، بل إنها لا تزال

تزدهر فيك ؛
وفى أبنائك الورثة الشرعيين والغصون المزدهرة
من هذا الفرع .
إذن فلنبحث أنا وأنت ، يا أبى سالسبورى
فى هذه البقعة الآمنة الخاصة ،
لنكون أول من يحيى ملكنا الشرعى
وارث العرش بحق نسبه .

الاثنان معا : عاش ملكنا رتشارد ملك إنجلترة .

يورك : نشكركم ، أيها اللوردات . ولكنى لست ملككم بعد ؛
ولن أكونه حتى أتوج ويصطبغ سيفى هذا
بالدم المتفجر من قلب آل لانكستر .
وهذا أمر لا يمكن القيام به فجأة ،
بل إنه ليتطلب التدبر والكتمان .
فافعلا ، كما أفعل فى هذه الأيام الخطيرة ،
غضا الطرف من قحة الدوق سافوك ،
وعن صلف بوفورت وعن مطامع سمرست ،
وعن بكنجهام وكل هذه العصبة ،
واصبرا عليهم حتى يدفعوا راعى القطيع ،

الأمير الصالح دوق همفرى الطيب ، فى الكمين
وإنهم ليسعون فى الإيقاع به .
وسيلقون حتفهم فى سعيهم هذا إن صحت نبوءة
يورك .

سالسبورى : مولاى فلننصرف عنك الآن فقد أحطنا علماً
بأفكارك كلها .

وريك : إن قلبى ليحدثنى أن إيرل وريك
سوف يجعل من دوق يورك ملكاً يوماً ما .

يورك : وأنا أؤكد لك يا نيفل أن يورك الدوق ، أو
الملك رتشارد
سيعيش ليجعل من ايرل وريك
أعظم شخصية فى إنجلترة بعد الملك —

(يخرجون)

الفصل الثانى

المنظر الثالث

دار العدالة

(قرع طبول ، يدخل الملك والملكة وجلوستر ويورك وسافوك وسالسبورى ثم تدخل دوقة جلوستر ومارجريت جوردين وساذل و «هيوم» و رلبروك كلهم تحت الحراسة)

الملك : تقدمى أيتها السيدة إيليانور « كوبم » زوج جلوستر ،
فإن إثمك لعظيم أمام الله وأمامنا ،
فتلقى عقاب القانون على الخطايا التى ارتكبتها :
والتى ينص كتاب الله على عقاب مقترفيها بالموت .
وأما أنتم أيها الأربعة فعودوا إلى السجن
ومن ثم إلى ساحة الإعدام ؛
أما الساحرة فستحرق حتى تصير رماداً فى سميثفيلد .
وأما ثلاثتكم فستعدمون شنقاً .

وأما أنت ، يا سيدتى ، فنظراً إلى أنك أنبل
مولداً من هؤلاء .
وإن جردت نفسك من هذا الشرف فى حياتك .
فعقابك أن تعيشى منفية فى وطنك .
فى جزيرة مان مع سير جون ستانلى ،
وذلك بعد ثلاثة أيام تقضينها فى التكفر العلنى
عن ذنبك .

الدوقة : مرحباً بالنفى ، وأهلا بالموت ،

جلوستر : أى إليانور ، إن القانون كما ترين هو الذى أدانك ،
وليس فى طوقى أن أبدل فيما قضى به القانون .
(تقاد الدوقة والمساجين الآخرون تحت حراسة الجند)
إن عينى لتفيض بالدمع ، وقلبى ليغمره الأسى .
إيه يا همفرى إن هذه الفضيحة فى هذه السن
ستعجل بهامتك إلى الثرى فتموت حزناً وكمداً .
أتوسل إليك يا مولاى أن تأذن لى بالانصراف .
فلعلى أتأسى عن حزنى وأريح شيخوختى .

الملك : قف تمهل يا همفرى ، دوق جلوستر ، وقبل
أن تذهب سلم صولجانك . فهنرى من اليوم
سيصبح وصى نفسه ،

وفى الله أملى وبه عونى . وهو رائدى والنور الهادى لطريقى. ولتذهب بسلام يا همفرى وان يكون حبى لك بأقل منه عند ما كنت على وصياً .

الملكة : لست أرى ما يدعو إلى أن يكون هناك وصى على ملك راشد بلغ أشده، وكأنه لايزال طفلا . فالحكم لله وللملك هنرى ، وهما اللذان سيحكمان مملكته إنجلترة . فسلم الصوبجان يا سيدى وأعد المملكة إلى صاحبها .

جلوستر : الصولجان ! هاك الصوبجان ، أيها الملك النبيل أسلمه لك عن طيب خاطر واستعفى من الوصاية التى أولانيها أبوك الملك هنرى . وإنى لأترك هذا الصوبجان عند قدميك راضياً رضى الطامعين فيه لو أنهم حصلوا عليه . الوداع أيها الملك الطيب وعندما أموت وأرحل عن هذه الدنيا سأدعو اللهلك أن يوطد بالسلام دعائم عرشك .

(يخرج)

الملكة : مرحى مرحى . الآن أصبح هنرى ملكاً ؛ ومرجريت ملكة ، واختفى همفرى دوق جلوستر .

وتلك بحق قاصمة الظهر ، فقد رزئ بضربتين شلتا أوصاله فى وقت واحد .نفيت زوجه ، وهيض جناحه بانتزاع صوبلحان الشرف من يده . ألا فليحل هذا الصولجان فى خير يد تليق به ، يد هنرى .

سافوك : وهكذا تداعت هذه الشجرة الشامخة وذبلت أغصانها ، وهكذا قضى على كبرياء اليانور وما زال فى المهد .

يورك : أيها اللوردات دعوه وشأنه ، وإن أذنت جلالتك فاليوم هو الموعد المحدد للمبارزة ، وقد استعد كل من المدعى والمدعى عليه صانع السيوف ومساعده ايدخلا فى الحلبة ، فإن أذنت جلالتك تفضلت بمشاهدة المبارزة

الملكة : يا مولاى لقد تركت القصر عمداً لأرى هذا النزاع يفصل فيه .

الملك : باسم الله انظروا هل أعد الميدان؟ وهل اتخذت كل التدبيرات . . . . ؟ دعوهما يبتا هنا فى هذا الخلاف ، والله ينصر الحق.

يورك : أيها اللوردات ، ما رأيت رجلا نزل به الفزع

وحل به الخوف من القتال مثل هذا المدعى ،
صبي صانع الأسلحة .

(يدخل من باب صانع الأساحة وزملاؤه وهم يشربون فى صحته فى جم حتى ثمل ، وهو يدخل وأمامه طبل ومعه عصاه وقد علق عليها كيس رمل ، ويدخل من باب آخر صبيه ومعه طبل وكيس رمل وحوله زملاؤه من الصبيان يشربون نخبه)

الزميل الأول : هأنذا أشرب نخبك أيها الزميل هورنر ،
كأساً من النبيذ الأبيض ، ولا تخف أيها الصديق
فستبلى بلاء حسناً .

الزميل الثانى : وهأنذا أشرب ، أيها الزميل ، فى صحتك كأسا
من نبيذ « شارنيكز »

الزميل الثالث : وها هو ذا زق من الجعة المعتقة فاشرب
ولا تخش صبيك .

هورنر : هاتها بالله ، وسأشرب أنخابكم جميعاً فما أحقر
بيتّر

الصبى الأول : هأنذا أشرب نخبك يا بيتّر فلا تخف

الصبى الثانى : ابتهج يا بيتّر ولا تخش معلمك وبارز لتكسب
للصبيان مجداً .

بيتّر : أشكركم جميعاً اشربوا وصلوا من أجلى .
أرجوكم إذ أحسبنى قد تجرعت آخر شربة لى فى

هذه الدنيا . اسمع يا روبن إذا أنا مت فلك
مئزرى هذا ، وأنت يا ويل لك مطرقتى هذه ؛
وأنت يا توم لك كل ما معى من مال ،
ألا فليباركنى الله . وإنى لأتضرع إليه وأدعوه
فما أنا بمستطيع أبداً أن أبارى معلمى .
فقد تعلم كثيراً من فنون المبارزة .

سالسبورى : أقبلا ! ودعا الشراب وابدآ المبارزة ، ما اسمك
يا رجل ؟

بيتر : بيتر ، بحق .

سالسبورى : بيتر ثم ماذا .

بيتر : بيتر إبهام .

سالسبورى : إبهام . إذن غز معلمك غزاً بهذا الإبهام .

هورنر : سادتى لقد جئت إلى هنا باتهام من تلميذى
لكى أثبت أنه وغد زنيم ، وأننى رجل فاضل .
إننى لم أعرض بالدوق يورك ، بل أنا على استعداد
لأن أموت فى سبيله ، وما أردت به سوءاً قط
ولا بالملك ولا بالملكة . وسأحمل عليك يا بيتر
بضربة قاضية فى الحال

يورك : ابدأ القتال فلسان هذا الوغد قد أخذ يتلعثم — دقوا الطبول وانفخوا فى الأبواق وارسلوا صيحات القتال للمتبارزين .

(قرع طبول وصيحات قتال يتقاتلان ويضرب بيتر معلمه ويطرحه أرضاً)

هورنر : كف عنى يا بيتر فأنا أعترف بالخيانة

يورك : جردوه من سلاحه ، احمد الله ، يا رجل ، واحمد النبيذ الطيب الذى شربته فى الطريق إلى معلمك .

بيتر : يا إلهى هل تغلبت على خصمى وفى حضرة هؤلاء ! إيه يا بيتر لقد انتصر بالحق .

الملك : هيا أبعدوا هذا الخائن من أمامى
فقد أثبت موته خطيئته .
وكشف الله لنا بعدله صدق هذا الرجل المسكين وبراءته .
لقد ظن أن سيقتله ظلماً . . . .
تعال يا رجل واتبعنا لتنال جائزتك . .

(قرع طبول ، ويخرجون)

الفصل الثانى

المنظر الرابع

شارع

(يدخل دوقهمفرى ورجاله فى ملابس الحداد)

جلوستر : هكذا يعكر السحاب أحياناً صفو اليوم المشرق
ويرث الشتاء القاحل بقره وبرده القارس الدائم
أيام الصيف .
هكذا تتوالى الأفراح والأتراح كلما كرت
الأيام . . .
أيها السادة كم الساعة . . ؟

الخادم : العاشرة يا مولاى

جلوستر : العاشرة ، إنها الساعة التى عينوها لى
لأرقب مقدم زوجى المعاقبة .
هيهات أن تطيق أقدامها الناعمة المترفة
السير على أرض هذه الشوارع الصخرية . . .
نل الحبيبة إلا ما أشق أن يحتمل فكرك النبيل
منظر السفلة وهم يحملقون فى وجهك بنظرات

حاقدة .

ويتضاحكون على عارك .

أولئك الذين كانوا من قبل يتبعون عجلات

مركبتك الفاخرة

حين كنت تركبين فى أبهة ومجد ، لتخترق

هذه الشوارع .

ولكن مهلا أظنها قادمة .

فلأعدن العين التى أغرقها الدمع لترى ما هى فيه

من تعاسة .

(تدخل الدوقة فى ثوب أبيض وبيدها شمعة ومعها العمدة والضباط ومن خلفهم سير جون ستانلى وحارس يمسك رماحاً وأسلحة)

الخادم : إذا أذنت ، يا مولاى ، استأذنا العمدة وأحضرناها إليك

جلوستر : لا ، لا تتحركوا من أماكنكم ، وإلا دفعتم حياتكم ثمناً لذلك ، دعوها تمر . .

الدوقة : أجئت يا سيدى لتشهد فضيحتى المعلنة

إنك أيضاً تكفر عن خطيئتك الآن .

انظر كيف يحملقون فى وجهى .

وكيف تشير إلىّ هذه الطغمة الطائشة ،
وتحرك رؤوسها موجهة إليك نظراتها .
إيه يا جلوستر . توار بعيداً عن هذه النظرات المغيضة .
والزم حجرتك الخاصة ، واندب ما لحق بى من عار .
والعن أعداءك فهم أعدائى وأعداؤك معاً .

جلوستر : تجلدى أى « نيل » الرقيقة وانسى أحزانك .

الدوقة : أواه يا جلوستر ، علمنى كيف أنفس عن نفسى .
إننى كلما فكرت أننى زوجك
وأنك أنت أمير هذه البلاد ووصيها .
خرجت من أفكارى بأنه ما كان ينبغى لى
أن أقاد على هذا النحو مجللة بالعار .
وقد ألصقت على ظهرى كتابات .
وتبعنى هؤلاء الغوغاء الذين تسرهم رؤية دموعى ،
وسماع أنانى المنبعثة من أعماق قلبى .
ويضحكهم الصخر الصلد يشق أقدامى الناعمة ،
ويقول لى هؤلاء الرعاع الشامتون

وأنا أقفز ألماً : تعلمي ، كيف تمشين وألقى بالك .
آه يا همفرى لن أستطيع أن أحتمل هذا العبء المخزى ؟ . . .
أو تظن أنى سأواجه العالم مرة أخرى ؟
أم ترانى سأغبط الذين يتمتعون بضوء الشمس على سعادتهم ؟
فالظلام سيكون نصيبى من الضوء ، والليل سيكون نهارى
ومجرد التفكير فى مجدى وأبهتى سيكون جحيمى وعذابى .
وسأقول يوماً لنفسى : أأنا زوج الدوق همفرى ؟
أمير البلاد ومن بيده الحكم ؟
ولكن فى حكمه وفى أيام إمارته
وقف يشاهد وتخلى عنى ، بينما أنا زوجه التعسة
قد جعلت هدفاً للزراية ومادة للتهكم والسخرية
من كل متسكع من الشاذين والأفاقين .
إيه يا همفرى كن هادئاً ولا تحمر خجلا من عارى ،
لا ولا تحرك ساكناً لما يحيق بك

حتى يرفرف سيف الموت على رأسك ، وهو
لا بد موافيك عاجلا .
لأن سافوك الذى أصبح إليه الأمر كله ،
متعاوناً مع التى تكرهك وتكرهنا جميعاً .
ومع يورك ويوفورت الزنديق ذلك القس الزائف ،
قد أعدوا لك كميناً ليقصوا به أجنحتك .
حلق فى الجو ما استطعت أن تحلق ،
فلا مفر من أن يوقعوا بك فى كمينهم . . . .
ولكنك لن تتحرك ، لا ولن تتقى أعداءك
حتى يطبق الفخ على قدمك .

جلوستر : مهلا يا « نل » ، مهلا إن كل ما تزعمين خطأ ،
لا بد لى أن أذنب قبل أن أتهم بالخيانة العظمى
ولو أن لى أعداء يفوقون هؤلاء عشرين مرة .
وكان لكل واحد منهم من القوة ما يعادل عشرين مرة
ما لهؤلاء كلهم من قوة ،
لما استطاعوا أن ينالونى بأذى أو مضرة ،
ما دمت مخلصاً صادق العهد ، لم أقترف ذنباً

أتريدينى أن أنقذك من هذه الوصمة
وجريمتك لما تمح بعد ؟
وإقدامى على مثل هذا العمل يعرضنى لخطر
تهمة خرق القانون ؟
إن أعظم معين لك يا عزيزتى « نل » فى محنتك
هذه هو التزام الهدوء ،
فأرجو أن توطنى قلبك على الصبر ،
وعما قليل ينتهى استعراض الفضيحة .
(يدخل مناد)

المنادى : فخامتك مدعو إلى حضور البرلمان
الذى سيعقد فى « برى » أول الشهر القادم .

جلوستر : أيعقد دون أن تؤخذ موافقتى سلفاً ،
إنها لخطة محبوكة ، وسأكون هناك .
(يخرج المنادى)
وائذنى لى يا عزيزتى « نل » فى الانصراف .
وأنت أيها السيد العمدة
لا تجعل تكفيرها يزيد عما أمر به الملك .

العمدة : إن أذنت يا صاحب الفخامة فإن مهمتى تنتهى
هنا .

وتبدأ مهمة سير جون ستانلى
الذى سيصطحبها إلى جزيرة « مان » .

جلوستر : أو تبدأ مهمتك مع زوجى من هنا يا سير جون؟

ستانلى : بهذا أمرت ؛ إن أذنت يا صاحب الفخامة .

جلوستر : تعهدها دون أن تفترض أسوأ الفروض ،
تلطف معها .
فلقد تبسم الدنيا لنا من جديد، فأعيش لأسدى
لك معروفاً
إن أنت أديت لزوجى جميلا — الوداع
يا سير جون .

الدوقة : ما هذا ! أتذهب يا مولاى دون أن تقرئنى
الوداع ؟

جلوستر : ألا ترين دموعى؟إننى لا أقوى على البقاء لأودعك.

(ينصرف جلوستر وخدمه)

الدوقة : وهل ذهبت عنى أنت أيضاً ؟ إذن ذهبت كل
سلوى ولم يبق لى أجد ،
إن عزائى الآن فى الموت الذى كنت أخشى
ذكر اسمه ،
لأننى كنت أريد خلود هذه الحياة .

ستانلى ، أتوسل إليك أن تأخذنى من هنا .
فلست أبالى إلى أى مكان تأخذنى لأنى لا أنتظر الرحمة من أحد ،
وكل الذى أطلبه ، أن تحملنى إلى حيث أمرت أن تحملنى .

ستانلى : ولم الجزع ، يا سيدتى ، إنك لن تحملى إلا إلى جزيرة « مان »
حيث تعاملين بما يليق بمقامك .

الدوقة : هذا أسوأ ما فى الأمر ، فما أنا الآن إلا وصمة عار .
فهل ستكون معاملتى على قدر عارى ؟

ستانلى : بل بوصفك دوقة للدوق همفرى وزوجه ،
وبما يليق بهذه المكانة ستعاملين ؛

الدوقة : وداعاً أيها العمدة وليكن ما ستنال خيراً مما أصابنى ،
ولو أنك كنت المشهر لفضيحتى .

العمدة : إنها وظيفتى ، وأسألك العفو يا سيدتى ،

الدوقة : استودعك الله فقد انتهت مهمتك .
وهيا يا ستانلى ، ألم يأن لنا أن نذهب ؟

ستانلى : سيدتى لقد تمت كفارتك ، فاطرحى عنك هذا الثوب .
واذهبى لترتدى لباس السفر .

الدوقة : إن عارى لم ينزع مع هذا الثوب ،
بل سيظل عالقاً بأنفس أثوابى ،
وسيبرز مهما تفننت فى ملبسى ،
هلم سر أمامى فما أشد شوقى لرؤية سجنى .

(يذهبان)

الفصل الثالث

المنظر الأول

الدير فى بلدة برى سان إدموندز

(قرع طبول ، يدخل الملك والملكة والكاردينال وساوك ويورك وبكنجهام وسالسبورى ووريك إلى البرلمان (مجلس البلاط)

الملك : يدهشنى أن اللورد جلوستر لم يأت بعد ،
فليس من عادته أن يكون آخر من
يحضر ، فأى عائق عاقه إلى الآن ؟

الملكة : ألم تفهم ؟ . . ألم تلحظ
النظرة الغريبة التى تنم عنها ملامحه التى تبدلت ؟
وما يبديه من العظمة والكبرياء ،
وكيف صار أخيراً وقحاً ،
وكيف ركبه الصلف والغرور حتى تنكر
لطبيعته ،
وقد عرفناه من قبل مهذباً حليماً ؛

---

(١) كان لفظ «البرلمان» يطلق فى تلك الأيام فى فرنسا وإنجلترا على ما يشبه المحكمة العليا التى تمضى الأحكام وتبرم القوانين مع ذلك .

يسارع للجثو على ركبتيه إجلالا لنا
إذا ما ألقينا عليه نظرة ولو من بعيد ؛
كان البلاط كله حينئذ يقدر فيه هذا الخضوع والامتثال ،
أما الآن فإنك إذا لقيته حتى فى مطلع النهار ،
حين يتبادل الناس جميعاً تحية الصباح ،
رأيته مقطباً ؛ تتقد عيناه بنظرة غاضبة ،
ويمر بك دون أن يثنى ساقيه ،
منكراً ما يفرضه الواجب عليه نحونا .
إن الكلاب الحقيرة لا تلفت إليها الأنظار حين تكشر عن أنيابها ؛
ولكن الأسد حين يزأر ترتعد له فرائص العظماء ،
وليس همفرى رجلا صغير الشأن فى إنجلترة .
فهو أولا وثيق الاتصال بنسبك ،
وهو خليفتك على العرش إن قدر وسقطت ،
فليس من الكياسة فى تصريف الأمور ،
أن تأذن لهذا الرجل أن يقترب من ذاتك الملكية ،
أو أن تسمح له بحضور مجالسك الخاص ،

إذا قدرنا ما هو عليه من نفس تنطوى على الحقد
والضغينة ؛
وما نعلم من أنه المستفيد من موتك .
لقد كسب قلوب العامة بالملق .
وأخشى ما أخشاه ، أنه إذا راق له أن يقوم
بثورة —
فإن هؤلاء جميعاً لا بد تابعوه .
إننا ما زلنا فى الربيع ،
والعشب الضار لاتزال جذوره على السطح لم
تضرب فى الأعماق بعد .
فإذا أهملته وتركته لشأنه . انتشر فى الحديقة
وخنق النباتات الأخرى من إهمال التعهد والرقابة.
إن اهتمامى وإجلالى لمولاى . جعلانى أجمع
خبر هذه الأخطار فى الدوق ،
فإذا ثبت أنها خواطر حمقاء فخذها على أنها
مخاوف امرأة .
فإن توفر من الأسباب الصحيحة ما يقتلعها
من نفسى ،
فسأسلم بأنها مجرد مخاوف ، وأعترف أنى ظلمت

الدوق . . .
أيها السادة اللوردات سافوك وبكنجهام وبورك
هلموا وادحضوا قولى هذا إن استطعتم ،
فإن لم تستطيعوا فأقرونى عليه

سافوك : لقد نفذت إلى دخيلة هذا الدوق يا مولاتى ،
ولو أنى كنت البادئ بإعلان رأيى فيه
لما خرج ما أقول عما قلت .
لعمرى إن الدوقة لم تبدأ مؤامرتها الشيطانية
إلا بإيعاز وتحريض منه ،
ولئن لم يكن على علم بأسرار هذه الخطايا .
فهو الذى أغراها بهذا الصنيع بمفاخرته بنبالة محتدة ؛
وبأنه التالى للملك مقاماً ، وخليفته ووريثه على العرش .
إنها هى هذه المفاخرات الجوفاء ،
التى زينت للدوقة المخبولة
أن تلجأ إلى الأساليب الشيطانية لتدبر سقوط مليكنا .
والماء يجرى سلسلا هادئاً حيث يعمق الجدول ،

كذلك الدوق يخفى فى براءة مظهر الغدر والخيانة .
الذئب لا يعوى حين يهم بافتراس الحمل ،
لا .. لا .. يا مومولاى ! إن جلوستر رجل لم تكشف دخائله بعد ،
وهو بعيد الغور فى الختل والخداع

الكاردينال : أو لم يلجأ ، مخالفاً لكل أوضاع القانون ،
إلى تدبير ميتات غريبة عقاباً على ذنوب بسيطة ؟

يورك : أو لم يجب فى مدة وصايته
مبالغ طائلة من المال من جميع أنحاء المملكة ؛
لأداء مرتبات الجنود فى فرنسا ؛ ولم يرسل شيئاً منها ؟
فتسبب بذلك فى ثورة المدن وردتها يوماً بعد يوم ؟

بكنجهام : دعوكم من هذا إنها لأخطاء هينة ، وما خفى كان أعظم .
وستكشف عنه الأيام فى هذا الدوق الداهية .

الملك : سادتى أقول لكم ، بلا مقدمات طويلة ، إن العناية التى تحيطوننى بها ،

والتى تدفعكم إلى استئصال الأشواك التى قد تؤدى قدمى ،
هى عناية خليقة بالشكر . ولكنى إذا أفصحت عن وجدانى
قلت لكم إن قريبى جلوستر برىء .
من قصد الخيانة لذاتنا الملكية ،
براءة الحمل الرضيع أو الحمامة الوديعة .
إن الدوق رجل فاضل ، وديع ، رضى النفس ،
بحيث لا يفكر فى إثم على مصرعى .

الملكة : أواه أى شىء أشد خطراً من هذه الثقة العمياء ،
أو يشبه الحمامة حقا ؟
لئن أشبهها فإن ريشه لمستعار كاذب ،
وهو أدنى طبعا إلى الغراب الأسحم
هل هو حمل ؟ إذن لا ريب فى أنه حمل كاذب ،
فنزعاته نزعات ذئب خلاء . . . !
ومن أضمر الخداع فكيف يعجز
عن أن أى مظهر يريد ؟ فحذار ثم حذار ،

يا مولاى إن سلا متنا جميعاً تتوقف على قطع دابر هذا الخائل .

(يدخل سمرست)

سمرست : الصحة والعافية لمولاى الملك الكريم

الملك : مرحباً بك يا لورد سمرست ! ما وراءك من أنباء فرنسا ؟

سمرست : لقد انتزع منك كل مالك فى هذة الأراضى
وضاع كل شيء عليك .

الملك : أنباء سيئة . يا لورد سمرست . ولكن فلتكن مشيئة الله .

يورك : (جانباً) أنباء تسوءنى أيضاً . فقد كان لى أمل جميل فى فرنسا ،
لا يقل عن أملى فى أرض إنجلترة الخصبة ،
ويلاه لقد ذوى زهرى فى أكمامه .
والتهمت الديدان ورقى .
ولكنى سأصلح ما فسد من هذا الأمر فى وقت قريب
وإلا استبدلت بقلبى قبراً مجيداً .

(يدخل جلوستر)

جلوستر : السعادة كل السعادة لمولاى الملك ،
ومعذرة ياوليي إن كنت قد تأخرت طويلا .
سافوك : بل جئت ، يا جلوستر : بأسرع مما حسبنا ،
إلا إذا لم تكن تتظاهر بولاء ، هو أكثر من واقع أمرك ...
إنى أتهمك ها هنا بالخيانة العظمى .
جلوستر : لن ترانى ، يا سافوك ، أحمر خجلا لمثل هذا الكلام ،
لا ولن يتغير وجهى لهذه التهمة ،
فالقلب الذى لم تشبه شائبة ليس من السهل إرهابه .
إن أطهر الينابيع وأصفاها لا تخلو من الكدر ،
كما يخلو قلبي من كل أثر للخيانة ملكى ومولاى .
منذا الذى يستطيع أن يتهمنى وما الذنب الذى أتهم به ؟
يورك : يظن ، يا سيدى ، أنك أخذت رشوة من فرنسا ،
وأنك بوصفك وصياً على البلاد حبست أعطية الجند ،

مما أدى إلى ضياع فرنسا من مولانا الملك .

حلوستر : إن الأمر مجرد مظنة . فمن هؤلاء الذين يظنون بى تلك الظنون ؟
فما سلبت الجند أعطياتهم قط ،
ولا امتدت يدى إلى رشوة من فرنسا قط ،
والله شهيد على ما أقول . بل إنه ليشهد أيضاً
كم سهرت الليلة بعد الليلة عاملا لخير إنجلترة ،
ألا فلأحساب يوم الجزاء عن كل دانق اغتصبته ، من أموال الملك ،
لا بل على كل درهم اختصصت به نفسى واختزنته لصالحى ؛
لا بل ما أكثر الجنيهات التى بذلتها من حر مالى للجنود .
لأنى لم أرد أن أثقل بالضرائب كاهل الشعب المعوز .
وما طالبت باسترداد هذه الأموال قط .

الكاردينال : إنه لمما يخدم قضيتك أجل الخدمات ، يا سيدى اللورد ،
أن يفسح لك فى مجال القول . . ،

جلوستر : لست أقول أكثر من الحق ، والله على ما أقول
شهيد .
يورك : ولقد ابتدعت فى أيام وصايتك ،
وسائل غريبة لتعذيب المذنبين ، لم يسمع بها
من قبل .
مما وصم إنجلترة بالظلم ،
جلوستر : عجباً أتقول ذلك ، والمعروف عنى أننى حين
كنت وصياً
كانت الرحمة هى ذنبى الوحيد ؟
فقد كنت أذوب شفقة أمام دموع المذنبين ،
وكنت أجد فى كلماتهم الخاشعة الذليلة
كفارة عن ذنوبهم ،
وما أوقعت بهم العقاب الذى يستحقونه قط ،
إلا أن يكون المذنب قاتلا أثيماً ،
أو سارقاً غادراً سطا بإكراه على أموال المسافرين ،
الراحلين التعساء
فهؤلاء كنت أوقع بهم العذاب .
نعم عذبت القتلة ، فالقتل إثم كبير
أكبر من غيره من مخالفات القانون والجرائم .

ساقوك : سيدى اللورد . هذه أخطاء هينة من السهل تبريرها .
ولكن هنالك جرائم أشد وأنكى ملقاة على عاتقك ،
لن تستطيع أن تتحلل منها بسهولة .
إنى أقبض عليك . باسم مولاى الملك .
وأسلمك إلى سيدى اللورد الكاردينال
ليحفظك حتى يحين الوقت لمحاكمتك .

الملك : يا عزيزى لورد جلوستر . . إن كل رجائى
أن تبرئ نفسك من جميع الريب التى تمس سلوكك وتصرفاتك ؛
إن وجدانى ليوحى إلى أنك برىء .

جلوستر : أى مولاى الكريم ! إن هذه الأيام جدّ خطيرة .
فالفضيلة تخنقها الأطماع الغادرة ،
والحب تطارده الأيدى الحاقدة ،
وغدا التحريض على الجريمة أمراً شائعاً .
ولسوف يرحل الإنصاف عن ديارك يا مولاى .
إنى أعرف أنهم يأتمرون بى ليقتلونى ،

ولو كنت أعلم أن موتى يوفر السعادة لهذه الجزيرة .
ويضع حداً لجبروتهم وبغيهم ،
لقدمت حياتى طائعاً مختاراً .
ولكن موتى ليس إلا مقدمة لمؤامراتهم ؛
بل إن موت الآلاف من الأنفس الآمنة ،
لن يضع حداً لهذه المأساة التى دبروها .
إن عينى بوفورت الحمراوين الملتهبتين لتنبآن عما بقلبه من الضغينة ،
وجبين سافوك المتجهم ينبئ عن فورة الكراهية فى صدره ؛
ولسان بكنجهام السليط ينفث
الضغن والحسد اللذين يفيض بهما قلبه ،
ويورك الجشع الذى يحاول أن ينال القمر ،
والذى كبحت جماح أطماعه ،
يرمى إلى القضاء على حياتى باتهامات باطلة .
وأنت أيضاً ، يا مولاتى ، أقحمت نفسك مع هؤلاء .
وأسهمت بلا داع فى تجليل هامتى بالخزى والعار ،

وبدلت غاية جهدك فى استثارة المليك ،
مولاى الأعز ، ليكون عدوى .
أجل لقد ائتمرتم بى لتتخلصوا من حياتى البريئة .
ولقد راقبت عن كثب اجتماعاتكم .
ولستم فى حاجة إلى شهادة زور تدينى .
ولا إلى تجميع خيانات لتضخيم ذنبى ؛
فإن المثل القديم يقول : « لن تعوزك العصا لتأديب الكلب »
الكاردينال : إن سخريته لا تحتمل ، يا مولاى ،
وإذا كان هؤلاء الذين يعنيهم صيانة ذاتك الملكية
من أن تلم بها يد الغدر ، وكيد الخونة ،
يتعرضون لمثل هذا التقريع واللوم والسخرية .
على حين يفسح للمجرمين مجال القول كما يشتهون
فإن حماستهم لجلالتك لن تلبث أن تفتر ،
سافوك : ألم ينتقد الملكة هنا بكلمات نابية وأن صيغت فى عبارات محبوكة ؛

كأنما هى التى حرضت بعض الناس
على أن يكيلوا له الاتهامات الباطلة لإسقاطه
من منصبه ؟

الملكة : للمغلوب الحق فى أن يلوم ويعذل .

جلوستر : كلمة حق أريد بها باطل. أتقولين إنى مغلوب؟
ويل إذن للغالبين ، الذين ارتكبوا الإفك
والتدليس ،
وما دام الأمر كذلك ، فليسمح للمغلوبين أن
يتكلموا كما يريدون .

بكنجهام : أخلق به أن يتلاعب بالمعنى ويلويه كيف شاء
ويمسكنا هنا طول اليوم !
سيدى الكاردينال إنه أسيرك

الكاردينال : أيها السادة اذهبوا بالدوق من هنا واحرسوه جيداً

جلوستر : آه ! هكذا يتخلى الملك هنرى عن سنده ،
قبل أن تقوى ساقاه على حمل جسده .
وهكذا يُضرب الراعى ، ويقصى من جانبك .
والذئاب من حولك تعوى وتكشر عن أنيابها .
وتتسابق أيها يكون أول من ينهشك بأنيابه .
آه ليت مخاوفى كاذبة ، ليتها كانت كذلك .

إنى لأخشى هلاكك أيها الملك الصالح هنرى.

(يخرج تحت الحرامة)

الملك : أيها اللوردات أبرموا أو انقضوا ما يبدو لحكمتكم
إنه الخير ،
وتصرفوا كما لو كنت بينكم هنا .

الملكة : أتغادر جلالتك المجلس ؟

الملك : أجل ، يا مرجريت ، فإن قلبي يفيض أسى ؛
لن يلبث طوفانه أن يسيل من عينى ، وجسدى
تطوقه التعاسة ،
وهل هناك ما هو أشد مرارة على النفس
من أن يرى المرء ويشهد مالا يرضيه ؟
أيها العم همفرى ! إنى لأقرأ فى وجهك
آيات الشرف والصدق والوفاء .
ومع ذلك ، أى همفرى الصالح ؛
جاء الوقت الذى تبينت فيه خيانتك
أوساورنى الشك فى صدق ولائك . . .
أى طالع نحس هذا الذى حسدك على مكانك
الرفيع ،

وحمل هؤلاء اللوردات العظام . ومعهم ملكتنا مرجريت .
على السعى فى القضاء على حياتك الوادعة ؟
إنك ما أسأت يوماً إلى واحد منهم
بل ما أسأت قط لإنسان .
لقد حملوا جلوستر من هنا
كما يحمل القصاب العجل إلى المذبح ،
فهو يوثقه ويضربه إذا حاول الخلاص .
بل لقد كانوا أشد قسوة من القصابين
ولم يكن فى وسعى أن أفعل شيئاً من أجله .
بل كنت كأم العجل التى تجرى وراءه وهى تبكى وتعول .
وتنظر فى حسرة إلى الطريق التى سار فيها ابنها الوديع .
وهى لا تملك إلا العويل على فقد هذا العزيز .
هكذا أندب حظ جلوستر الصالح بدموع حزينة لا تنفع
وأرقبه ، وقد حملوه ، بعيون مغرورقة بالدمع .
دون أن أستطيع له خلاصاً .

فأعداؤه الذين عقدوا الخناصر على الكيد له
أشداء أقوياء .
سأبكى حظه العاثر وأنا أسائل نفسى بين
كل زفرة وأخرى
ترى من يكون الخائن ؟ فيأتيني الجواب « ليس
جلوستر بالخائن » .

(يخرج ويتبعه الجميع عدا الملكة والكاردينال بوفور وسافوك ويورك ويبقى سمرست بمعزل عن الآخرين)

الملكة : أيها اللوردات الأحرار ،
إن حرارة الشمس لتذيب جمود الثلج البارد .
ومولاى هنرى يخور عزمه عند ما يواجه العظيم
من الأمور .
إنه شديد الرأفة المنطوية على الحنو :
وقد استطاع جلوستر أن يخدعه بتظاهره بالبراءة ،
كما يخدع التمساح بدموعه الكاذبة
أولى الرحمة من المارين به ، فيوقعهم فى حبائله ،
أو كما تخدع الأفعى التى تكمن فى زهور
الشاطئ
الطفل البرىء . بجلدها البراق المرقط ،

فيظنه لجماله شيئاً رائعاً ، فيقبل عليه فتلدغه.
صدقونى ، أيها اللوردات ، ولو أنى لا أدعى
أنى أحكم الناس ،
فإنى فى هذا المقام أعتقد أن تفكيرى سليم ؛
وأن هذا الدوق جلوستر يجب أن يذهب
عن هذه الدنيا ،
ليذهب عنا الخوف الذى يشيعه فينا .

الكاردينال : أما أنه يجب أن يموت فتلك سياسة حكيمة .
ولكن لا تزال تعوزنا الحجة التى نتذرع
بها لقتله ؛
وأرى أن الأنسب أن يدان عن طريق القانون

سافوك : وتلك فى رأيى ليست خطة حكيمة ،
فالملك سيعمل دائباً على إنقاذ حياته .
ولربما هب العامة لاستنقاذه أيضاً .
ثم إنه ليس لدينا ضده إلا حجج واهية ،
لا تزيد على مجرد شكوك ، وشبهات ،
لا نستطيع أن نبرر بها موته .

يورك : وأذن فمعنى هذا أنك لا تريد موته .

سافوك : يا يورك ! مامن حى يتمنى موته كما أتمناه .

يورك : بل إن يورك هو الذى لديه أكثر من سبب ليتمنى
موته .
ولكن يا سيدى الكاردينال . وأنت يا سيدى
اللورد سافوك .
فليتحدث كل منكما بوحى أفكاره . ولينطق
كل منكما بما يمليه على فؤاده .
وستتفقان فى النهاية على أن تنصيب اللورد
همفرى وصياً على الملك
كان بمثابة وضع النسر الجائع ليحمى الفراخ
من الحدأة الساغبة .

الملكة : ومن ثم لم يكن بد من هلاك الفراخ المسكينة .

سافوك : هذا صحيح يا مولاتى . . ألم يكن من الجنون إذ
ذاك
أن نجعل الثعلبَ حارساً على الحظيرة ؟
ذلك الثعلب المجرمُ الحذرُ ،
الذى لا تعتبر جريمته ذاتَ شأن
إذا ما هو عجز عن الوصول إلى ما يريد ،
لا . . لا . دعوه يمت ميتةَ الثعلب ،
الذى ثبت أنه بالفطرة عدو للقطيع ،

قبل أن يصطبغ فكه بالدم القانى ،
فقد ثبت بالأدلة أن همفرى عدو لمولاى الملك .
فلا تختلفوا عبثاً فى اختيار طريقة الفتك به ،
فسواء أن يكون موته بالفخاخ أو بالشراك أو بالحيلة ،
نائماً أو يقظان . فالوسيلة ليست بذات شأن ،
وإنما الذى يعنينا ، هو أن يموت ، وليس فى هذا أى خدعة ،
فهو البادئ بالخديعة . والبادئ أظلم . .

الملكة : إنك لعريق ، يا سافوك . وقد تكلمت بحزم .

سافوك : ليس حزماً إلا أن نُتْبِع القول العمل .
فما أكثر ما يقال ولا يعنى به شىء ،
ولكنى فى هذا يصدر لسانى عما فى قلبى من إيمان ،
بأن هذا العمل يستحق الثواب . ولكى أحمى
مليكى من عدوه ، أصدروا أوامركم ،
أكن أنا قسه الذى يتلقى اعترافه قبل الموت .

الكاردينال : ولكنى أريده أن يموت يا سيدى اللورد سافوك ،
قبل أن تتلقى الأوامر بتنصيبك قسيساً ،
ويكفى أن تقول إنك راض عن موته ،

وإنك تحبذ العمل ، لأتولى أنا إيجاد جلاده .
فأضمن بهذا العمل سلامة مولاى .

سافوك : هاك يدى فالعمل خليق بأن ينفذ ،

الملكة : وأنا أؤيد هذا القول

يورك : وأنا أيضاً أؤيده : أما وقد اتفقت كلمتنا
نحن الثلاثة على هذا ،
فليس يعنينا كثيراً من يعارض فى قرارنا .

(يدخل ساعى البريد)

ساعى البريد : أيها الاوردات العظام إنى قادم من أيرلندا على
جناح السرعة
لأنبئكم أن الثوار هناك قد هبوا
وأعملوا السيف فى الإنجليز ،
فبادروا أيها الاوردات بإرسال النجدات
لتخمدوا الثورة فى مستهلها ،
قبل أن يستفحل الداء ، و يستعصى على العلاج .
إن الفتنة لما تزل فى منبتها ؛
والأمل كبير فى أن تكون المبادرة كفيلة
باستئصالها .

الكاردينال : هذا انتقاص يستدعى المبادرة لكبحه ،

فأى مشورة لديكم فى هذا الأمر الخطير ؟

يورك : أرى أن يرسل سمرست إلى هناك نائباً عن الملك ،
وأن يُستفاد من هذا الحاكم المحظوظ .
واذكروا الحظ الذى صادفه فى فرنسا .

سمرست : لو أن يورك كان مكانى ، نائباً للملك فى فرنسا ،
لما استطاع ، رغم سياسته المحكمة فى حذق ،
أن يصمد طويلا هناك .

يورك : ولم أكن لأفقدها جميعاً على أية حال ،
كما فعلت أنت ، يا سمرست ، ولآثرت الموت فوراً
على أن أعود لبلادى بهذا الحمل من الخزى والعار
بطول إقامتى هناك حتى ضاع كل شىء . . .
أرنى أثر جرح واحد فى جلدك ؛
إن الذين يحتفظون بأجسادهم سليمة ، قلما ينتصرون .

الملكة : كفى كفى . . إن هذه الشرارة قد تندلع ناراً متأججة

إذا أمدت بما يغذيها من الروح والوقود .
أمسك عن القول أى يورك الصالح .
وأنت أيها العزيز سمرست ، اهدأ نفساً ،
فلو أنك كنت مكانه يا يورك نائباً للملك فى فرنسا
لكان جائزاً أن تسوق لك الأقدار حظاً أنكد من حظه .

يورك : ماذا ! أهناك ما هو شر من العدم ؟
إن يكن ذلك فليُجَلِّل العار الجميع

سمرست : ولتكن أحدنا ما دمت تريد بنا العار .

الكاردينال : سيدى اللورد يورك فلتجرب حظك أنت هذه المرة ،
فهؤلاء الجنود الإيرلنديون القساة امتشقوا الحسام
ومزجوا الثرى بدماء الإنجليز ،
فَقُد عليهم حملة من الصفوة الممتازة ،
تختار من كل مقاطعة جماعة ،
وهيا واجه بها الأيرلنديين وجرب حظك .

يورك : فليكن ذلك يا سيدى اللورد إن أذن مولاى الملك

سافوك : ولم هذا التحفظ ؟ إن سلطتنا تصدر عن رضاه
وما نقرره يبرمه الملك ؛
فخذ هذه المهمة على عاتقك ، أى يورك الكريم ،

يورك : وأنا راض بهذا التكليف . فزودونى بالجند ، أيها اللوردات ،
بينما أمضى لتدبير شئونى الخاصة .

سافوك : هذه مهمة سأتعهدها بنفسى يا لورد يورك ،
والآن لنعد إلى حديث الدوق همفرى المخادع .

الكاردينال : لا تعاودوا الحديث فى أمره فسأكفيكم شأنه ،
ولن يعود لإزعاجنا مرة أخرى . وهيا ننصرف
فقد مضى من النهار أكثره
أما أنا وأنت يا لورد سافوك فلنتحدث معا فى
هذا الحادث الذى عرض .

يورك : سيدى لورد سافوك سأنتظر جنودى
فى « برستل »(١) فى خلال أربعة عشر يوماً
ومن ثم أرحل بهم بالسفن إلى أيرلندا

---
(١) Bristol

سافوك : سأرقب تنفيذ ذلك بدقة يا سيدى اللورد .

(يخرجون جميعاً تاركين خلفهم اللورد يورك)

يورك : هذه فرصتك يا يورك . فاغتنمها ، أودع الأمر إلى الأبد

قو أفكارك الواجفة . واجعلها صلبة لا تلين .

واستبدل العزم بالحيرة

وكن كما أملت أن تكون ، أو كما أنت فى الواقع ، واستبسل حتى الموت .

فالمتاع لا يساوى شيئاً . ودع الخوف بوجهه الشاحب يصاحب الأذلاء

ذوى المنبت الحقير . ولا تدعه ينفذ إلى القلب الملكى ليستقر فيه .

إن الأفكار يتبع بعضها بعضاً كأنها غيث الربيع المنهمر ،

وليس فيها فكرة إلا تدور حول العظمة والجاه .

إن تفكيرى وهو أنشط من العنكبوت الدائب ،

لينسج الحبائل المحكمة لاصطياد أعدائى .

حسن مكركم الذى مكرتم أيها اللوردات ،

إذ بعثمونى مزوداً بجيش عظيم ،

وأخشى أنكم قد أشعتم الدفء فى الثعبان المقرور ؛
فلا يلبث بعد أن احتضنتموه فى صدوركم أن
يلدغ قلوبكم .
كانت تعوزنى الرجال وها أنتم أولاء تقدمونهم إلى
وسأشكر لكم هذا ، ولكن كونوا على يقين
أنكم بفعلكم هذا قد وضعتم سلاحاً ماضياً فى
يد مجنون .
فبينما أنا فى أيرلندا أنمى هذا الجيش العظيم
سأعمل على إثارة عاصفة
فى إنجلترة هوجاء تدفع بعشرة آلاف رجل
إما إلى الجنة وإما إلى الجحيم .
ولن تكف هذه العاصفة العاتية عن ثورانها
حتى تستقر الحلقة الذهبية على رأسى .
عندئذ تهدأ هذه العاصفة المجنونة
كما تهدأ العواصف عند ما تشرق عليها الشمس
بأشعتها الذهبية الكاشفة العظيمة .
وقد اخترت لتنفيذ مشيئتى هذه
رجلا من أهل كنت قوى الشكيمة
يدعى « جون كيد » من « أشفورد »

وأغريته بالقيام بفتنة فى أوسع نطاق ، وهو على
ذلك قدير .
وأن يقود الثورة تحت اسم جون مورتيمر.
لقد لقيت هذا الرجل العنيد فى أيرلندا ،
ورأيته يقف فى وجه فرقة كاملة من الجنود
الأيرلنديين العتاة .
ويثبت أمامهم فى القتال حتى نفذت السهام فى
فخذيه وساقيه ،
وكأنها مغطاة بشوك القنفذ الحاد .
وحين استنقذ فى النهاية رأيته
يقفز على قدميه فى خفة الراقص المغربى الوحشى ،
فيهز السهام القاتلة هزة هذا المغربى لأجراسه ،
وكثيراً ما رأيته ينبث فى صفوف الأعداء ،
ويتحدث إليهم كأنه أحد الجند الأيرلنديين
ذوى الشعر الخشن .
ثم يعود إلى دون أن يكشف أحد أمره ،
ويطلعنى على أفعالهم ومكرهم .
هذا الشيطان سيكون نائبى هنا .
إنه أشبه ما يكون بجون مورتيمر الذى قضى

نحبه .

في ملامحه وحديثه ومشيته .
وبهذه الوسيلة سأتمكن من أن أتعرف إلى رأى الجماهير
وإحساسهم نحو بيت يورك وحقه فى التاج .
ولنفترض أنه قبض عليه واضطهد وعذب .
فلست أعرف أذى يمكن أن يلحقوه به .
يحمله على الاعتراف بأنى أنا الذى حرّضته على هذه الثورة . . .
ولنفترض أنه نجح وهو الأكثر احتمالا .
فما على عندئذ إلا أن أقدم من أيرلندا ومعى قواتى .
لأجنى الثمار التى بذرها هذا الأفاق ،
إذ يكون همفرى قد مات وهو حتماً سيموت .
ويكون هنرى قد نحى وصفا لى الجو .
والباقى علىّ .

(يخرج)

الفصل الثالث

المنظر الثانى

(‏[illegible] دمولدر — حجرة استقبال فخمة — أسدلت الستائر فى مؤخرتها لتخفى حجرة أخرى من ورائها — يدخل بعض القتلة مسرعين من خلف الستائر)

القاتل الأول : أسرع إلى سيدى اللورد سافوك وخبره
أننا أجهزنا على الدوق كما أمر .

القاتل الثانى : أواه ما أبشعه من عمل ! ماذا فعلنا ؟
ما سمعت فى حياتى أن رجلا كان أو أباً كهذا
الرجل . (يدخل سافوك)

القاتل الأول : هذا هو مولاى اللورد .

سافوك : والآن أيها السادة هل نفذتم ما أمرتم به ؟

القاتل الأول : نعم يا مولاى إنه ميت .

سافوك : أحسنتم صنعاً : فهيا اذهبوا إلى بيتى
وسأجزيكم على هذا العمل الجرىء .
إن الملك واللوردات جميعاً على مقربة منا ،
فهل أحسنتم ترتيب الفراش ؟
وهل كل شىء على ما يرام ووفق تعليماتى ؟

القاتل الأول : نعم يا مولاى الكريم .

سافوك : هيا اخرجوا أسرعوا بالذهاب (يخرج القتلة)

(قرع طبول . يدخل الملك والملكة والكاردينال وسترست ومعهم الحاشية)

الملك : اذهب وادع عمنا إلى حضرتنا حالا ،
قل له إننا نعتزم محاكمته اليوم ،
إذا كان مذنباً كما أذيع .

سافوك : سأدعوه من فورى يا مولاى العظيم .
(يدخل إلى الغرفة الداخلية)

الملك : أيها اللوردات خذوا أماكنكم وأرجوكم جميعاً
ألا تغلوا فى محاكمة عمنا جلوستر .
وألا تأخذوه إلا بالشهادة الصادقة الموثوق بها
والتى تقطع قطعاً بإدانته .

الملكة : حاشا لله أن يتحكم الحقد ،
وأن يدان رجل شريف برىء .
فلندع الله أن ينجيه من كل ريبة .

الملك : أشكرك يا «نل»، فهذه الكلمات أثلجت
صدرى . (يعود سافوك)
ما بك؟ ومالك تبدو شاحب الوجه ؟ ولم ترتعد

فرائصك ؟

أين عمنا ؟ ماذا حدث يا سفوك ؟

سافوك : وجدته ميتاً فى فراشه، يا مولاى ، لقد مات جلوستر .

الملكة : يا إلهى وقانا الله الشر .

الكاردينال : هذا قضاء الله الخفى : فقد حلمت هذه الليلة أن الدوق خرس لسانه ولم يعد يستطيع النطق بكلمة . (يغمى على الملك)

الملكة : ماذا بك يامولاى؟ النجدة أيهااللوردات . . . مات الملك

سمرست : أنهضوه ، واعركوا أنفه .

الملكة : أسرعوا النجدة . . . النجدة هيه يا هنرى افتح عينيك .

سافوك : تجلدى يا مولاتى فلقد أخذ يستفيق .

الملك : يا إله السموات !

الملكة : كيف حالك يا مولاى العظيم ؟

سافوك : العزاء ، يا مولاى ، العزاء أى هنرى العظيم

الملك : ويلاه ! أيعزينى سافوك ؟

ألم يأت لفوره ليسمعنى نعيب غراب البين . ،

هذا النعيب الكريه الذى سلبنى قواى ؟
إذن ما باله الآن يعزينى ! أيحسب أن تغريد
العصافير
وهى تتصايح بالعزاء والسلوى من صدر خاو .
يمكن أن تطرد عن مسمعى النعيب الذى وقر
أولا فى أذنى . . . ؟
لا ! لا! لا تُخف سمومك بهذه الكلمات
المعسولة ،
إنى آمرك أن تكف عنى ، ولا تلمسنى بيدك ،
فلمس يديك يخيفنى كما تخيفنى لدغة الثعبان .
آغرب عن ناظرى يا رسول الشؤم ،
فنى حدقتيك يربض الغدر الأثيم ليثير الرعب
فى الدنيا . . .
إليك عنى لا تنظر إلىّ فإن نظراتك تجرحنى . .
لا بل ابق وحدق فى بنظراتك أيها الثعبان السام ،
حدق بنظراتك فى فريستك ، واقتلها بسم
عينيك .
وسأجد فى كنف الموت الهناءة والراحة ،
فلم تعد الحياة بعد موت جلوستر إلا موتاً

مضاعفاً .

الملكة : ما بالك تلوم سيدى اللورد سافوك على هذه
الصورة ؟
إن يكن الدوق من أعدائه فإنه وهو المسيحى
المتدين لا يستطيع إلا أن يأسى على مماته .
وأنا نفسى ، برغم أن الدوق كان خصمى :
لو تيقنت أن الدموع المسفوحة ، والزفرات
التى تقطع نياط القلب ،
والتنهدات التى تحرق الدماء ، يمكن أن ترد إليه
الحياة .
لما ترددت فى أن أذرف الدمع حتى يعمى بصرى ،
ولما كففت عن التنهدات حتى تخور قواى ،
ولا سكت عن الزفرات الحارقة للدم حتى يحول لونى
وأبدو صفراء صفرة زهرة الربيع .
كل هذا لأرد الحياة إلى سيدى الدوق النبيل . . .
وما يدرينى أن الناس سوف لا يظنون بى الظنون ؟
فقد مات الدوق والكل يعرفون أنى لم أكن معه
على وفاق ؛
فلربما زعم الناس أنى تخلصت من الدوق ،

ومن ثم يصير اسمى مضغة فى الأفواه المفترية .
وتمتلئ قصور الأمراء بلومى وتقريعى .
هذا ما يجنيه علىّ موت الدوق فيا لى من تعسة!
أأكون ملكة يتوجنى الناس بالعار !
الملك : آه ويلى عليك يا جلوستر أيها البائس المسكين !
الملكة : بل الويل لى فأنا أشد بؤساً منه وتعاسة
ماذا؟ أتعرض عنى وتخفى وجهك عنى ؟ أى مليكى .
ما أنا بالمجذومة الكريهة انظر إلىّ !
ما خطبك ؟ ألا تسمعنى ؟ أغدوت أصم كالصلّ ؟
وإذن فكن ساماً مثله ، واقتل مليكتك التعسة .
هل حبست سلواك كلها فى قبر جلوستر ؟
إذن لم تكن إليانور يوماً ما مصدر سرورك ؟
أقم إذن لجلوستر تمثالا واعبده .
أما أنا فاجعل صورتى لافتة للحانات ؛
ألمثل هذا المصير تعرضت للمخاطر فى البحر
وقذفت بى الرياح النكباء مرتين بعيداً عن شاطئ
إنجلترة ،
وردتنى إلى موطنى وبلادى ؟

ترى أى نذير كان وراء هذا ؟ ليلوح لى أن نذر الريح
كانت كأنما تهتف بى « لا تسعىَ إلى جحر العقرب ،
ولا تطئى بقدمك هذا الشاطئ القاسى »
أتعلم ماذا فعلت أنا عندئذ ؟ لقد لعنت هذه الرياح الجنوب ،
ولعنت الذى أطلقها من كهوفها الصلبة القدية ،
وأمرتها أن تهب نحو شاطئ إنجلترة المبارك ،
أو تحول دفة سفينتنا لترتطم بصخرة وعرة ؟
غير أن إله الريح (إيلوس) أبى أن يكون سفاحاً .
فترك هذه المهمة البغيضة لك ،
وأبى البحر العباب أن يغرقنى فى لجته
لأنه كان يعلم أنك سوف تغرقنى على الشاطئ .
فى بحر أجاج من دموعى لجمودك ،
وأبت الصخور الناتئة تلك ، الرابضة فى الرمال الغائرة ،

والتى تهشم السفن التى ترتطم بها ،
أبت هى الأخرى أن تحطم سفينتى بشعابها الناتئة .
لتتيح لقلبك الصخرى الذى هو أشد قسوة منها ،
أن يحطم إليانور ويقضى عليها فى قصرك . . .
وإنى لأذكر أنى حالما لمحت من بعيد صحور بلادك الجيرية .
وردتنى العاصفة عن شاطئك .
وقفت على ظهر السفينة وسط الأنواء .
فلما أظلمت السماء وحرمتنى
نعمة التطلع إلى شاطئ بلادك .
نزعت من جيدى جوهرة نفيسة ، كانت على صورة قلب ملبس بالماسات ،
وألقيت بها فى البحر صوب بلادك ، فتلقاها البحر .
وودت ساعتئذ أن تتلقى أنت على هذا النحو قلبى ،
وبالرغم من ذلك ، فقد غاب عن ناظرى شاطىء إنجلترة الجميل .

فقلت لعيني كوناً مع قلبي ،

وقلت لهما يا لكما من ناظرين عشيهما العمى والظلام .

وإلا فكيف متهد شاطئ إنجلترة المنشود يغيب عنكما .

ولطالما أغريت سافوك رسول تقلبك الغادر ،

أن يجلس إلىّ وأن يسحرنى بلسانه وحديثه كما سحر « إسكانيوس[1] » ديدو

عند ما جلس إليها ، بلسانه وحديثه الأخاذ .

وهو يفضى إليها بحديث حروب أبيه التى بدأت بإحراق طروادة .

أو لم تر أنى سُحِرت كما سُحرت
وأنك أنت خداع مثله ؟

---

(١) آسكانيوس ابن إينياس فى الإنياده لفرجيل وإينياس لا ابنه هو الذى يقص على ديدو Dido أميرة « صور » ومؤسسة قرطاجنة . لقد استضافت إينياس بعيد فراره من طرواده وأحبته ثم انتحرت لما هجرها انتحاراً شاداً على حطب كانوا يحرقون عليه جثث الموتى .

بلى! لست أقدر على شيء أكثر مما قلت.
فلتموتى يا إليانور
فإن هنرى يذرف الدمع لأنك عشت إلى هذا اليوم.

(ضجة من الخارج ثم يدخل وريك وسالسبورى ووراءهم كثير من العامة يتعقبونهما حتى الباب)

وريك : ذاع أيها الملك العظيم
أن دوق همفرى الصالح قتله غدراً
سافوك والكاردينال بوفورت ،
فانتشر العامة فى كل مكان ، كخلية نحل هائجه ،
منتشرين هنا وهناك يطلبون زعيمهم ،
لا يبالون من يلسعون أخذاً بثأره ؛
وقد هدأت بنفسى ثورتهم الغاضبة
بأن قلت لهم تريثوا حتى تتحققوا من نبأ مصرعه.

الملك : أما أنه مات يا وريك فهذا صحيح.
أما كيف مات فعلم ذلك عند الله وليس عند هنرى :

ادخل مخدعه وانظر جسده الهامد،
ثم اكشف عن موته المفاجئ .
هذا ما سأفعله يا مولاى (عند الباب) ابق أنت يا سالسبورى
مع الجماهير الهائجة حتى أعود .
(يدخل إلى الحجرة الداخلية)

الملك · إلهى يا من بيده تصريف الأمور ، اكبح جماح ظنونى ،
ظنونى التى تحاول إقناعى
بأن يداً غادرة اغتالت حياة همفرى !
إن تكن ظنونى آثمة ، فاغفر لى يا ربى،
فإن الحكم لك أنت وحدك .
إلا ما أشد شوقى لأن أدخل إليه وأدفئ
شفتيه الباهتتين بالآلاف من قبلاتى ،
وأغمر وجهه بفيض من دمعى الأجاج ،
وأبث حبى جسده الأبكم الأصم ،
وأتحسس بأصابعى راحته الهامدة !
ولكن ما جدوى هذه الطقوس التافهه ؟

فليس وراء النظر إلى جسده المسجى وصورته
الدنيوية الفانية
إلا زيادة حزنى وشجنى ؟

(يعود وريك ويسحب الستر جانباً عن جثة جلوستر
مسجاة على فراش)

وريك : تعال إلى هنا . مولاى الكريم . وألق نظرة على
جسده .

الملك : لكأنما تريدنى أن أنظر إلى أى عمق حفر لحدى .
لقد طار مع روحه كل مالى من السلوى والعزاء ،
فإذا ما أبصرته لكأنما أبصر نفسى فى لحدى .

وريك : مولاى إنى لأومن أن يد الغدر قد امتدت
إلى حياة هذا الدوق المثلث الأمجاد فاغتالتها .
كإيمانى بأن روحى تسعى لأن تحيا مع الملك
الجليل السيد المسيح
الذى أخذ على عاتقه أن يرفع عنا لعنة الله وغضبه .

سافوك : إنه لقسم رهيب على لسان رجل حقير !
فأى دليل لدى اللورد وريك ، على صحة هذا
القسم ؟

وريك : انظر كيف احتبس الدم فى وجهه ؟
فلطالما رأيت أناساً فارقتهم الروح فجأة .
فكان لونهم كلون الرماد مهزولين .
ووجوههم شاحبة وقد غاض دمهم
لتسربه كله إلى القلب الخفاق . وهو يصارع
الموت
فيجتذب الدم ليستعين به
فى صراعه مع هذا العدو ،
ولا يلبث هذا الدم أن يجمد فى القلب ولا يعود
إلى الخدود ليوردها ، ويزينها كما كانت .
ولكن انظر إلى وجه جلوستر تره أسود محتقناً بالدم ،
جحظت حدقتاه أكثر مما كانتا وهو حى ،
تحملقان ببشاعة . كعينى رجل مخنوق ،
وقد انتصب شعر رأسه ، واتسع منخراه ، من
عنف الجهاد .
وانبسطت يداه وامتدتا كيدى رجل يتشبث
بأى شىء
إمساكاً على الرمق ، ولكن القوة غلبته على أمره .

تأمل ، ألا ترى شعر رأسه وقد التصق بالملاءة
ولحيته المنسقة وقدصارت خشنة شعثاء كسنابل القمح مزقتها العواصف ؟
هذا كله يقطع بأنه قتل هنا
وأقل هذه الظواهر شأناً تنبئ بذلك .

سافوك : ويك يا وريك ومنذا الذى أقدم على قتل الدوق؟
لقد كان فى حراستى أنا وبوفور ،
وكلانا ، فيما أرجو ، ليس من القتلة .

وريك : لكن كلا كما كان عدواً لدوداً للدوق همفرى ؛
وفى الحق أنه كان عليك أن تحرس الدوق الصالح ،
ولم يكن من المتوقع أن تعامله معاملة الصديق .
ولكن واضح جداً أنه لقى فيك العدو اللدود .

الملكة : إذن أنت تميل إلى الشك فى هذين السيدين ،
وتراهما المسئولين عن موت الدوق همفرى قبل أوانه ؛

وريك : منذا الذى يرى العجلة مذبوحة والدماء تنزف منها ساخنة ،

ثم يرى قصاباً إلى جانبها وبيده السكين .
ثم لا يعتقد أن هذا القصاب هو الذى قام بالذبح ؟
ومنذا الذى يجد « الحجل » فى عش الصقر
فلا يدرك كيف مات العصفور .
مهما حلق الصقر فى الفضاء
بمنقار خلا من الدم ؟
كذلك تثير الشكوك والشبهات هذه المأساة . .

الملكة : أأنت القصاب يا سافوك؟ إذن فأين مديتك ؟
وهل نعت بوفور [1] بالصقر الوضيع؟ إذن فأين مخالبه ؟

سافوك : مثلى لا يحمل مدية يذبح بها النائمين ،
ولكن بيدى سيفاً منتقماً أصدأه البقاء فى غمده ؛
سأغمده فى القلب الحقود
الذى وصمنى بوصمة سفاحى الدماء .

---

(١) Beaufort

قل إن جرؤت أيها اللورد المتعجرف لورد ووركشير ،
قل إنى أنا المتهم فى وفاة الدوق همفرى .
(يرخى الكاردينال الستار ثم يخرج)

وريك : وماذا الذى لا يجرؤ عليه وريك ،
إذا كان سافوك الخائن هو الذى يتحداه ؟

الملكة : إنه لا يجرؤ أن يهدئ من سفاهة طبعه
ولا أن يكف من غطرسته على الناس .
ولو تحداه سافوك عشرين ألف مرة .

وريك : إلزمى الهدوء ، يا مولاتى . واسمحى لى أن أقول لك بكل احترام ،
إن كل حرف تنطقين به لصالحه
لهو عار يشين جلالك الملكى .

سافوك : يا لك من فدم خشن سيئ الأدب !
إن تكن هناك سيدة أسرفت فى خيانة مولاها فهى أمك :
لقد اصطحبت إلى فراشها الآثم

فلاحاً غليظاً جافى الطبع فطعمت الأصل النبيل
بالبذرة السوقية الجلفة فكنت أنت الثمرة ،
فلست من آل نيفل الكرام فى شىء .

وريك : لولا أن جريمة القتل محيقة بك ،
ولولا أنى إن قتلتك سلبت الجلاد أجره
لأنه يكون قد خلصك من عشرة آلاف عار
وخزى ،
ولولا أن حضرة الملك تلزمنى المسالمة ،
لجعلتك ـ أيها السفاك الرعديد الزائف ، تجثو
على ركبتيك ،
وتلتمس الرحمة لما بدر منك من قول ؛
وتعترف بأن أمك هى التى عنيت بهذا القول ،
وأنك أنت الذى ولدت سفاحاً ،
ولأوقعت بك ، بعد أن تنتهى من الاعتذار المذل ،
العقاب الذى تستحقه ، فأرسلت بروحك إلى
الجحيم ،
أيها الغادر الذى يمتص دماء النائمين .

سافوك : أما أنت فستكون متيقظاً حين أسفك دمك

لو جرؤت على أن تخرج معى من هذه الحضرة.

وريك : هيا اخرج الآن وإلا جررتك من هنا جرا .
سأنازلك وإن لم تكن لى ندا .
لكى أؤدى بذلك حقاً لهامة الدوق همفرى

(يخرج سافوك ووريك ويتبعهما الجميع عدا الملك والملكة)

الملك : أى درع أقوى من القلب البرىء ؟
إن الشريف فى خصومته يحصن بدروع مدرعة .
أما الذى أفسد البغى ضميره .
فهو كالأعزل العارى وأن تدرع بالفولاذ .

(ضجة من الخارج)

الملكة : ما هذا الضجيج ؟

(يدخل سافوك ووريك وقد شهرا سيفيهما)

الملك : ما هذا أيها اللوردات أتشهرون سيوفكم الخانقة فى حضرتنا ؟
ما هذه الجرأة علينا ؟ وفيم هذه الضجة الصاخبة التى نسمعها هنا ؟

سافوك : إنه وريك الخائن ومعه رجال بلدة « برى »

يحملون على جميعاً يا مولاى العظيم .

(يدخل سالسبورى)

(موجهاً الحديث إلى العامة خارج الباب)

سالسبورى : أيها السادة تنحوا عن الباب وسيستمع الملك إليكم

(يتراجعون)

مولاى الملك المهيب ! إن الجماهير حملتنى
رسالة إليك :
إنه إذا لم يقض على اللورد سافوك بالموت فوراً ،
أو ينفى من أرض إنجلترة الحبيبة
فإنهم سينتزعونه قسراً من قصرك ،
ويعذبونه بأن يفرضوا عليه موتاً بطيئاً قاسياً .
وهم يقولون إن الدوق همفرى لقى حتفه على يديه
وإنهم يخشون أن يكون حتفك على يديه أيضاً ،
يا مولاى ،
وهم يتذرعون بفطرتهم القائمة على الحب والولاء لك ،
وبأن نفوسهم قد برئت من كل رغبة ومن كل مكابرة ،
وخلصت من شبهة فى معارضة لرغباتك .

لتبرير جرأتهم فى طلب نفيه .
يقولون إنهم يفعلون ذلك حرصاً على سلامة
ذاتك الملكية .
فلو أن جلالتك اعتزمت أن تنام .
وأمرت ألا يقلق أى إنسان راحتك :
وإلا تعرض لغضبك ، أو للموت عقاباً .
فإنهم ، على الرغم من صرامة هذا الأمر .
الذى تكونون قد أمرتموهم به ،
إذا رأوا ثعباناً مشقوق اللسان يزحف فى خبث
ودهاء نحو جلالتك .
لم يكن لهم بد من إيقاظك ،
خشية أن يكون فى تركك مستغرقاً فى هذا
النوم الضار
ما يتيح للثعبان أن يجعل نومك أبدياً ،
سيضطرون لأن يصيحوا بك ليوقظوك رغم
منعك إياهم ،
لأنهم يفعلون ذلك ليحموا جلالتك ، أردت
أو لم ترد . ،

من أمثال هذه الثعابين الضارية التى تشبه فى
رياءها وخداعها سافوك
ذلك الثعبان الغادر الذى يقولون إن لدغته السامة
القاتلة

هى التى انتزعت الحياة فى نذالة
من عمك الذى يفوقه قدراً عشرين مرة .

العامة : (من الخارج) نريد جواباً من الملك يا سيدى
اللورد سالسبورى

سافوك : هذا شأن العامة . وهم الفلاحون غلاظ الطبع ،
أن يبعثوا بمثل هذه الرسالة إلى مولاهم الملك .
أما أنت يا سيدى اللورد فقد سرك أن تستخدم
فى مثل هذه المهمة

لتريهم أى خطيب مصقع أنت .
ومهما يكن من شىء فإن كل الشرف الذى
كسبه سالسبورى

هو أنه أصبح السيد السفير
الذى أرسله خساس السوقة إلى الملك ،

العامة . : (من الخارج) نريد جواباً من الملك أو نقتحم جميعاً الباب .

الملك : اذهب يا سالسبورى وأبلغهم جميعاً عنى
أنى شاكر لهم هذه العناية الرقيقة الحبيبة ،
وأنه لولا استحثاثهم إياى على هذا النحو ،
لسبقتهم إلى إنجاز ما يلتمسون ،
فإن ظنونى لتتنبأ لى فى كل ساعة
بما أوقن معه أن كارثة ما ستحل ببلادى نتيجة ما يديره سافوك ،
ولذلك فأنا أقسم بذى الجلالة ،
وما أنا إلا أداته الضعيفة على هذه الأرض ،
بأنه لن يسمح لسافوك أن ينفث سمومه فى هذا الجو
أكثر من ثلاثة أيام ليس غير ، وإلا تعرض للموت .

(يخرج سالسبورى)

الملكة : أيأذن لى مولاى هنرى فى أن أشفع لسافوك النبيل .

الملك : يا لك من ملكة غير نبيلة إذ تصفين سافوك بالنبيل
حسبك أذن أن تعرفى أنك إن تشفعت له .
فلن تفعلى أكثر من أن تزيدى غضبى عليه .
ولو أن الأمر كان مجرد كلمة قلتها لتمسكت بها .
فكيف وقد أقسمت . لقد أبرم الأمر ولن يقبل نقضاً .
(إلى سافوك) لو أنك وجدت بعد ثلاثة أيام هنا
على قطعة من الأرض تخضع لحكمى .
فإن العالم كله لن يكفينى فدية لحياتك .
تعال معى . يا وريك ، هلم أى وريك الكريم .
فإن لدى أموراً هامة أفضى بها إليك .
(يخرجان تاركين وراءهما الملكة وسافوك)

الملكة : فليسر فى ركابكما الحزن والنحس
وليكن عذاب القلب والألم المرير .
رفيقى لهوكما ومؤنس وحشتكما ،
إنكما اثنان فليكن الشيطان ثالثكما !
وليحرس الانتقام المثلث خطواتكما .

سافوك : كفى أيتها الملكة الكريمة عن هذه اللعنات ،

وأذنى لسافوك أن يودعك الوداع الحزين .

الملكة : تبأ لى من امرأة جبانة خائرة القلب تعسة .
أما لك جرأة لتلعن عدوك ؟

سافوك : فليحل بهم الطاعون ، ولكن لم ألعنهم ؟
أتقتل اللعنات كما تقتل وخزات النبات السام
من ينزع جذوره ؟
إن يكن دلك فلا بدعن عبارات لاذعة ، مريرة ،
خبيثة ، جافية ، مروعة ، يتأذى منها السمع ،
ولأرسلنها قوية من بين أسنانى الجامدة ،
ولأتبعنها بالمزيد من الإشارات التى تحمل البغض المميت ،
كما يفعل الحاسد ذو الوجه الناحل فى كهفه الكريه ،
ولأجعلن لسانى يتعثر تحت كلماتى الحارة المتدافعة ،
ولتومضن عيناى كما يومض الزناد حين يُقْدح ،
وليقف شعر رأسى كما يقف شعر المخبول ،
أجل إن كل جارحة فىّ سوف تلعنهم وتدعو عليهم بالحرمان :

وإن قلبي المثقل بالهموم لسوف ينفجر حالا
إذا أنا لم أصب عليهم اللعنات . . ألا فليكن
السم الناقع شرابهم ،
وليكن الحنظل بل ما هو أمر منه أطيب
ما يتذوقون !
ولتكن أشجار السرو (*) المنحوسة أحب الظلال
التي تظللهم !
ولتكن الأفاعي ذات النظرة القاتلة خير
ما يلقون !
وليكن أنعم ملمس يلمسونه لسعات الورل !
وليكن فحيح الأفاعي موسيقاهم ،
ونعيق البوم المشئوم طربهم !
ولتحل بهم كل المخاوف الرهيبة التي في الدرك
الأسفل من جهنم .

الملكة : كُفَّ أيها العزيز سافوك ، إنك بهذا تعذب
نفسك
وهذه اللعنات الرهيبة التي تصبها عليهم
قد تنعكس عليك كالشمس يعكسها الزجاج ،

(*) شجر السرو يزرع في المقابر بكثرة ويظلل الموتى .

أو قد ترتد فى صدرك كالبندقية المحشوة
التى تزيد شحنتها فتنطلق إلى الوراء .

سافوك : لقد أمرتنى أن ألعنهم ، فهل تأمريننى أن أكف عنهم ؟
وحق هذه الأرض التى أقصيت عنها ،
إن فى وسعى أن أصب اللعنات طوال ليلة شتاء طويلة
وأنا واقف عريان على قمة جبل ،
حيث البرد القارس يحول دون نمو العشب ،
فلا تمر بى إلا كساعة أقضيها فى اللهو واللعب .

الملكة : أتوسل إليك أن تكف . . وناولنى يدك
لأبللها بدموعى الحارة
وأدع السماء ألا تغسل بأمطارها هذه البقعة ،
حتى لا تنمحى منها شواهد ذكرياتى الحزينة .
آه ليت هذه القبلة انطبعت على يدك .
لتذكرك هذه القبلة بهذه الشفاه الوفية
التى ترسل آلاف التنهدات حسرة عليه ،
دعنى الآن واذهب كى أدرك مبلغ حزنى عليك ،

فليس فى وسعى أن أدركه وأنت على جانبى .
كمن يسرف فى الأكل مخافة أن يجوع ،
يتألم من التخمة لا من الجوع ،
سأعمل على عودتك ، وإلا فكن على يقين
أنى سأخاطر حتى أننى أنا الأخرى ،
وهأنذى قد نفيت إذ حيل بينى وبينك ،
اذهب ولا تخاطبنى . . . اذهب حالا ،
لا . . . لا تذهب الآن
إن الصديقين وإن حكم عليهما بالفراق هكذا ،
يودع كل منهما الآخر بالعناق والقبلات ،
ويطيلان وقفة الوداع .
إن الفراق لأشق على النفس مائة مرة وأبغض من الموت ،
ومع ذلك فوداعاً . . ووداعاً يا حياتى معك !

سافوك : هكذا نفى سافوك البائس عشر مرات بهذا ،
مرة من الملك وثلاث مرات فى ثلاث منك
ولست أبالى بأى أرض حللت ، لو أنك كنت معى ؛
فالصحراء المقفرة تصبح آهلة بالسكان ؛

إذا حظى فيها سافوك بصحبتك القدسية .
فحيثما تكونين تكن الدنيا بأسرها
ويكن السرور والنعيم كله .
وحيث لا تكونين يكون الخراب .
لست أقوى على أكثر مما قلت ، فعيشى وانعمى بحياتك .
أما أنا فغاية سرورى أن أعلم أنك تنعمين بالحياة .

(يدخل فو)

الملكة : إلى أين يجد فو السير مسرعاً ؟ ناشدتك الله ما وراءك ؟

سافوك : أسارع لأعلن الملك
أن الكاردينال بوفور على شفا الموت ،
فقد أصيب فجأة بمرض خطير ،
جعله يلهث ويحملق ويقبض الهواء ،
ويجدف فى حق الله ، ويلعن أهل الأرض جميعاً .
فهو يتكلم أحياناً كما لو كان شبح الدوق همفرى إلى جانبه . . ،

وأحياناً ينادى الملك ،
ويهمس إلى وسادته كأنما يهمس إلى الملك ،
بالأسرار التى تنوء بروحه .
وأنا مرسل الآن إلى الملك لأبلغه
أنه لا يزال حتى الساعة يصيح طالباً رؤيته.

الملكة : عجل إذن بابلاغ الملك هذه الرسالة الحزنة .
(يخرج فو)

: و يلى ما هذه الدنيا ! وأية أنباء تلك !
أينسينى هذا نفى سافوك حبيب الروح ؟
مالى أجزع من أجلك وحدك يا سافوك
وأشارك ريح الجنوب فى دموعها !
وهى تمطر المطر لتزيد الأرض بهجة ، وأنا
أبكى لفرط حزنى .
هلم غادر هذا المكان وإن الملك قادم كما تعلم ،
وإن وجدك هنا كان الموت مصيرك .

سافوك : لو فارقتك فلا قبل لى بالعيش من بعدك ،
وإذا مت فى جوارك كان الموت
مجرد إغفاءة لذيذة ورأسى على حجرك ،
حيث ألفظ أنفاسى فى خفة ورقة ،

كالطفل الرضيع يموت وثدى أمه بين شفتيه .
أما إن جاءنى الموت بعيداً عن رؤيتك .
فستتملكنى ثورة جنون .
وأظل أناديك بأعلى صوتى لتغمضى عينىّ ،
ولتسكتى بشفتيك فمى عن الصياح .
وعندئذ إما أن تعيدى إلىّ روحى ،
وإما أن ألفظها فى جسدك ،
حيث يحيا أبداً فى النعيم الأبدى .
لئن مت إلى جانبك فكأنى لم أمت ،
أما إن مت بعيداً عنك فهذا هو العذاب الأشد من الموت .
أواه دعينى أبق وليكن ما يكون .

الملكة : بل اذهب فلئن كان الفراق يبرى الفؤاد ،
فإنه كالدواء للتداوى من جرح مميت .
فاذهب إلى فرنسا . أيها العزيز سافوك .
وأرسل إلى رسائلك .
فأينما كنت على ظهر هذه البسيطة
فسأجد نجماً هادياً يرشدنى إليك .

سافوك : سأذهب .

الملكة : اذهب وخذ قلبي معك (تقبله)

سافوك : يا لها من جوهرة غالية احتواها أحقر صندوق

أطبق على ذخر نفيس . ها نحن هذان نفترق

كسفينة شقهاالصخر نصفين !

فهأنذا آخذ الطريق إلى الموت ،

الملكة : وإنه لطريقي أيضاً .

(يفترقان)

الفصل الثالث

المنظر الثالث

مخدع

يدخل الملك وسالسبورى إلى الكاردينال وهو فى فراشه

الملك : ماذا بك يا سيدى اللورد؟ كلم يا بوفور مليكك .
الكاردينال : إن تكن الموت فسأهبك من كنوز إنجلترة
ما يكفيك لشراء جزيرة أخرى مثلها
على أن تتركنى أعيش لا أحس بألم
الملك : آه هذه علامات حياة ملئت بالإثم
فكلما اقترب الموت رآه مثل هذا الإنسان بشعاً مرعباً !
وريك : بوفور ، إن الذى يتحدث إليك هو مولاك الملك .
الكاردينال : قدمونى للمحاكمة متى شئتم .
ألم يمت فى فراشه ؟ أين إذن كان ينبغى أن يموت ؟
وهل كان فى وسعى أن أجعل الناس تعيش ،

أرادوا أو لم يريدوا ؟
لا تعذبونى أكثر من ذلك . . . سأعترف .
هل عادت إليه الحياة ؟ إذن أرونى مكانه .
سأدفع ألف جنيه لألقى عليه نظرة .
ليست له عينان لقد أعماهما التراب .
رجلوا شعره ! انظروا . . انظروا إن شعره يقف ،
كأنما هو أعد ليكون شركاً لاصطياد
روحى الصاعد .
أعطونى شراباً وارجوا الصيدلى
أن يحضر السم الزعاف الذى اشتريته منه .

الملك : إلهى يا فاطر السموات الأبدى ،
انظر بعين الرحمة إلى هذا التعس ،
واطرد هذا الشيطان الدخيل
الذى يسد المسالك أمام روحه المعذب ،
وطهر صدره من هذا اليأس القاتل !

وريك : انظر يا مولاى كيف تجعله غصة الموت
يكشف عن أسنانه .

سالسبورى : لا تقلقوه . . . ذروه يمض بسلام .

الملك : فلينزل السلام على روحه إذا شاء الله .

أيها الكاردينال ، إذا كنت تأمل فى رحمة الله ،
فارفع يدك علامة على أملك فى الله .
إنه يموت دون أن يرفع يده . . . اغفر له يا رباه .

وريك : يا لها من ميتة شنيعة تدل على حياة آثمة .

الملك : إياكم والحكم فكلنا مذنبون ،
اغمضوا عينيه وأسدلوا الستر ،
ولنذهب جميعاً للصلاة .

(يخرجون)

الفصل الرابع

المنظر الأول

ساحل كنت

(صيحات حرب . . قتال فى البحر . . . ينطلق مدفع . . . يدخل ملازم وربان سفينة ومساعده وولتر[١] ويتمور وحوده ومعهم سافوك متخفياً وبعض الأسرى من السادة) .

الملازم : انطوى النهار بزخرفه وثرثرته ووخز ضميره ،
حتى استقر فى جوف اليم ؛
وأيقظت الذئاب العاوية بأصواتها التنين العظيم ،
الذى لم يلبث أن جر وراءه الليل الحزين الكئيب ،
ودعا الليل الموتى من قبورهم .
فأخذوا يتثاءبون وينفثون فى الهواء
الظلام المعدى السام من بين فكاكهم القاتمة .
هلموا إذن وأحضروا الأسرى

---

(١) الاسم الأصلى ووتر (معناه الماء بالإنجليزية) ويريد سافوك أن يتهرب من النبوءة بتغييره إلى جوتير .

هنا ليدفعوا الفدية على هذه الرمال ،
ما دامت سفينتنا ستبقى راسية عند شرق كنت[١]
أو نلطخ بدمائهم رمال هذا الشاطئ الشاحبة .
أيها الربان هذا الأسير لك ، أهبك إياه بلا مقابل
وأنت يا مساعده انتفع بهذا الأسير غنيمة .
أما هذا الأخير فهو من نصيبك أنت يا ووتر ويتمور .

السيد الأول : كم تكون فديتي أيها الربان ، عرفني ؟

البحار : ألف جنيه وإلا أطحت رأسك .

المساعد : ومثل هذا القدر ستدفع أنت أيضاً وإلا طار رأسك .

الملازم : ماذا أتستكثران دفع ألفين من الجنيهات
وأنتما تحملان اسم الشرفاء وسمتهم ؟
اضربوا عنق هذين الوغدين ، فجزاؤهما الموت ،
ولنفد أرواح الذين فقدناهم فى القتال
ولو كان ذلك بهذا الفداء الحقير !

---

(١) فى الأصل Downs وهو مكان داخل فى الشاطىء الشرقى من ولاية كنت وهو مرسى معروف للسفن .

السيد الأول : سأدفع الفدية يا سيدى فأبق على حياتى .

السيد الثانى : وسأدفعها أنا أيضاً وسأكتب لأهلى فى طلبها فوراً .

ويتمور : (لسافوك) لقد فقدت عينى فى المعركة
وأنا أقترب بسفينتى من سفينتك لنستولى عليها ،
ولا بد أن أثأر بقتلك لعينى المفقودة .
بل ولا بد فداء لعينى أن يقتل هؤلاء أيضاً إذا كان الأمر بيدى .

الملازم : لا تتهور ! خذ الفدية ودعه يعش .

سافوك : انظر إلى وسام سان جورج الذى أحمله على صدرى لتدرك أننى سيد .
ولك أن تقدر فديتى كما شئت فستؤدى إليك .

ويتمور : وأنا سيد كذلك ، إن اسمى وتر ويتمور
ما بك يا رجل ؟ ولم تتلوى من الألم ؟ هل يخيفك الموت ؟

سافوك : اسمك هو الذى يرعبنى فإن فى رنينه الموت .
لقد حسب لى منجم بارع طالعى
فأنبانى بأنى بالماء سوف أموت :
واسمك معناه الماء . ومع ذلك فأرجو ألا تجعلك

هذه النبوءة تصمم على الدماء . .
فإن اسمك جوتير إذا أحسن النطق به .

ويتمور : جوتير أو ووتر سيان ، فليس يعنيني أيهما أكون
ذلك أن اسم بيتنا لم يلطخه العار أبداً ،
وسيوفنا مشرعة بأيدينا ، تمحو كل وصمة .
فلو بعت ثأرى بيع التجار
لاستحققت أن يتحطم سيفى وأن تتمزق دروعى وأن يجللها العار ،
وأن أدعى فى جميع أنحاء العالم الجبان الرعديد .

سافوك : على رسلك يا ويتمور فإن أسيرك أمير ،
هو دوق سافوك وليام دى لا پول ،

ويتمور : دوق سافوك ملتف بالأسمال ؟

سافوك : نعم . ولكن الأسمال ليست جزءاً من الدوق .
إن الاله نفسه كان يتجول متنكراً فى بعض الأحيان ،
فلم لا أتنكر أنا الآخر ؟

الملازم : ولكن الإله جوبتر لم يذبح — كما ستذبح أنت

سافوك : أيها القروى الخسيس القذر ، إن دم الملك هنرى

دم أسرة لانكستر النبيل ليس لوضيع مثلك أن يسفكه .

ألم تقبل يدى وتمسك بركاب جوادى
عارى الرأس وأنت تهرول إلى جانب جُله
وقد تدلى على الأرض[١] .
وغاية أملك ، ومنتهى سعادتك ، أن أومئ برأسى إليك ؟

لطالما خدمتنى على الشراب
وطعمت من طعامى الفاخر ، وجثوت على الأرض
ساعة أتناول الطعام مع الملكة مرجريت .
تذكر كل هذا وطأطئ رأسك ،
وخفف من هذه الغلواء الشائنة ، التى ليست فى موضعها ،
وتذكركم وقفت فى أروقتنا ، ضارعاً تنتظر مقدمى .
إن هذه اليد قد امتدت إليك بالإحسان ؛
ومن ثم فهى ستخرس لسانك المتطاول البذىء

---

(١) كان يفرش تحت السرج ثوب يتدلى من الحصان على الأرض علامة على الشرف والجاه واسمه بالعربية « جل » .

ويتمور : تكلم أيها الملازم أأطعن هذا القروى الحقير ؟
الملازم : دعنى أطعنه بلسانى كما طعننى بلسانه بادئاً .
سافوك : كلماتك مفلولة مثلك أيها العبد الوضيع .
الملازم : احملوه من هنا ؛ واقطعوا رأسه على جنب أكبر مراكبنا .
سافوك : إنك لن تجرؤ على ذلك خوفاً على سلامتك .
الملازم : أجل يا بل[1] .
سافوك : بل پول الملازم
الملازم : السيد پول! أو اللورد پول!
ويك أيتها البؤرة القذرة ، والمستنقع النتن ، والبالوعة الدنسة .
إن قذرك ونجسك ليعكر الينبوع الصافى الذى تشرب منه إنجلترة .
لأسدن فمك المتثائب هذا ،
جزاء التهامك ثروة البلاد ؛
ولأمرغن فى الثرى هذه الشفاه التى قبلت بها الملكة .

---

(١) تورية حول لفظة Pole و Pool اسم علم ، وبركة ، فأنزلت إلى بؤرة ومستنقع إلخ . . .

وأنت يا من فغرت فاك باسما لموت الدوق همفرى
الكريم ،
لسوف تفغر فاك عبثاً فى وجه الرياح القاسية
التى تصفر وتزأر من مطلبك فى زراية واحتقار ،
وليكن إعراسك بكل عجوز شمطاء من
زبانية جهنم
جزاء اجترائك على تزويج الملك العظيم من
ابنة ملك حقير ،
لا شعب له ، ولا ثروة ، ولا تاج .
لقد صعدت إلى مراقى العظمة بمؤامرات
خسيسة .
وبشمت كما بشم الإمبراطور «سلا»[1] الجشع
بازدراد ملذات من قلب أملك الدامى .
لقد بعت أنت « أنجو » و « مين » إلى فرنسا ،
وبعون منك استنكف النورمانديون الثائرون
المنافقون أن يدينوا لنا بالسلطان .

(١) سلا هو كرنيليوس سولا الدكتاتور الرومانى الأهوج القاسى. وهذا تحريف فى هجاء الاسم معروف فى العصر الإليزابيثى وخطأ فى تلقيبه « إمبراطوراً » .

وذبحت « پكاردى »[1] حكامها وأخذت قلاعنا على عرة ،
ورُدت جنودنا المنهوكة جرحى إلى أرض الوطن .
لقد هب وريك النبيل ومن ورائه آل نيفل جميعاً ،
وامتشقوا الحسام وما شهرت سيوفهم المهيبة يوماً لغير ما سبب ،
كل ذلك من شدة بغضهم لك .
والآن فى عروق يورك الذى نحى عن العرش
بالقتل الغادر لملك برىء . وبالغصب القاهر المتجبر
يغلى دم الثأر . لقد نشروا ألويتهم المستبشرة
تحمل فى وجه الشمس المحجبة لتشرق هى دونها ،
وقد كتب تحتها « سأشرق رغم السحاب » .
ولقد هبت العامة هنا فى كنت وجردوا أسلحتهم ،

(١) Picardy

وخاتمة الكوارث أن العار والذلة زحفتا على قصر مايكنا،
كل ذلك بسببك أنت . . . هيا احملوه من هنا . . !

ساوك : ليتني كنت إلهاً فأرسل الصواعق
على رؤوس هؤلاء العبيد المناكيد الأدنياء السفلة،
إن صغار الأمور تجعل الأدنياء متكبرين متعجرفين
فهذا الوغد يتهدد ويتوعد أكثر من تهديد
بارجولوس قرصان[1] «إلليريا» الفتاك، وليس هو
إلا قائد سفينة صغيرة .
إن الزنابير يا هذا لا تمتص دماء النسور ،
ولكنها تسطو على خلايا النحل .
ومحال أن أموت على يد تابع حقير مثلك .
إن كلماتك تثير غضبي ولكنها لا تحملني على الاستسلام

---

(١) قرصان مشهور في عصر شيشرون .

إنى أحمل رسالة من الملكة إلى فرنسا :
وإنى آمرك أن تنقلنى بسفينتك فى سلام وأمن
عبر المضيق .

الملازم : ووتر

ووتر : هلم يا سافوك فإن على أن أنقلك إلى مصرعك .

سافوك : لقد ضعت ، وقضى الأمر ، وتمشت رعدة
الخوف فى مفاصلى : . . .
أنت وحدك الذى أخشاه

ويتمور : سيكون لك ما يدعوك إلى الخوف قبل أن
أتركك . . . ماذا!
هل غلبت على أمرك الآن وبدأت تنحنى ؟

السيد الأول : سيدى اللورد الكريم التمس منه العفو ، وخاطبه
بلطف .

سافوك : إن لسان سافوك الملكى شديد مر تعود الأمر ،
ولم يألف أن يرجو ويستعطف .
هيهات أن نشرف أمثال هؤلاء بالضراعة والدعاء .
إنى لأوثر أن يطاح برأسى ،

ولا تنثنى ركبتاى لأحد سوى ربى وملكى .
ولأكرم لى أن أترنح فوق مهند قتال ،
من أن أنزع قبعتى أمام تابع سوقى .
إن الشريف الأصيل لا يعرف الخوف ؛
وفى وسعى أن أصبر . وأحتمل أكثر مما يمكن أن يوقعوا بى .

الملازم : اسحبوه من هنا وأخرسوا لسانه حتى لا يعاود الكلام .

سافوك : هلموا ، أيها الجنود ، أرونى أقصى ما تستطيعون من قسوة ،
حتى لا ينسى موتى هذا أبداً !
فكثيراً ما اغتال العظماء السفلة المتسولون ،
فقد قضى « تَلى[1] » النبيل
بيد سياف رومانى . . وعبد من قطاع الطريق ،
و « يوليوس[2] قيصر » طعنته يد السفاح بروتس الأثيمة .

---

(١) تلى – اسم لشيشرون الخطيب الرومانى المعروف (Tully)
(٢) ويوليوس قيصر وبروتس : إمبراطور روما المعروف وبطلها .

و « پومبی [١] العظيم » قتله المتوحشون من سكان الجزر .

وهذا سافوك يموت بأيدى القراصنة .

(يجره ويتمور وآخرون إلى الخارج)

الملازم : أما أولئك الذين اتفقنا على فديتهم ،

فإنا نأمر بأن يرحل أحدهم .

أما أنت ، فتعال معنا ، ودع الآخر يذهب .

(يرحلون جميعاً عدا السيد الأول)

(يعود ويتمور ومعه جثة سافوك)

ويتمور : فليظل هنا هذا الرأس وليرقد هنا هذا الجسد الهامد ،

حتى تدفنه خليلته الملكة .

(يذهب)

السيد الأول : يا له من منظر وحشى دموى !

لأحملن جسده إلى الملك :

فإن لم ينتقم له فسينتقم له أصدقاؤه ،

وستنتقم له الملكة ، التى كانت تحبه فى حياته.

(يحمل الجثة ويخرج)

---

(١) پومبی العظيم . Pompey

الفصل الرابع

المنظر الثانى

بلدة « بلاك هيت »

يدخل بيفز وجون هولاند

بيفز : هيا واتخذ لك حساماً ، ولو من خشب ،
فقد هب الجميع هذين اليومين .

هولاند : ما أحوجهم إلى المجوع الآن ، إذن .

بيفز : أقول لك إن جاك كيد بائع الملابس
ينوى أن يلبس الدولة لباساً جديداً ،
وأن يغير طرازها و يصقل حواشيها .

هولاند : ما أحوجها إلى ذلك فقد بليت ثيابها .
والحق أقول إن الحالة فى إنجلترة لم تعد تسر
مذ حلت بها طبقة السادة .

بيفز : تعساً له من عهد لا يقر فيه بفضل لأصحاب الحرف .

هولاند : إن السادة يسخرون من الذين يلبسون رداء الصانع .

بيفز : والأدهى من ذلك أن مستشارى الملك أصبحوا لا يحسنون حرفتهم .

هولاند : هذا صحيح ومع ذلك « يقال اعمل بنشاط فى حرفتك . »

وهذا معناه أن الحكام يجب أن يكونوامن العاملين ، ولهذا وجب أن نكون نحن الحكام لأننا عاملون .

بيفز : قد أصبت فى الرأى إذ ليس أحسن دلالة على العقل الذكى من اليد الصناع

(يسمع قرع طبل يقترب)

هولاند : إنى أراهم . . إنى أراهم . . هذا هو ابن « بست »[١] دباغ وتجهام

بيفز : سيظفر بجلود الأعداء ، ليصنع منها القفازات.

هولاند : وهذا هو دك القصاب

بيفز : إذن سيصرع الخطيئة كما يصرع الثور ، وسيقطع رقبة الإثم كما يقطع رقبة العجل ،

هولاند : وهذا هو سميث النساج

---

(١) Best

بيفز : إذن لقد نسجت خيوط حياتهم ومد لهم فى العمر .

هولاند : هلم فلننضم إلى صفوفهم

(قرع طبول . يدخل كيد ودك القصاب وسميث النساج ونشار وجماهير عديدة لا تحصى . يصعد كيد فوق برميل وتلتف الجماهير حوله وبينما هو يتكلم يعلق على كلامه همسا دك وسميث) .

كيد : نحن جون كيد طبقاً لاسم والدى المزعوم .

دك : (جانباً) بل الأحرى أنك سميت كذلك
لأنك سرقت برميلا من الرنجة(١) .

كيد : لأن أعداءنا سيسقطون بين أيدينا » ولأننا مشبعون
بروح إسقاط الملوك والأمراء . . .
مرهم أن يسكتوا .

دك : السكون .

كيد : كان أبى من أسرة مورتيمر(٢)

دك : (جانباً) بل كان رجلا أميناً وكان بناء ماهراً

كيد : وكانت أمى من آل بلانتاجنت

---

(١) كلمة « كيد » بمعنى برميل مشتمل على ١٢١ رنجة .

(٢) راجع آخر المنظر الأول من الفصل الثالث .

دك : (جانباً) أعرفها جيداً . لقد كانت قابلة . .
كيد : وانحدرت زوجى من نسل أسرة لاسس
دك : (جانباً) نعم حقاً كانت ابنة بائع متجول
تبيع الكثير من الدنتلا .
سميث : (جانباً) والآن وقد أعجزها التجول ببضائعها
التى تحملها فى كيس من فراء الخراف
آثرت أن تصطنع غسل الملابس .
كيد : لذلك فأنا من بيت شريف نشيف .
دك : (جانباً) أى والله . لقد كان الغيظ نظيفاً شريفاً
وقد ولد فيه تحت السياج
فما كان لأبيه بيت سوى السجن .
كيد : وأنا باسل
سميث : (جانباً) لا شك فى ذلك فالتسول بسالة وإقدام .
كيد : وفى وسعى أن أحتمل كثيراً .
دك : (جانباً) لا نزاع فى ذلك فقد رأيته يجلد
ثلاثة أيام متتالية من أيام السوق العامة .
كيد : ولست أخشى السيف أو النار .
سميث : (جانباً) لا حاجة به لأن يخشى السيف ،
فسترته مطلية بالقار .

دك : (جانباً) ولكنه فيما أظن يجب أن يخشى النار ،
فقد وشموه بالنار فى يده لأنه سرق أغناماً .

كيد : كونوا شجعاناً إذن فإن قائدكم شجاع ،
وقد تعهد بالإصلاح . . ستباع فى إنجلترة
السبعة الأرغفة
من ذوات أنصاف القرش بقرش واحد .
وسنخفض ثمن الجعة بمثل هذه النسبة .
وسأجعل شرب الجعة القليلة أمراً محرماً .
فسيكون كل الناس فى مملكتى سواء ،
وسيرعى حصانى الأعشاب فى تشيسيد[1].
وعند ما أصبح ملكاً ، فأنا لا بد أن أكون ملكا .

الجميع : حفظ الله جلالتك . .

كيد : أشكرك أيها الشعب الطيب ،
ولن تستعمل فى عهدى النقود ،
وسيأكل الناس جميعا ويشربون على نفقتى ،
وسألبسهم جميعاً زيا موحداً

---

(١) تشيسيد حى التجارة الغالية : أى سيكون حى المشتريات الغالية فى لندن ، أرضاً خراباً ، ترعى أعشابها .

ليكونوا جميعاً على وفاق كالإخوة .
ليعبدونى أنا مولاهم .

دك : (يصيح) إن أول شيء تفعله هو أن تقتل جميع المحامين .

كيد : أجل هذا ما عولت أن أفعله .
أليس من المحزن أن تصنع القراطيس من جلد الحمل البريء ؟
وأن يكتب على هذا الرق .
فيقضى بما كتب على الإنسان ؟
إن بعض الناس يقولون إن النحلة تلسع ،
ولكنى أقول إن شمع النحلة هو الذى يلسع .
لقد ختمت مرة بهذا الشمع على شيء ،
ثم لم أملك من أمره شيئاً بعد ذلك . . .
ماذا ! من هناك ؟

(يدخل بعض الناس يسوقون أمامهم كاتب « تشاتام »

سميث : هذا كاتب تشاتام[1]
إنه يستطيع أن يكتب وأن يقرأ وأن يحسب . .

---

(١) chatham

كيد : يا للهول !
سميث : أمسكنا به وهو يعد دفاتر الأولاد .
كيد : يا للنذالة !
سميث : ووجدنا فى جيبه كتاباً بحروف حمراء .
كيد : إذن فهو ساحر !
دك : نعم فهو يستطيع أن يدون العقود ،
وأن يكتب الوثائق الرسمية .
كيد : آسف لما قلت . فالرجل عندى مستقيم شريف .
ما لم أقف له على جرم .
ولذلك لن يموت .
تعال هنا أيها الرجل .
يجب أن أختبرك بنفسى .
ما اسمك ؟
الكاتب : عمانويل .
دك : لقد اعتادوا أن يصدروا بهذا الاسم الرسائل .
سيكون خطبك شديداً .
كيد : دعونى وحدى . هل اعتدت أن تكتب اسمك ؛
أو هل لك علامة تخطها ،
كما يفعل كل رجل شريف مستقيم فى معاملاته؟

الكاتب : أحمد الله ، يا سيدي ، على أني ربيت تربيةً
حسنة مكنتني من أن أكتب اسمي .

الجميع : لقد اعترف ، خذوه إنه خائن .

كيد : خذوه من هنا ! واشنقوه ،
وعلقوا قلمه ودواته في عنقته

(يقاد الكاتب إلى الموت ، يدخل مايكل)

مايكل : أين قائدنا ؟

كيد : هأنذا أيها السائل !

مايكل : اهرب اهرب . . . إن سير همفرى ستافورد وأخاه
ومعهم جيوش الملك على مقربة منا

كيد : قف ، أيها الوغد ، قف وإلا ألقيتك صريعاً —
إنه سيلقى منى نداً له .
وما هو إلا فارس ؛ أليس كذلك ؟

مايكل : نعم .

كيد : ولكي نتساوى سأجعل من نفسي فارساً على الفور
(يجثو) قم يا سير جون مورتيمر
فأنت فارس (ينهض) الآن
وقد ساويته فواجهه .

(يدخل سير همفرى ستافورد وأخوه ومعهما مناد وطبل وجنوده

ستافورد : أيها الفلاحون العصاة يا حثالة « كنت » ،
ويا من ستكون المشانق نصيبهم ،
ألقوا بأسلحتكم وعودوا إلى أكواخكم ،
وتخلوا عن هذا السوقى ،
فالملك رحيم إذا انفضضتم من حوله .
الأخ : ولكنه غضوب ومريق للدماء
إذا مضيتم فى تهوركم :
فإما أن تسلموا وأما أن تموتوا .
كيد : أما هؤلاء العبيد الذين يرفلون فى الحرير
فلست أحفل بهم ،
إننى أخاطبكم أنتم أيها الشعب الكريم ،
الذى أرجو أن أكون ملكاً عليه فى مقبل الأيام،
فأنا الوريث الشرعى للتاج .
ستافورد : يا لك من وغد، إن أباك يبيض الجدران
وأنت نفسك قصاص ملابس
أليس كذلك ؟
كيد : وآدم كان بستانياً .
الأخ : وماذا فى هذا ؟
كيد : لعمرى تزوج أدموند مورتيمر إيرل مارش ابنة

دوق كلارنس — أليس الأمر كما أقول ؟

ستافورد : نعم يا سيدى !

كيد : وانجب منها بهذا الزواج طفلين توأمين .

الأخ : هذا كذب .

كيد : هذا موضع الخلاف . فأنا أقول إن هذا صدق ،
وقد بعث الإيرل بأكبرهما إلى المراضع فسرقته
امرأة متسولة ، وجهلا منها بكرم محتده وبوالديه
أصبح بناء عند ما شب وكبر .
وهأنذا ولده ، فأنكروا ذلك إن استطعتم .

دك : بل هو الحق الخالص ، ومن ثم سيكون ملكاً .

سميث : لقد بنى موقداً فى بيت أبى
ولا تزال أحجاره قائمة إلى اليوم ،
تشهد بأنه بناء فلا تنكر ما قال .

ستافورد : أتصدقون كلمات هذا العبد الحقير ،
الذى يهرف بما لا يعرف ؟

الجميع : نعم نصدقه . فارحلوا من هنا .

الأخ : لقد علمك دوق يورك هذا الذى تقوله يا جاك كيد .

كيد : (جانباً) إنه يكذب فقد اخترعته بنفسى .
(بصوت عال) اسمع يا رجل اذهب إلى الملك
وقل له عنى إنى إكراماً لأبيه هنرى الخامس،
الذى كان الصبية فى عهده يلعبون بالجنيهات
الفرنسية بدلا من الحجارة،
قانع بأن يتولى هو الملك ،
على أن أتولى أنا الوصاية عليه .

دك : وإننا سنقطع رأس اللورد « ساى »
علاوة على ذلك لبيعه دوقية مين .

كيد : هذا سبب وجيه . فإن فقدها أضعف إنجلترة
وأصبحت تتوكأ على عكاز ،
لولا أنى أسندها بقوتى .
أيها الملوك والرفاق خذوا عنى :
إن اللورد ساى قد أفقد الدولة حيويتها وجعلها
كالخصى .
وفوق ذلك فإنه يتكلم الفرنسية
ومن ثم فهو خائن .

ستافورد : يا للجهل المطبق الشنيع !

كيد : بل أجب إن استطعت عن هذا السؤال ؟
أليس الفرنسيون أعداءنا ،
وهل الذى يتكلم بلسان الأعداء
يمكن أن يكون مستشاراً أميناً .
أجب بنعم أو بلا ؟
الجميع : لا . لا . ولذلك لا بد من قطع رأسه .
الأخ وما دامت الكلمات الطيبة لا تجدى
فاهجم عليهم بجيوش الملك .
ستافورد أيها المنادى اخرج وأعلن للناس فى كل مدينة
أن الذين يناصرون كيد خونة ،
وأن الذين يفرون قبل أن تنتهى المعركة
سيشنقون على أبواب دورهم
بمرأى من زوجاتهم وأطفالهم للمثلة والعبرة . .
وأنتم يا من تودون أن تكونوا أصدقاء الملك ،
اتبعونى .

(يخرج الأخوان ستافورد وحرسهما)

كيد : وأنتم يا من تحبون العامة اتبعونى
وأثبتوا أنكم رجال ، إننا ننشد الحرية .
ولن نترك على ظهرها لورداً أو سيداً ؛

لن ندع أحداً منهم يفلت .
إلاأولئك الذين يلبسون أحذية مرقعة من الفلاحين ،
لأنهم هم الرجال الشرفاء الفقراء ،
وبودهم أن ينضموا إلى صفوفنا ولكنهم لا يجرأون .

دك لقد انتظمت صفوفهم جميعاً وها هم أولاء يسيرون نحونا .

كيد : ولكننا أشد ما نكون نظاماً ،
عند ما نكون أشد خروجاً على النظام العام .
هيا إلى الأمام !

(الثوار يحاربون آل ستافورد الذين عادوا على رأس قوات الملك . صيحات الحرب وقتال يذبح فيه كلا الأخوين ستافورد)

الفصل الرابع

المنظر الثالث

يتقدم كيد

كيد : أين دك قصاب آشفورد ؟
دك : هأنذا يا سيدى .
كيد : لقد سقطوا أمامك كما تسقط الأغنام والثيرة ،
وتصرفت فيهم كما لو كنت فى مذبحك الخاص ،
لذلك سأكافئك على هذا النحو . . .
سأطيل أيام الصيام إلى الضعف ،
وستمنح أنت تصريحاً بأن تذبح مائة رأس إلا رأساً
كل أسبوع طيلة أيام الصيام .
دك : لست أطمع فى أكثر من ذلك .
كيد : الحق أقول إنك لا تستحق أقل من ذلك .
وسأحمل هذا على كتفى تذكاراً للنصر.
(يلبس لامة السير ستافورد ودرعه)
أما الجثتان فستحملان فى أعقاب حصانى ،

حتى أصل إلى لندن ،
حيث يحمل العمدة السيف ليسير أمامنا .

دك : إذا أردنا أن نوفق وأن ننجح
فلنحطم أبواب السجون
ولنطلق سراح المساجين .

كيد : لا تخش بأساً فهذا أمر لا شك فيه،
ولنزحف إلى لندن .

(يسيرون قدماً)

الفصل الرابع

المنظر الرابع

لندن — القصر

(يدخل الملك وبيده عريضة استرحام ، والملكة وبيدها رأس سافوك ، واللورد بكنجهام ، واللورد ساى)

الملكة : (جانباً) لطالما سمعت أن الحزن يضعف العقل،
ويبعث فيه الخوف والانحلال ،
فكرى إذن فى الانتقام وكفى عن البكاء .
ولكن منذا الذى يستطيع أن يكفكف دموعه
وهو ينظر إلىّ هكذا ؟
ستنام رأسه هذه هنا على صدرى الخفاق،
ولكن أين جسده حتّى أعانقه ؟

بكنجهام : ما جواب مولاى الملك على استرحام الثوار ؟

الملك : سأرسل بعض الأساقفة لمفاوضتهم ،
فمعاذ الله أن أسمح بأن تزهق كل هذه الأرواح البريئة
بحد السيف ! وإنى لأوثر أن أتفاوض بنفسى مع

« جاك كيد » قائدهم ،
على هذه الحرب الدامية التى ستفنيهم .
ولكن مهلا سأعيد قراءة مظلمتهم ثانية .

الملكة : (جانباً) يا لهم من أوغاد متوحشين !
أهذا الوجه المليح الذى كان يسيطر على وكأنه
الكوكب السيار [1]،
لم يستطع أن يحملهم على الإذعان له .
وهم ليسوا أهلا لأن ينظروا إلى محياه .

الملك : إن چاك كيد أقسم ليفوزن برأسك يا لورد ساى.

ساى : ولكنى أرجو أن تظفروا برأسه يا مولاى .

الملك : ما هذا يا سيدتى
ألا تزالين تندبين وتأسين لموت سافوك ؟
أخشى يا حبيبتى أنك ما كنت لتجزعى علىَّ
كل هذا الجزع
لو أننى كنت الذى مات وليس سافوك .

الملكة : لا يا حبيبى لو أنك كنت الذى مات لما
جزعت ؛

(١) كان الناس قديماً يعتقدون أن للكواكب والنجوم أثراً كبيراً فى مصائر الإنسان .

بل لقضيت بعدك من أجلك .

(يدخل رسول)

الملك : ما هذا ؟ وما وراءك ؟ ولم قدمت بهذه العجلة ؟

الرسول : الثوار فى « سذرك » [١]. اهرب يا مولاى
لقد أعلن جاك كيد أنه أصبح لورد مورتيمر ،
وادعى أنه ينحدر من بيت الدوق كلارنس ،
ويقول عن جلالتك فى صراحة إنك مغتصب ،
ويقسم أنه سيتوج نفسه فى وستمنستر .
وجيشه يتألف من جمهور خشن من السوقة والفلاحين .
وهم جفاة غلاظ لا يعرفون الرحمة .
وقد شجعهم ، وقوى عزيمتهم على التقدم
موت السير همفرى ستافورد ، وأخيه ،
وهم ينظرون إلى المتعلمين والمحامين ورجال القصر والسادة ،
على أنهم طفيليات جشعة ؛
ويعتزمون القضاء عليهم .

الملك : يا للرجال الجفاة . . إنهم لا يعرفون ما يعملون .

---

(١) Southwark

بكنجهام : مولاى الكريم تراجع إلى كلنورث[1] ،
حتى تجند قوة لقمعهم .
الملكة : آه . . . لو أن دوق سافوك كان حياً ،
إذن لقضى فوراً على هؤلاء الثوار « الكنتيين »
الملك : تعال معنا إلى كلنورث يا لورد ساى ،
فهؤلاء الثوار الخونة يبغضونك .
ساى : قد يعرض هذا جلالتك للخطر ،
فإن منظرى يغيض لعيونهم ،
ولذلك سأبقى هنا فى هذه المدينة ،
وأعيش وحدى متخفياً قدر الاستطاعة .
(يدخل رسول ثان)
الرسول الثانى : لقد استولى جاك كيد على جسر لندن،
وفر الأهلون وهاجروا من بيوتهم ،
وانضم الأوغاد المتعطشون للغنائم
إلى الخائن وأقسموا معا ،
أن يخربوا المدينة ، ويخربوا قصرك الملكى .
بكنجهام : لا تتوان إذن يا مولاى بل أسرع إلى جوادك .
الملك : هيا بنا يا مارجريت وفى الله أملنا ، وبيده نجاتنا .

---

(١) Killingworth

الملكة : (جانباً) لقد ضاع أملى بعد أن مات سافوك .

الملك : وداعاً أيها اللورد ولا تثق بأحد من ثوار «كنت» .

باكنجهام : لا تثق بأحد خشية أن يخونك .

ساى : إن ثقتى فى براءتى
ولذلك ألقاهم بشجاعة وعزم.

(يخرجون)

الفصل الرابع

المنظر الخامس

لندن . البرج ، يدخل لورد سكيلز ويتمشى من فوق البرج
ثم يدخل اثنان أو ثلاثة من الأهالى و يتمشون أسفل البرج

سكيلز : يا هؤلاء هل ذبح جاك كيد ؟

المواطن الأول : لا يا مولاى . . . ولا يحتمل أن يذبح ،
فقد استولوا على الجسر وقتلوا كل من قاومهم ،
واللورد العمدة يطلب معونتك من البرج
ليدافع عن المدينة أمام الثوار .

سكيلز : العون الذى أستطيع أن أستغنى عنه تحت أمركم ،
ولكنى مشغول هنا بأمر الثوار أيضاً .
فقد حاولوا الاستيلاء على البرج ،
فاذهبوا إلى سمثفيلد(١) ، واجمعوا الرجال ،
وسأرسل إليكم هناك ماثيو جوف. (٢)
قاتلوا فى سبيل مليككم و بلادكم وأنفسكم .
و وداعاً الآن إذ يجب أن أظل هنا

(يدخل القلعة ويخب الأهلون مسرعين)

---

(١) Smithfield

(٢) Matthew Goffe

الفصل الرابع

المنظر السادس

لندن . شارع كانون ، يدخل جاك كيد والآخرون ويضرب بسيفه على النصب الرومانى الأثرى عند مدخل لندن

كيد : الآن أصبح مورتيمر سيد هذه المدينة .
وهأنذا أجلس فوق حجر لندن .
فأنهى وآمر بأن تجرى هذه النافورة المتدفقة بالنبيذ
بدلا من الماء طوال السنة الأولى من حكمنا ،
على حساب هذه المدينة . . .
ومن الآن فصاعداً سأعتبرها خيانة عظمى
أن يناديني أحد باسم غير اسم لورد مورتيمر .

(يدخل جندى وهو يعدو)

الجندى : جاك كيد . . . جاك كيد . . . كيد

كيد : دقوا عنق هذا الرجل .

سميث : لو أن هذا الرجل كان حكيماً
لما دعاك جاك كيد إطلاقاً .
ومع ذلك فأظنه قد حذر بما فيه الكفاية .

دك : مولاى اللورد إن هناك جيشاً يجند فى سمثفيلد

كيد : هيا بنا نذهب لقتالهم .
ولكن فلنبدأ أولا بجسر لندن نشعل فيه النيران ،
وإذا استطعنا فلنشعل النيران فى البرج أيضاً ،
. . . هيا بنا ولنسرع للقائهم • (يذهبون)

(صيحات حرب . . . مواطنون يقودهم سير ماثيو جوف يشتركون فى قتال مع الثوار فيذبح ماثيو جوف ومن معه جميعاً) .

الفصل الرابع

المنظر السابع

اسمثفيلد

يقتل مايوجوف وكل من معه ثم يدخل « جاك كيد » مع جماعته

كيد : والآن أيها السادة فليذهب فريق منكم ليهدم قصر سافوى .
وليذهب فريق آخر لهدم دور القضاء .
ولتجعلوها كلها أثراً بعد عين .

دك : إن لى ملتمساً لديك يا مولاى اللورد .

كيد : ليكن ملتمسك لقب اللوردية ،
فستجاب إليه بمجرد طلبه .

دك : إن ملتمسى أن تصبح الكلمات التى تخرج من فمك
هى قوانين إنجلترة .

هولاند : (جانباً) إذن ستكون قوانين معوجة ،
فقد رمى بحربة فى فمه
لا يزال يعانى آثارها إلى الآن .

سميث : (جانباً) ستكون قوانين عفنة .
لأن أنفاسك تفوح برائحة الجبن المجمر .

كيد : لقد فكرت فى هذا الأمر وسيكون ذلك .
هيا اذهبوا واحرقوا كل سجلات المملكة ،
وسيكون فمى هو مجلس بلاط إنجلترة .

هولاند : (جانباً) إذن ستكون لنا قوانين عضاضة
ما لم تنزع أسنانُه من فمه .

كيد : ومن الآن فصاعداً سيكون كل شيء مشاعاً
للجميع .

(يدخل رسول)

الرسول : مولاى اللورد أريد جائزة ؛
هذا هو اللورد ساى الذى باع المدن فى فرنسا ،
والذى أثقل كاهلنا بالضرائب الباهظة ،
والذى جعلنا ندفع شلناً عن كل جنيه ،
وهى الضريبة الأخيرة التى أقرها المجلس .

(يدخل جورج ومعه اللورد ساى)

كيد : سنقطع رأسه عشرات مرات جزاء له على ذلك
. . . آه . . . أنت ساى [1] لورد الصوف لورد

---

(١) يسخر من اسمه ، فكلمة ساى معناها نسيج الصوف .

القنب والكتان !
إنك الآن فى متناول يدنا وخاضع لأحكامنا
القضائية الملكية .
أتستطيع أن تجيب جلالتى عن سبب تسليمك
نورماندى
إلى السيد « بازميكو » ولى عهد فرنسا . . . ؟
إلا فليكن معلوماً لديك ، فى حضرة هؤلاء ،
وفى حضرتنا نحن اللورد مورتيمر ،
أنى أنا المكنسة التى ستكنس القصر
وتنظفه من أمثالك من القاذورات .
لقد أفسدت شباب هذه المملكة بخيانة عظمى ،
إذ أنشأت مدرسة ثانوية عامة ،
ولم يكن لآبائنا الأولين من كتب
إلا العصا الخشبية ذات العقد[1]
التى يقيدون عليها حسابهم .
فكنت سبباً فى استخدام الطباعة .
وعلى غير ما يليق بالملك أو تاجه أو وقاره

---

(١) بأن يحفروا خطوطاً لتدل على ما لهم وما عليهم .

أنشأت مصنعاً للورق .
وستثبت فى وجهك أنك جمعت حولك أناساً
من الذين يتحدثون عادة عن الاسم والفعل ،
ونحو ذلك من الكلمات البغيضة
التى لا يليق بأذن مسيحى أن تستمع إليها .
وعينت قضاة للمحاكمات ليستدعوا الفقراء أمامهم
ليسألوهم عن أشياء لا يحيرون لها جواباً .
وفوق ذلك ألقيت بهم فى غياهب السجن ،
بل أمرت بشنقهم لأنهم لا يعرفون القراءة ،
مع أنهم لهذا السبب وحده كانوا جديرين بالحياة حقاً .
وسمحت لنفسك أن تركب فوق سرج مبرقش
طويل الأذيال . أليس كذلك ؟

ساى : وماذا فى هذا يا سيدى ؟

كيد : كان خليقاً بك ألا تُلبس الحصان رداء
على حين يمشى أناس أشرف منك فى سراويل وقمصان .

دك : ويعملون فى نفس قميصهم كما أعمل أنا مثلا
وأنا قصاب .

ساى : يا رجال « كنت » .

دك : ماذا تقول عن كنت ؟
لا شيء إلا هذا « أرض طيبة وشعب سيء[1] » .

كيد : خذوه من هنا . . . خذوه من هنا . إنه يتكلم
اللاتينية

ساى استمعوا لكلامى ثم احملونى إلى حيث شئتم .
إن مقاطعة « كنت » كما وصفها قيصر فى
مذكراته التى كتبها
لهى خير البقاع فى هذه الجزيرة آداباً ونظاماً .
وهذا ما يجعلنى آمل فى أن قلوبكم لن تخلو
من الرحمة .
أنا لم أبع « مين » ولم أفقد « نورماندى »
بل أنا على استعداد لأن أبذل حياتى فى سبيل
استردادهما .
لقد كانت العدالة مع الرحمة رائدى دائماً ،
كانت الضراعات والدموع تحركنى ،

---

(١) قالها باللاتينية "Bonaterra, Malagens"

أما الهدايا فلم تؤثر فى قط .
وما أخذت من أيديكم الأموال
إلا لأحافظ على الملك والمملكة وعليكم .
ألم أمنح الهبات الضخمة للعلماء
لأن دراساتى هى التى جعلتنى أثيراً عند الملك ؛
ولأنى رأيت أن الجهل نقمة من الله .
وأن العلم هو الجناح الذى نطير به نحو السماء .
يقينى أنكم لن تقدموا على قتلى
إلا إذا كانت الأرواح الشريرة قد ملكت
زمامكم .
إن هذا اللسان طالما تحدث مع الملوك الأجانب
من أجلكم أنتم —

كيد : صه يا رجل وقل لى متى ضربت ضربة
ولو واحدة فى ميدان حرب .

ساى : إن كبار الرجال لهم أياد بعيدة المدى ،
ولكم ضربت يدى أناساً لم أرهم ،
ومع ذلك لقوا مصرعهم .

جورج : يا لك من جبان فظيع .
أتهاجم الناس من الخلف ؟

ساى : وهذه الوجنات شحبت من طول السهر
على مصالحكم .
كيد : صك أذنه لتعيد الحمرة إلى وجنتيه .
ساى : إن طول الجلوس للفصل فى قضايا الفقراء
ملأنى مرضاً وسقماً .
كيد : سيشنق أولا ثم يقطع رأسه بعد ذلك .
دك : لماذا ترتعد هكذا يا رجل ؟
ساى : إنه الفالج ، وليس الخوف ، هو الذى يرعشنى .
كيد : إنه يومئ برأسه كمن يقول سأنتصف منكم .
سأرى أيكون رأسه ، أشد سكوناً على الخشبة
أم لا .

أخرجوه واقطعوا رأسه .
ساى : أخبرنى ، ما أكبر ذنب ارتكبتُه ؟
هل طمعت فى الثروة أو الجاه ؟ . . . تكلم .
هل امتلأت خزائنى بالذهب المغتصب ؟
وهل ملابسى فاخرة لمرأى العين ؟
ومنذا الذى آذيته ، حتى تسعوا إلى موتى ؟
إن يدى بريئتان من كل دم أريق بغياً ،
وهذا القلبُ براء من كل شر أو خداع .

دعونى إذن أعش !

كيد : (جانباً) إن كلماته تجعلنى أستشعر الرحمة .
لكنى سأكبح جماحى . يجب أن يموت ،
ولو كان موته بسبب حسن دفاعه عن حياته .
(بصوت عال)
أخرجوه فإنه يخفى تحت لسانه شيطاناً .
وهو لا يتكلم باسم الله . اذهبوا به . . .
أخرجوه — أقول لكم — اضربوا عنقه فوراً .
ثم ادخلوا بيت زوج ابنته سير جيمس كرومر عنوة
ودقوا عنقه هو الآخر ،
ثم أحضروا الرأسين على عودين إلينا .

الجميع : سمعاً وطاعة .

ساى : بنى وطنى ! لو أن الله أبى أن يستمع إلى دعائكم وصلاتكم
كما صُمّت آذانكم عن دعائى ،
فأى مصير ستلقاه أرواحكم عند ما تموتون ؟
ترفقوا بى ، إذن ، وأنقذوا حياتى .

كيد : أخرجوه ونفذوا ما أمرتكم به .

(يقودونه إلى الخارج)

إن أعلى النبلاء مكانة فى هذه المملكة
لن يبقى رأسه على كتفيه ،
إلا إذا خضع لى وأدى الضرائب .
ولن تتزوج عذراء فى هذه البلاد
إلا إذا قدمت بكارتها لى قبل أن يبنى بها . . .
سينظر إلىّ الناس على أنى مولاهم المطاع ،
وسنكلفهم ونأمرهم أن تصبح النساء حلا للجميع
كما يهوى القلب أو يتمنى اللسان .

دك : مولاى اللورد متى نذهب إلى « تشيسيد »
ونأخذ السلع بقوائمنا [١] ؟

كيد : سنفعل ذلك فوراً .

الجميع : يا لك من رجل شجاع .

(يدخل رجل ومعه رأسان)

---

(١) القوائم لها معنيان المعنى الأول الشراء على الحساب والمعنى الثانى قوائم السيف وهو يريد المعنيين .

وتشيسيد فى ذلك الوقت هو الشارع الذى فيه الحوانيت الفخمة .

كيد : ولكن أليس هذا الرحل أشجع ؟
دعوهما يقبلا أحدهما الآخر ،
فقد كانا متحابين فى حياتهما . . .
لا بل فرقوهما ثانية خشية أن يتآمرا
على تسليم بعض مدن أخرى فى فرنسا . . .
أيها الجنود أرجئوا نهب المدينة حتى الليل ،
وسنسعى خلال شوارع المدينة ،
وهذه الرءوس محمولة أمامنا بدلا من الصوالج
وعلى كل زاوية من شوارع المدينة
دعوا كلا الرأسين يقبل الآخر .
هيا اخرجوا من هنا .

(يتحرك الثوار ويواصلون السير)

الفصل الرابع

المنظر الثامن

(صيحات حرب وتراجع)

يعود كيد ثانية ومعه الرعاع الذين يصحبونه

كيد : اصعدوا إلى سوق السمك !
واهبطوا إلى زاوية سانت ماجنوس[1] !
اقتلوهم واصرعوهم وألقوا بهم فى التاميز
(صوت بوق المفاوضة)
ما هذه النغمة التى أسمعها ؟
هل يجسر أحد على إصدار الأمر بالتراجع
أو المفاوضة وقد أمرت بالقتال ؟

يدخل بكنجهام وكلفورد الشيخ وحولهما (الحاشية)

بكنجهام : نعم ها هم أولاء الذين يجسرون على ازعاجك ،
وسيزعجونك دون شك ،
اعلم يا كيد — أننا جئنا سفراء من الملك
إلى هذه الجماهير التى أضللتها ،
ولنعلن العفو المطلق عن جميع الذين يتخلون

---

(١) Saint Magnus Corner

عنك ،
ويعودون إلى ديارهم فى سلام .

كلفورد : ما تقولون فى ذلك أيها المواطنون ؟ هل تعداون عن عزمكم ،
وتذعنون للعفو الذى يعرض عليكم ،
أو تدعون هذا الثائر يقودكم إلى حتفكم ؟
من كان منكم يحب الملك ويريد أن يدخل فى عفوه ،
فليرفع قبعته وليهتف عاش الملك .
ومن كان منكم يكره الملك ولا يمجد أباه
هنرى الخامس ، الذى زلزل فرنسا كلها ،
فليهز سلاحه مهدداً بين أيدينا وهو يمر .

الجميع : حفظ الله الملك ! حفظ الله الملك !

كيد : ما هذا ؟ يا بكنجهام وكلفورد
أبلغت بكما الجرأة إلى هذا الحد ؟
وأنتم أيها الفلاحون السفلة أتصدقونهما ؟
أتريدون أن تشنقوا وصكوك العفو مربوطة إلى أعناقكم ؟

وهل فتحت بسيفى أبواب لندن عنوة لتخذلونى
هنا
عند حافة هوايت هارت فى « سذرك »[١] ؟
ظننت أنكم لن تلقوا السلاح حتى تستردوا
حريتكم القديمة ؛
ولكنكم جميعاً جبناء مرتدون ويسركم أن تعيشوا
عبيداً للنبلاء
ليقصموا ظهوركم بأحمالهم وليغتصبوا بيوتكم
من فوق رؤوسكم
وليستبيحوا نساءكم وبناتكم تحت أبصاركم .
أما أنا نفسى فسأخرج من هنا ،
ولتنزل عليكم لعنة الله جميعاً .

الجميع : ستتبع كيد . . ستتبع كيد !

كلفورد : هل كيد هذا هو ابن هنرى الخامس
حتى تصيحوا جميعاً بأنكم ستتبعونه ؟
وهل سيقودكم إلى قلب فرنسا
ليجعل أحقركم شأناً أميراً أو سيداً ؟

---

(١) While Hart in Southwark

وا أسفاه ، إنه لا يملك بيتاً ولا يعرف مكاناً يهرب إليه ؛
بل ولا يدرى كيف يكتسب عيشه إلا بالسلب
وبسرقة أصدقائكم وسرقتنا .
أليس عاراً أنكم فى الوقت الذي تعيشون فيه متنازعين ،
يهب الفرنسيون الخائفون الذين طالما قهرتموهم
ويقومون بالهجوم أخيراً على البحار ويهزمونكم ؟
وكأنى بهذه الفتنة الأهلية وقد مكنت لهم
وجعلتهم يسيطرون على شوارع لندن ؛
ويصيحون فى كل من يمر بهم : « أيها الجبان الحقير ! »
ولخير لكم أن يفشل عشرة آلاف من السفلة من أمثال « كيد »
من أن تعنو رقابكم لرحمة الفرنسيين .
هيا إلى فرنسا . . . إلى فرنسا . . . واستعيدوا ما فقدتم ،
ودعوا إنجلترة ، فهى وطنكم الحبيب .

إن عند هنرى أموالا وأنتم أقوياء شداد ،
وما دام الله معنا فلا ترتابوا فى النصر . . .

الجميع : كلفورد ! كلفورد ! سنتبع الملك وكلفورد .

كيد : هل هناك ريشة أكثر تطايراً مع الرياح من هذه الجماهير ؟
إن اسم هنرى الخامس يجرهم إلى مئات من المفاسد ،
و يجعلهم يذرونني وحيداً ؛ وإنى لأراهم تتدانى رءوسهم و يتهامسون ليأخذونى على غرة .
فلأشق طريقى بسيفى فلم يعد لى هنا مقام ،
فلأخترق جمعكم ولو كنتم أبالسة الجحيم !
ألا فلتشهد السموات ، وليشهد الشرف ،
أنى لم أرتد على أعقابى عن ضعف فى عزيمتى ،
بل لخيانة أتباعى السفلة الأصاغر .

(يشق لنفسه طريقاً بسيفه ثم يذهب)

بكنجهام : ماذا هل هرب؟ فليذهب بعضكم وراءه، اتبعوه،
ومن يحضر منكم رأسه إلى الملك يفز بجائزة ألف جنيه .

(يتبعه بعضهم) اتبعونى أيها الجنود وسأدبر وسيلة
لإصلاح ما بينكم وبين الملك .
(يذهبون)

الفصل الرابع

المنظر التاسع

قلعة كنلورث – قرع طبول – يدخل الملك والملكة

وسمرست من فوق السور

الملك : هل ثمت ملك فاز بمثل هذا العرض الدنيوى
ثم لا يحظى من الرضى بأكثر مما نلت ؟
إنى لم أكد أحبو من مهدى حتى وليت الملك
ولما أزل فى الشهر التاسع من عمرى ،
وما فى الرعية من مشتاق أن يكون ملكاً ،
قدر اشتياقى أنا الملك أن أكون فرداً من الرعية .

(يدخل بكنجهام وكلفورد الشيخ)

بكنجهام : السلامة ، والأخبار السارة ، لك يا مولاى .

الملك : ماذا تقول يا بكنجهام هل قبض على الخائن « كيد » ؟
أو تركتموه يفلت ليستجمع قوته ؟

(تدخل الجماهير أسفل القلعة وفى رقابها مقاود)

كلفورد : لقد فر يا مولاى واستسلمت كل قواته ،

وها هم أولاء بكل خشوع قد أقبلوا واضعين المقاود فى أعناقهم
ينتظرون حكمك عليهم بالحياة أو الموت . .

الملك : افتحى إذن أيتها السموات أبوابك السرمدية ،
وتقبلى آيات حمدى وثنائى .
أيها الجنود لقد افتديتم اليوم حياتكم ،
وكشفتم عن صادق حبكم لمليككم وبلادكم :
فثابروا على هذا النهج السليم ،
واعلموا أن هنرى ، وإن خانه الحظ ، لن تخونه الرحمة بكم .
ولذا فإنى آذن لكم بالانصراف جميعاً ؛
والعودة إلى بلادكم المختلفة ؛ مزودين جميعاً بشكرى وعفوى .

الجميع : حفظ الله الملك ! حفظ الله الملك !

(يدخل رسول)

الرسول : ائذن لى يا مولاى أن أبلغك
أن الدوق يورك وصل حديثاً من أيرلندا
ومعه جيش قوى ضخم
مؤلف من جنود أيرلنديين من المشاة

ذوى الأسلحة الثقلية والخفيفة .
وهم يتقدمون نحونا فى أتم نظام وخير أهبة .
والدوق لا يفتأ يعلن على طول الطريق
أنه لا يبغى بأسلحته سوى تخليصك
من الدوق سمرست الذى ينعته بأنه خائن .

الملك : وهكذا قدر لمملكتى أن تشقى ، بين « كيد » ويورك ،
كسفينة لم تكد تنجو من العاصفة
حتى أغار عليها القراصنة ؛ وغلبوها على أمرها .
فالآن لم يكد « كيد » يرد على أعقابه وتفرق رجاله ،
حتى تلاه يورك بأسلحته وجنوده .
أرجوك ، يا بكنجهام ، أن تذهب إليه وتلقاه
وتسأله عن الدافع إلى امتشاق الحسام .
وبلغه عنا أنا سنرسل دوق أدموند إلى البرج .
وأنت يا سمرست فلتعلم أننا سنودعك البرج
حتى يتفرق عنه جيشه .

سمرست : مولاى : سأسلم نفسى للسجن طائعاً مختاراً
بل للموت إن كان فى هذا ما يحقق الخير

لبلادى .

الملك وعلى أى حال لا تخاشنه فى الحديث أكثر مما يجب ،
فهو عنيف ولا يطيق اللهجة الجافية .

بكنجهام : سأفعل ، يا مولاى ، ولا يخامرك شك فى أنى سأعالج الأمور جميعاً
بحيث تجرى كلها فى صالحك .

الملك : هيا يا زوجى ندخل. ولنتعلم أن نحكم حكماً أفضل ،
حتى لا تلعن إنجلترة أيام حكمى الشقى . .

(قرع طبول وهم يخرجون)

الفصل الرابع

المنظر العاشر

(كنت — حديقة إيدن — يدخل « كيد »)

كيد : خسئت المطامع ، وخسئت أنا ،
الذى أتقلد سيفاً ، ومع ذلك أتضور جوعاً .
لقد اختفيت هذه الأيام الخمسة فى هذه الغابات ،
ولم أجرؤ على أن أطل برأسى ،
فالبلد كله طوع بنانى ، ولكن الجوع أضنانى ،
فلا أستطيع البقاء أكثر من ذلك ،
ولو منيت الحياة ألف سنة أخرى .
لهذا صعدت جداراً من القرميد ،
وتسللت إلى هذه الحديقة ،
لعلى أستطيع أن آكل العشب تارة ،
أو أن أجمع بعض خضر السالت[1]. تارة

(١) يتلاعب كيد هنا بكلمة « Sallet » ولها فى الإنجليزية معنيان : الأول الخس — والاشتقاق هنا مشابه لكلمة سلطة ، والثانى خوذة . . ويقول إن الكلمة أفادته ، فبمعنى الخسة يأكلها ، و بمعنى الخوذة تقيه السهام تارة ، ويجعل منها كوزاً للشرب تارة أخرى .

أخرى ،
وهو مستحب ، لترطيب معدة الإنسان فى
مثل هذا الجو الحار .
وإنى لأعتقد أن كلمة السالت هذه
ولدت لتكون مصدر خير لى ،
فكثيراً ما وقتنى ، ولولاها لنفذت السهام ومزقت
رأسى ،
وكثيراً ما ردت ظمئى وأنا أقطع الطريق فى
شجاعة ،
فكنت أتخذها وعاء للشرب بدلا من الكوز ،
وها هى ذى الآن ترد جوعى وتقوم مقام الغذاء
عندى . . .

(يدخل إيدن)

إيدن : يا إلهى منذا الذى يؤثر عيش النَّصَب فى
البلاط الملكى
على نعيم الحياة فى مثل هذه الجهات الهادئة..؟
هذا الميراث المتواضع الذى خلفه لى أبى
يملأنى رضاً وقناعة فيعدل عندى ملكاً بأسره .
أأتطلع لأن أصبح عظيماً على حساب الآخرين ،

أو أجمع ثروة تثير عليّ الحقد والحسد .
وحسبي أن أحافظ على مكانتي ،
وأن يتعرف الفقراء على بابي راضين .

كيد : هذا رب المزرعة ، جاء ليقبض عليّ
كأنني ضال تسلل إلى مزرعته الخاصة
دون إذن منه — ويلك أيها الوغد !
لسوف تشي بي لتفوز بألف جنيه
جائزة الملك ثمناً لرأسي ؛
ولكني سأحملك على أن تزدرد الحديد كالنعام ،
وأن تبلع سيفي هذا كأنه دبوس كبير ، قبل أن نفترق .

إيدن : ولماذا أشي بك أيها الرفيق الجلف ، كائناً من كنت ،
فأنا لا أعرفك حتى أشي بك ؟
ألم يكف أن اقتحمت حديقتي
وتسورت جداري ، لتسرق أرضي
كما يفعل اللص ، على رغمي أنا صاحب الضيعة ،

ولم يكفك هذا حتى تتحدانى بهذه الألفاظ النابية ؟

كيد : أجل بحق أزكى دم أريق ،
إنى أتحداك بل أتجرأ عليك —
تأمل فى جيداً — إننى لم أذق طعاماً طوال أيام خمسة ،
ومع ذلك تعال أنت ورجالك الخمسة ،
فإذا لم أترككم جثثاً هامدة ،
فلا جعلنى الله أتذوق هذه الأعشاب مرةً أخرى .

إيدن : لا ، لن يقال أبداً وإنجلترة فى الوجود
إن « الكسندر إيدن » من أعيان « كنت »
استساغ لنفسه أن يحارب رجلا فقيراً نال منه الجوع ،
حدق بعينيك الشاخصتين فى عينى ،
وانظر أتستطيع أن تغلبنى بنظراتك :
وقارن أطرافك بأطرافى يظهر لك قصورك ،
فيدك ليست إلا إصبعا إلى جانب قبضتى ،
وساقك ليست إلا عصاً إذا قورنت بهذه الهراوة ،

الغليظة ،
وفى قدمى من القوة ما يساوى كل ما تملك أنت منها ،
ولو رفعت ذراعى فى الهواء،
لحفر لحدك فى الأرض فوراً —
وليست العظمة فى المطاولة بالكلام ،
فدع سيفى هذا يجبك بما عف عنه اللسان .

كيد : بحق بسالتى إنه البطل المتناهى كمالا ،
الذى لم يسمع بمثله قط !
أيها السيف الحديد لئن نبا حدك ،
ولم تمزق هذا المهرج المستطيل العظام إرباً قبل أن ترتد إلى غمدك ،
إذن لدعوت عليك جاثياً على ركبتى أن تتمزق
وتستحيل مسامير مثلومة للنعال .

(يشتبكان فى قتال ويسقط « كيد »)

آه لقد ذبحت ! قتلنى الجوع ولا شىء غيره . .
أطعمونى الوجبات العشر التى فاتتنى ،
ومروا عشرة آلاف شيطان مريد أن يقفوا فى وجهى ،

وأنا أتحداهم جميعاً . . . ألا فلتجفى أيتها الحديقة !
ولتتحولى منذ الآن مقبرة تضم رفات سكان هذا البيت جميعاً ،
فإن روح كيد الذى لا يقهر قد أزهق فيك .

إيدن : أهو « كيد » الذى قتلت ؟ . . . ذلك الخائن الرجيم ؟ . .
أيها السيف سأجلك وأقدسك من أجل صنيعك هذا ،
ولتنصب فوق قبرى عند ما أموت ،
ولن أغسل هذا الدم من نصلك
بل أدعك تلبسه كأنه شعار المجد
ينم عن الشرف الذى أحرزه صاحبك .

كيد : وداعاً يا إيدن ، ولتفخر بما أحرزت من نصر . .
وقل لمقاطعة كنت عنى : لقد فقدت خير رجالك ،
وحث الناس جميعاً على أن يكونوا جبناء
لأنى أنا الذى لم أهب شيئاً قط ،

قهرنى الجوع ولم تقهرنى شجاعة الشجعان .

(يموت) .

إيدن : ألا فلتحكم السماء بينى وبينك فلشد ما ظلمتنى !
مت أيها الصعلوك اللعين ، يا نكبة الأم التى حملتك ،
وبودى وأنا أغمد سيفى فى جسدك الآن
أن أدفع بروحك إلى الجحيم ؛
ولأجرنك من هنا من عقبيك وألقى بك على كثيب من القمامة ،
حيث يكون هذا لحدك ،
وهناك أقطع رأسك الخسيس الأخس ،
وأحمله فى زهو بالنصر إلى الملك ،
تاركاً جسدك طعاماً للغربان .

(يجر الجثة إلى الخارج)

الفصل الخامس

المنظر الأول

بطحاء على الطريق ما بين لندن وسانت أولبنز فى أدناها حانة وفى أقصاها معسكر للجيش بخيامه . ويرفرف العلم الملكى فوق خيمة من هذه الخيام .

(يدخل يورك وجيشه من الأيرلنديين يدقون الطبول ويحملون الرايات)

يورك : هكذا أقبل من أيرلندا يورك ليطالب بحقه ،
وينتزع التاج عن رأس هنرى الواهن .
دقوا الأجراس عاليا ، وأوقدوا النيران مشرقة وضاءة ،
حفاوة بالملك الشرعى لإنجلترة العظيمة !
أيتها الملكية المقدسة ، منذا الذى لا يشتريك غالياً ؟
فالطاعة أجدر بمن لا يعرف كيف يحكم ،
إن هذه اليد لم تخلق لتمس شيئاً سوى الذهب ،
ولن أستطيع أن أقرن قولى بالعمل ،
مالم يستند قولى إلى قوة الحسام أو الصوبجان ،

أجل وسيكون لى صولجان ، ما دام فى الجسم روح ،

زهر الزنبق شعار ملوك فرنسا . . .

(يدخل بكنجهام)

من الوافد علينا ؟ بكنجهام جاء لإزعاجى ؟

لقد أرسله الملك بلا شك ، فلأصطنع الحيلة معه .

بكنجهام : أى يورك ، إذا كنت تضمر خيراً فأنا أحييك خير تحية .

يورك : إنى أتقبل تحياتك، يا همفرى دوق بكنجهام .

أأنت رسول أم جئت لمجرد الزيارة ؟

بكنجهام : بل رسول من عند هنرى مولانا المهيب ،

لأعرف أسباب هذا التسلح فى زمن السلم .

ولماذا وأنت من رعيته مثلى

جندت هذه القوات الكبيرة ، دون إذن منه

حانثاً بقسملك وولائك ،

وجرؤت على حشد هذه القوات على مقربة من القصر ؟

يورك : (جانباً) أكاد أعجز عن الكلام لشدة غضبى
وسخطى ،
إن فى مقدورى أن أقد الصخر وأقاتل بالصوان ،
لشدة سخطى على هذه التعبيرات الجوفاء .
ولكنى مع ذلك لا أملك إلا أن أفعل
كما فعل أياكس تيلامونيوس[1] ،
فأصب جام غضبى على الضأن والثيران .
أنا أعرق نسباً من الملك ، وأحق بالملك منه ،
ورأيى أدنى إلى رأى الملوك .
ولكنى مع ذلك يجب أن أتظاهر بالمودة والولاء
إلى حين ،
حتى يزداد هنرى وهناً وأزداد أنا قوة .
بصوت عال) اغفر لى يا بكنجهام طول صمتى
فذهنى مضطرب من الحزن والكآبة .
إن الذى حملنى على إحضار هذا الجيش
إلى هنا

---

(١) آياكس تيلامونيوس (Ajax Telamonius) هو ابن تلامن أحد أبطال حرب طروادة ، يضرب به المثل للمحارب الغبى .

هو رغبتى فى إبعاد سمرست المتعجرف عن الملك ،
لأنه مثير للفتنة ضد جلالته وضد الدولة .

بكنجهام : هذا عمل بالغ منتهى الجرأة .
ومع ذلك فإن لم تكن هذه القوات جندت لأغراض أخرى
فإن الملك قد أجاب مطلبك .
فالدوق سمرست سجين فى البرج

يورك : أتقسم بشرفك أنه سجين ؟

بكنجهام : أقسم بشرفى أنه سجين .

يورك : ما دام الأمر كذلك فأنا أسرح قواتى هذه ، يا بكنجهام
أيها الجنود أشكركم جميعاً . والآن تفرقوا
ولا قونى غداً فى ميدان القديس جورج [1] ،
وستنالون مرتباتكم وكل ما تريدون .
وليأخذ مولاى هنرى الصالح

---

(١) Saint George

ابنى الأكبر بل أبنائى جميعاً رهائن لمحبتى
وإخلاصى .
وسأبعث بهم جميعاً طائعاً مختاراً ما دمت حياً ؛
وسأضع تحت تصرف مولاى كل ما أملك
من أرض ومتاع وخيول ودروع،
ليستخدمها كيفما شاء بحيث يموت سمرست .

بكنجهام : أى يورك إنى لأمتدح فيك هذا الخضوع
الكريم ،
فلنذهب معاً إلى خيمة جلالة الملك .

(وفيما هما يقتربان من الخيمة الملكية يقبل عليهما الملك
ويتقدم نحوهما القائهما)

الملك : أى بكنجهام أوثقت أن يورك لا يبغى بنا
أذى
حتى تمشى معه ويدك فى يده ؟

يورك : بكل خضوع واستسلام يقدم يورك نفسه
لجلالتكم .

الملك : إذن ماذا تعنى هذه القوات التى جئت بها ؟

يورك : جئت بها لأقصى الخائن سمرست من هنا ،
ولأشن الحرب على الثائر اللعين « كيد » .

الذى سمعت بعد ذلك أنه حبط سعيه .

(يدخل إيدن ومعه رأس كيد)

إيدن : إذا سمح لرجل خشن رقيق الحال مثلى
أن يمثل فى حضرة الملك ،
فإنى بكل خشوع أقدم بين يدى جلالتكم
رأس رجل خائن .
رأس «كيد» الذى ذبحته فى مبارزة بيننا

الملك : رأس « كيد » ؟ تباركت اللهم ما أعدلك !
أرنى هذا الوجه وهو ميت ،
هذا الوجه الذى كلفنى حياً كثيراً من المتاعب الشديدة ،
وقل لى أيها الصديق أ أنت الذى قتلته حقاً ؟

إيدن : نعم أنا ، إن أذنت يا مولاى .

الملك : وما اسمك ؟ وما رتبتك ؟

إيدن : اسمى ألكسندر إيدن
رجل من أعيان كنت يحب مولاه الملك .

بكنجهام إن أذنت يا مولاى ولم يكن فى ذلك جرأة منى
فإنه يستحق الإنعام عليه برتبة فارس
جزاء له على خدماته الطيبة ،

الملك : اركع يا إيدن (يركع). قم فأنت فارس ،
ولك منى ألف جنيه جائزة على خدماتك ،
ومنذ اليوم ندعوك لتدخل فى معيتنا ،

إيدن : ليت إيدن يعيش ليثبت أنه جدير بهذه النعمة ،
ولا يعيش إلا محافظاً على الإخلاص والولاء
لسيده ومولاه . . .

(تدخل الملكة وسمرست)

الملك : انظر يا بكنجهام إن سمرست قادم مع الملكة ،
فأسرع إليها ومرها أن تخفيه حالا عن عين الدوق

الملكة : لن يخفى رأسه من أجل ألف يورك ،
بل سيثبت له فى شجاعة ويلقاه وجهاً لوجه ..

يورك : ما هذا ؟ هل سمرست حر طليق ؟
إذن يا يورك أطلق أفكارك التى طال احتباسها ،
واجعل لسانك يوافق فيعلن ما به .
أيمكن أن أحتمل رؤية سمرست ؟
أيها الملك الكاذب ، لماذا نقضت عهدك معى ،
وأنت تعلم قلة احتمالى للخداع ؟
هل دعوتك ؟ لا لستَ بالملك ،
ولست صالحاً لتحكم وتسود الجماهير

ما دمت قد جبنت بل عجزت عن أن تتحكم في خائن واحد،
ولا يليق التاج لهذا الرأس اللذي فوق كتفيك ،
ويدك هذه لم تخلق إلا لتحمل عكاز الدراويش
لا أن يزينها صولجان الملك المهيب .
وهذا التاج الذهبي يجب أن يحيط بجبهتى
هذه التى تستطيع بتقطيبها فابتسامها
أن تقتل وتشفى وكأنها رمح أخيل * .
وهذه هى اليد التى تليق بحمل صولجان الملك عالياً
ولها به المقدرة على تنفيذ قوانين الدولة الصارمة .
تخل عن مكانك ، فبحق السماء لن تكون بعد اليوم حاكماً
على من خلقته العناية الإلهية ليكون حاكماً عليك .

* آخيل « Achilles » البطل اليونانى المعروف الذى أزال، فيما يقال ، الصدأ الذ
على درع تليفوس « Telephus » من جرحه .

سمرست : يا لك من خائن رجيم ، إنى أقبض عليك يا يورك
بتهمة الخيانة العظمى للملك والتاج ،
أطع أيها الخائن الوقح ، واركع على ركبتيك
طلباً للرحمة .

يورك : أتريدنى أن أركع ؟ دعنى أولا أسأل هذين :
هل يحتملان أن تنثنى ركبتاى لمخلوق .
يا غلام ادع إلىّ ابنى ليكونا كفيلى

(يخرج جندى من أعوان يورك)

أنا أعلم أنه أهون عليهما أن يرهنا سيوفهما
من أن يسلمانى للسجن

الملكة : ادع كلفورد إلى هنا ، ومره أن يأتى على الفور
ليقول كلمته هل ابنا يورك الدعيان
يصلحان لأن يكونا كفلين لأبيهما .

(يخرج جندى من أعوان لانكستر)

يورك : إيه يا طريدة نابولى ، الملطخة بالدم !
يا وباء نزل على إنجلترة !
إن ابنى يورك يفضلانك مولداً ومحتداً
وسيكفلان أباهما والويل لمن يرفض كفالة ابنى لى .

(يدخل كلفورد ورتشارد)

انظر إنهما قادمان . أقسم أنهما سيصلحان الأمور.

(يدخل كلفورد الشيخ وابنه)

الملكة : وها هوذا كلفورد قادم ليرفض كفالتهما .

كلفورد : الصحة والسعادة لك يا مولاى الملك (يركع)

يورك : أشكرك يا كلفورد . . قل ما وراءك من أنباء . .
لا . . لا تروعنا بهذه النظرات الغاضبة ،
فنحن مولاك الملك، اركع ثانية ،
ونحن نتجاوز عما أقدمت عليه من خطأ .

كلفورد : هذا هو مليكى يا يورك وأنا لا أخطئه
إنك أنت الذى تخطئ إذ تظن أنى أغضب
خطأ .

اذهبوا به إلى مستشفى المجاذيب
فلا بد أنه قد أصابه جنون .

الملك : نعم يا كلفورد إنه الجنون ونزوة الطمع
جعلاه يقف هذه الموقف العدائى من ملكه .

كلفورد : إنه خائن فألقوا به فى البرج ،
واقطعوا هذا الرأس المثير للفتنة .

الملكة : إنه مقبوض عليه ولكنه لا يريد أن يذعن،

ويدعى أن ولديه سيكفلانه

يورك : ألا تفعلان ذلك يا ولدىَّ ؟

إدوارد : أجل يا أبى إذا كانت تعهداتنا تجدى .

رتشارد : فإن لم تجد الكلمات فستجدى سيوفنا

كلفورد : لعمرى أى ذرية من الخونة نلقى هنا ؟

يورك : انظر فى المرآة وانعت خيالك بهذا الذى تقوله .
إنى ملكك وما أنت إلا خائن خبيث الطوية .
ادع إلىّ هنا دبىَّ الأصيلين ،
ليخيفا بصلصلة سلاسلهما هذه الكلاب المتلصصة الخبيثة .
ادع سالسبورى ووريك أن يحضرا إلىّ .

(يدخل ايرل ورك وسالسبورى)

كلفورد : أو هذان هما دباك ؟ سنطاردهما حتى الموت
ونصفدك بأغلالهما إذا جرؤت على إحضارهما إلى ساحة النزال

رتشارد : لطالما رأيت الكلب المسعور المختال
يرتد ليعض من حوله حين يطلق سراحه ،
ثم لا يكاد تصيبه لطمة من مخلب الدب القوى ،
حتى يولى الأدبار وذيله بين فخذيه وهو يعوى .

وسوف تلقون هذا المصير
إذا سولت لكم نفوسكم أن تتحدوا لورد وريك
كلفورد : اخسأ يا جماع الحقد . . . أيها الكتلة الشوهاء ،
أيها المعوج فى خلقك خلقك .
يورك : أجل سنزيد من لهيبك فى أقل من لمح البصر .
كلفورد حذار وإلا أحرقكم لهيبكم هذا .
الملك : ماذا جرى يا وريك حتى نسيت ركبتاك الركوع لنا ؟
وأنت يا سالسبورى عار على شيبتك
أيها المضلل الخرف لابنك المخبول !
ما بلك ، أتسلك مسلك المتمرد الشرير وأنت على حافة القبر ،
وتسعى وأنت مفتح العينين وراء الإثم والمنكر ؟
أين الإخلاص ؟ بل أين الولاء ؟
وأنى يكون لهما مأوى إذا توليا من رأسك الأشيب ؟
أتحفر بيدك القبر باحثاً عن الحرب
وتدنس وقار شيخوختك بالدماء ؟ . . .

أتبلغ هذه السن ولما تزل تعوزك التجارب ؟
وإلا فكيف تسىء استخدام التجارب بعد أن نلتها ؟
يا للعار اثن ركبتيك بدافع من واجبك نحونا ،
فقد أحناهما كبر السن وأدناهما من القبر .

سالسبورى : مولاى ، لقد بحثت بنفسى
حق هذا الدوق الواسع الشهرة ،
وأنى أعتبره من أعماق ضميرى
الوارث الشرعى لعرش إنجلترة .

الملك : ألم تقسم يمين الولاء لنا ؟

سالسبورى : نعم أقسمت .

الملك : وكيف تقف بين يدى رب السماء
وأنت تحنث بهذا القسم ؟

سالسبورى : إنه لإثم كبير أن تقسم على باطل ،
ولكن الإثم الأعظم أن تصر على هذا القسم الباطل .
ومنذا الذى يتقيد بقسم مقدس ،
إذا هو أقسم على ارتكاب جريمة قتل أو سرقة إنسان ،

أو اغتصاب عذراء بريئة ،
أو على حرمان يتيم أموال أبيه ،
أو حرمان أرملة حقها الشرعى ،
إذا لم يكن لديه من دافع على هذا الجرم
إلا مجرد الارتباط بقسم مقدس ؟

الملكة : إن الخائن الفطن لا يحتاج إلى محام ماهر .

الملك : ادع بكنجهام ومره أن يتسلح .

يورك : ادع بكنجهام ومن شئت من الأعوان
فقد اعتزمت أمراً فإما الموت أو المجد .

كلفورد : أولهما بلا ريب أن صحت الأحلام .

وريك : خير لك أن تأوى إلى فراشك وأن تعاود الأحلام ،
لتقى نفسك العاصفة التى ستهب فى الميدان .

كلفورد : قد صح عزمى على أن أحتمل عاصفة
أشد هولا مما تستطيعون إثارته اليوم ،
وسأسجل هذا العزم فوق خوذتك
إن أتيح لى أن أميزك بشعار بيتك .

وريك : قسما بشعار أبى شعار بيت « نيفل » العريق.
وهو الدب الواقف : المقيد إلى عمود ذى عقد ،

لأضعن اليوم خوذتى على رأسى عالية،
كشجرة الأرز فوق قمة جبل :
تظل محتفظة بأوراقها رغم العواصف ،
حتى أبعث الخوف فيك من هذا المنظر .

كلفورد : وأنا سأمزق هذا الدب من خوذتك،
وأطأه بقدمى بكل زراية،
على الرغم من حارسه الذى يحميه .

كلفورد الابن : والآن هلم إلى أسلحتنا أى أبى المظفر ؛
لنقهر الثوار وأعوانهم .

رتشارد : ويحك تحدث بالخير لا بالحقد هكذا
وأنت ستتناول عشاءك الليلة مع السيد المسيح .

كلفورد الابن: أيها المشوه الممسوخ لست كفؤاً لهذا القول .

رتشارد : إن لم يكن عشاؤك فى الجنة فسيكون قطعاً فى
الجحيم . (يخرجون)

(ينسحبون مع جيوشهم استعداداً للمعركة ثم تسمع بعد فترة قصيرة أصوات القتال على بعد ثم ترتفع صيحات الحرب رويداً رويداً) .

الفصل الخامس

المنظر الثانى

دعوة للقتال

يدخل . . . وريك

وريك : أى كلفورد دوق كمبرلند، هذا وريك يناديك،
فإذا لم تبادر إلى الاختفاء من وجه الدب، فأقدم
حينما تدق طبول الحرب الغاضبة،
ويمتلىء الفضاء بصيحات القتلى،
أقدم ونازلنى أنا، أى كلفورد،
أيها اللورد المتعجرف المنحدر من الشمال،
لقد بح صوت وريك وهو يدعوك للقتال
(يدخل يورك)
أى سيدى اللورد! أتسعى على قدميك؟

يورك : لقد ذبح كلفورد بيده السفاكة حصانى،
ولكنى جازيته بمثل صنعه،
وجعلت مهره الحبيب الذى يؤثره بالمحبة،
فريسة للغربان والحداء الضارية، (يدخل كلفورد)

وريك : لقد حان أجل أحدنا أو كلانا .

يورك : أمسك يا وريك وابحث عن صيد آخر،
إذ يجب أن أطارد بنفسي هذا الوعل حتى أصرعه .

وريك : إذن لك المجد يا يورك فأنت تنشد تاجاً
وأنت يا كلفورد فإنى — وقد عزمت أن يحالفنى النصر اليوم —
ليحز فى نفسى أن أتركك دون أن أهاجمك (يتركهما)

كلفورد : ماذا ترى فى يا يورك ؟ وفيم وقوفك ؟

يورك : وددت أن أكون معجباً بما تبدى من الشجاعة ،
لولا أنك عدوى اللدود .

كلفورد : وشجاعتك أيضاً فى غنى عن كل مديح ،
لولا أنها برزت فى الخيانة والغدر .

يورك : فلتكن هذه الشجاعة عونى إذن ضد سيفك هذا
فأنا لا أصطنعها إلا دفاعاً عن العدالة المحضة والحق الخالص .

كلفورد : وأنا ألقاك بروحى ودمى جميعاً .

يورك : يا له من رهان مخيف ! خذ أهبتك على الفور .

(يقتتلان ويسقط كلفورد)

كلفورد : النهاية تتوج الحياة (يموت)

يورك : وهكذا أسلمتك الحرب إلى الراحة فأنت الآن في هدوء ،
فليرفرف السلام على روحه ،
إذا كانت تلك هي مشيئة السماء . (يبرقدما)

(يدخل كلفورد الابن)

كلفورد الابن : يا للعار والدمار ! لقد لاذ الجميع بالفرار بلا نظام .
فالخوف يبعث الفوضى والفوضى تجرح
حيث ينبغي الحذر ، أيتها الحرب يا ابنة جهنم
التي تتخذها السماء الغاضبة أداة ووسيلة ،
لتقذف في صدورنا الباردة ،
جمر الانتقام المضطرم ،
لا تدعي جندياً يفر على أعقابه .
إن من وهب نفسه للحرب صادقاً
لا يعرف الأنانية ، أما الذي يحب نفسه

فلا يكون بطلا مقداماً إلا بمحض الصدفة .

(يبصر أباه الميت)

ليت هذه الدنيا الحقيرة تنقضى !
وليت نيران اليوم الآخر تأتى قبل أوانها ،
فتصل السماء بالأرض .
ولينفخ فى الصور ،
ليخرس كل صوت ويهدأ كل جرس ،
أكتبَ عليك يا أبى العزيز
أن تقضى شبابك فى سلام ،وأن تبلغ المجد فى الرجولة ،
تموت هذه الميتة فى معركة أثيمة ،
وأنت فى شيخوختك الوقورة ؟
إن هذا المنظر ليحيل قلبى صخراً ،
وسيظل هذا القلب صخراً ما حييت .
إن يورك لم يرحم شيوخنا ،
فلن أرحم أطفالهم . لن تؤثر فىّ دموع العذارى
إلا كما يؤثر الندى فى النار ،
وسيكون الجمال الذى كثيراً ما يخضع الجبابرة
وقوداً يزيد نار غضبى المشتعل اضطراماً .

ومن الآن فصاعداً لن يكون للرحمة سبيل إلى
قلبي ،
ولو صادفت طفلا من آل يورك
لقطعته إرباً كما قطعت ميديا[1] المتوحشة أخاها أبسرت
ولأبلغن مجدى بالقسوة .
تعال أيها الحطام الجديد لبيت كلفورد التليد :
أحملك على كتفىّ القويتين كما حمل إنياس
أنكيسيز العجوز [2] .
وإن كان حمل إنياس حيًّا يرزق .
ولا عبء أثقل من هذه الهموم التى أحملها .

(يحمل جثة أبيه ويخرج)
(يدخل رتشارد وسمرست ليقتتلا فيقتل سمرست)

رتشارد : أرقد ها هنا يا سمرست
تحت لافتة هذه الحانة الحقيرة التى عنوانها
« حصن فى سانت أولبنز »

---

(١) Medea قتلت أخاها أبسرتوس وقطعته أرباً لتؤخر أباها فى اقتفائه أثرها لما فر مع جين وصحبه أثناء رحلتهما فى البحث عن الجزيرة الذهبية .

(٢) Aeneas ابن آخيل حمله أبوه من طروادة وهى تحترق .

فلقد مجدت بموتك اسم ذلك الساحر[1].
وجعلت صيته ذائعاً .
أيها السيف احتفظ بحدة نصلك ،
ويا أيها القلب استبق غضبك .
إن الصلاة على الأعداء من شأن القساوسة ،
أما الأمراء فصلاتهم أن يقتلوا الأعداء (يسير)

(قتال . . . خروج المتقاتلين . . يدخل الملك والملكه وآخرون)

الملكة : يا للعار ! أسرع يا مولاى ! إنك بطىء، أسرع .
الملك : وهل يمكن أن نسبق الأقدار يا مرجريت ، امكثى !
الملكة : من أى جبلة أنت ؟ إنك لا تريد أن تقاتل ولا تريد أن تفر
إن الرجولة والحكمة والدفاع ،
فى أن نتقهقر أمام العدو وأن نحمى أنفسنا
بكل ما نستطيع ، وليس فى وسعنا أكثر من أن نفر

تسمع صيحات الحرب من بعيد)

ولو أنهم قبضوا عليك ، إذن رأينا نهاية كل أملنا

---

(١) راجع الفصل الأول المنظر الرابع

ولكن إذا قدر لنا الهرب ،
وأحسب أن هذا فى إمكاننا إذا لم يسلمنا
إهمالك للعدو ،
فسنبلغ لندن حيث يحبك الناس،
وحيث نستطيع أن نرأب هذا الصدع الذى
أصبنا به فى آمالنا .

(يدخل كلفورد الابن ثانية)

كلفورد الابن : لولا أن قلبى مصمم على الشر فى المستقبل،
لفضلت أن أكفر على أن أنصح بالفرار ،
ولكن الفرار لا بد منه . فالهزيمة النكراء
التى لا معدى عنها تسيطر على قلوبنا جميعاً ؛
فأسرعوا بالفرار طلباً للخلاص ،
وسنعيش لننال نصراً كنصرهم ،
وينالوا هزيمة كهزيمتنا .
الفرار الفرار يا مولاى .

(يسرعون بالفرار)

الفصل الخامس

المنظر الثالث

ميادين بالقرب من سانت أولبنز
صيحات الحرب . انسحاب . يدخل يورك
ورتشارد ووريك وجنود معهم طبول وأعلام

يورك : من مبلغى أنباء سالسبورى ،
هذا الأسد العجوز الذى ينسى فى حدة غضبه
وهن الشيخوخة وعدوان الأيام،
ويهجم كالمغوار فى أوج الشباب ؟
إن هذا اليوم السعيد لن يكمل صفوه،
لن نكون قد كسبنا شبراً،
لو أننا فقدنا سالسبورى يا أبى النبيل .
لقد عاونته ثلاث مرات اليوم على ركوب حصانه ،
وحميته ثلاث مرات ، وثلاث مرات أبعدته عن المعمعة،
وحاولت إقناعه أن يكف عن خوضها مرة أخرى ،

ولكنى لم أزل ألقاه حيث يكمن الخطر ،
إن عزيمته القوية فى جسمه الواهن الضعيف
كالتحف النفيسة فى البيت المتواضع .
ولكن انظر ها هو ذا قادم نبيلا كريم كالعهد به .

(يدخل سالسبورى)

والآن بحق هذا السيف لقد أحسنت القتال اليوم .

سالسبورى : بحق سيفى لقد قاتلت اليوم خير قتال ،
وبحق الكتاب المقدس لقد أبلينا جميعاً أحسن البلاء .
فشكراً لك يا رتشارد .
الله وحده يعلم ما تبقى من عمرى .
ولقد أرضيتَ الله ثلاث مرات اليوم
حين حميتنى من الموت المحقق .
أيها اللوردات إننا لم نبلغ بعد كل ما نريد ،
فليس يكفى أن يفر أعداؤنا . فنحن خصوم
لسياسة التريث والتأنى .

يورك أنا أعلم أن سلامتنا فى تعقبهم ،
فقد سمعت أن الملك فر إلى لندن

ليدعو إلى اجتماع للبرلمان .
فلنقتف أثرهم قبل أن ترسل الدعوات ،
فما رأيك فى هذا يا لورد وريك أنتبعهم ؟

وريك : نتبعهم بل نسبقهم إذا استطعنا .
قسما أيها اللوردات لقد كان يوماً مجيداً .
فقد كسب يورك الذائع الصيت معركة سانت أولبنز
وسيخلد هذا اليوم على مر الأزمان .
فلتدق الطبول ولينفخ فى الأبواق،
ولنتجه جميعاً إلى لندن ،وليكن نصيبنا موفوراً من مثل هذه الأيام . (يسيرون)

« ختام »

تم طبع هذا الكتاب على مطابع
دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٩

ملتزم التوزيع : مؤسسة المطبوعات الحديثة – ٣ شارع ماس